ماري هيرمانسون

مكتبة ٣٩٩

دار المنى

شاطئ المحار

شاطىء المحار

مكتبة | 399

مكتبة
telegram @ktabpdf
telegram @ktabrwaya
تابعونا على فيسبوك
جديد الكتب والروايات

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور
والفسحة والسرور
اللهم اقبلها في عبادك الصالحين
واجعلها من ورثة جنة النعيم

ذكرى لـ نور سرين

ISBN: 978-91-87333-23-1
© Arabic Edition Bokförlaget Dar-Al-Muna AB, 2015
Musselstranden © Marie Hermanson 1998
Translation has been supported by Swedish Art Council
First published by Norstedts, Sweden 1999
Published by agreement with Norstedts Agency
Printed at ScandBook AB, Sweden 2015

www.daralmuna.com

This edition has been published with a subsidy by
the "Spotlight on Rights" initiative of the Abu Dhabi
International Book Fair, United Arab Emirates

t.me/ktabpdf
مكتبة

شاطئ المحار

ماري هيرمانسون

النص العربي: علاء الدين أبو زينه

مراجعة دار المنى

مكتبة 399

دار المنى

كريستينا

t.me/ktabpdf مكتبة

ترتحل في عالم رمادي لم تنهض شمسه بعد. تحب هذا العالَم المراوغ بين الضوء والعتمة، عالماً بلا ظلال، وبلا ألوان. لا شيء فيه مرئي تماماً ولا شيء مختبئ تماماً، كل شيء فيه محض هواجس، والتباسات.

همدت أصوات الليل —صفير الريح، خوار الأبائل الأجش، وحفيف أجنحة الفراشات. والأصوات الأخرى، أصواتُ النهار، لمّا تستيقظ بعد. لكنها سرعان ما ستأتي. أولاً وقبل كل شيء، عبثُ نسيم الصباح في تيجان الأشجار، ثم صيحات طيور البحر، وتغريد الطيور الصغيرة، وأخيراً ستأتي أيضاً تلك الجوقة المتنافرة، من أصوات الناس، وضجيج المحركات والموسيقا.

الآن، كل شيء صامت. العالم في استراحة بين فترتيه. وهي تسافر في هذا العالم المسترخي، في بحر بلا رياح، هادئ مثل بحيرة في كهف. وزورق الكاياك ينسل بها على طول الساحل المألوف، متعقباً جوانب الصخور شديدة الانحدار، وشواطئ الفايكنج المكتسية بالخضرة، ويلعقها مثل لسان نحيل، رشيق.

الآن ينفتح الماء، طريقاً عريضة تنداح بين الجزر خارجة في اتجاه الأفق. على السطح الخارجي لهذه الجزر المحمية، بعيداً في البحر المفتوح، يمكنك أن تلمح ومضة من الجزر الصخرية الصغيرة. تغادر الساحل وتنطلق بين الجزر، خارجة في اتجاه الجزر الصخرية البعيدة.

ينبغي أن يكون الماء هادئاً حتى تتمكن من الوصول. أحياناً يكون الماء ساكناً كالموتى قرب اليابسة، ولا تكتشف الأمواج العالية قبل أن تخرج إلى المياه المفتوحة.

t.me/ktabpdf مكتبة

عندما يحدث ذلك، تضطر للعودة إلى الديار.

لكن كل شيء على ما يرام اليوم. يبدو البحر كما لو أن من المستحيل أن تبحر فيه. يبدو لها جد متضامّ وناعم، حتى تكاد تأخذها الدهشة وهي ترى القارب يشق طريقه عبر سطح الماء.

أنفاسُها وتجديفها يصنعان الإيقاع نفسه، وعضلات ذراعيها تضجان بالقوة والإرادة. إنها حورية بحر. الجزء العلوي من جسدها فقط هو البشري. أما الجزء السفلي منها فيسافر تحتها، منزلقاً بحياد، مختبئاً في مقصورة القارب المعتمة. إنه ينتمي إلى البحر.

تلمحها الطيور قبل فترة طويلة من الوصول. ترتفع محلقة في سحابة زاعقة فوق الجزر الصخرية الصغيرة، ويلتمع ريشها الأبيض كما لو أنه يستضيء بنور داخلي في الهواء الرمادي. تأتي لتلاقيها، تحفّ بها، وهي تنزلق داخلة في أجساد الطيور الصارخة المدوّمة.

أولريكا

t.me/ktabpdf مكتبة

لا بوابة هناك. ما تزال الحديقة مفتوحة ومتاحة للدخول كما هي. مع ذلك، تخوّفتُ من الدخول. وقفتُ هناك وتردّدت.

في الحقيقة، لم تكن الحديقة متاحة تماماً. ثمة نوع من الجلالة يقيم هناك. وحتى مع أنني كنت أنتمي تقريباً إلى هذا المنزل عندما كنت صغيرة، فقد شعرت بشيء من اللاأمان. بالتوق القديم نفسه إلى الانتماء، والشك ذاته بأنني كنتُ قد فعلت الأمر نفسه ذات مرة.

كل شيء كما هو. ما يزال للحديقة الصخرية، بسنديانتها القديمة، تأثيرها السحري نفسه عليّ كما في المرة الأولى التي جئت فيها إلى هنا طفلة. ما تزال صخرية، برّيّة، جامحة، ومشعثة. والأرجوحة، وسلم الحبال، وحبل الليف، اختفت كلها بطبيعة الحال، شأنها شأن الكوخ وسفينة القراصنة. لكن جو المغامرة ما يزال هناك.

لم أعرف من هو الذي يملك المنزل الآن. ربما ما تزال عائلة غاتمان.

ببطء خطوت صاعدة الأدراج المصنوعة من جذوع الأشجار في اتجاه البيت البني. كانت نهاية سبتمبر، وظننت أن أحداً لن يكون قد بقي هنا حتى هذا الوقت المتأخر. لم تكن في المكان سيارة متوقفة، وهذا ما جعلني أشعر بمزيد من الاطمئنان.

مشيت حول المنزل وإلى الشرفة. كان البحر زرقة كثيفة، كما تكون حاله فقط في الربيع والخريف. بدا أشبه بحبر سميك من الماء.

وقفت على أطراف أصابعي ونظرت من خلال النافذة.

للحظة وجدت نفسي في حلم غرائبي. كان منزلي الخاص هو الذي أنظر إليه!

t.me/ktabpdf مكتبة

الأرائك المصطفة في شكل زاوية قائمة، بأغطيتها المخططة بأقلام عريضة زرقاء وبيضاء؛ اللوحة ذات السفينة المعلقة على الجدار فوقها؛ مائدة الطعام المستديرة التي يمكن جعلها أطول بمفصلها المدهش، والمقاعد بأرجلها الملتوية ومساندها المستديرة؛ المصباح المظلل المتدلي من سلسلته في الأعلى؛ صندوق البحر. المقعد الهزاز الأبيض، بوسائده الشرقية ومسند الرأس الصغير ذي الشرابات؛ الرفوف العالية المعلقة على الجدران في كل أنحاء الغرفة، والمليئة بكل الغرائب والتنويعات.

كل شيء يشبه غرفة جلوسي إلى حد لا يصدق. وعندما هدأت الدهشة شاهدت الفروقات، بطبيعة الحال، لكن الأمر ظل مدهشاً مع ذلك. لو كان أحد قد طلب مني أن أصف هذه الغرفة في بيت عائلة غاتمان، لما استطعت أن أفعل. إنني أتذكر المطبخ جيداً، وبالطبع غرفة آن ماري في العلية. أما هذه الغرفة بالذات، فكنت أتذكرها لِماماً فقط، ضائعة في غبش ضارب إلى الصفرة في ظلال الستائر المسدلة.

تطورت غرفة معيشتي شيئاً فشيئاً على مر السنين، ولم أفكر أبداً في حقيقة أنه كان في ذهني نموذج لها. لكنه لا بد من أن هذه الغرفة، بكل تفاصيلها، كانت في ذهني حتى أنني أثثت بيتي لاشعورياً على غرارها وأنا أظن أن ذلك كله من بنات أفكاري. كنت فخورة بمزجي القديم بالحديث، وبحقيقة أنني لم ألتزم بطراز محدد يمكن أن يضعني ضمن فئة محددة. كنت مسرورة بشكل خاص بفكرة الرفوف الطويلة العالية حول الجدران.

سمعت من ورائي صخب الولدين وهما يركضان في الشرفة. "تعالا. دعاني أريكما،" قلت، ورفعتهما واحداً تلو الآخر، بحيث يستطيعان أن ينظرا إلى الداخل.

"لا تضع يديك على النافذة. أترى؟"

هزّا رأسيهما بلا اهتمام وركضا مبتعدَين. غير أنهما لم يلاحظا الشبه بمنزلهما الخاص. ربما لا يرى الأولاد الأشياء على هذه الشاكلة!

واصلت التحديق عبر النافذة. بدا أن شيئاً لم يتغير هناك طوال أربعة وعشرين عاماً. كنت كما لو أنني أنظر مباشرة إلى الماضي.

خطوت إلى باب الشرفة ونظرت عبره إلى المطبخ. أبواب الخزائن ما تزال زرقاء، لكنها ليست الزرقة نفسها التي أتذكرها. لقد طُليت بلون جديد. اختفت الأواني المزروعة بنبتات إبرة الراعي. وبخلاف ذلك، كان كل شيء كما هو.

تصاعد صخب الولدين فجأة وخشيت أن يتلفا شيئاً. مشيت هابطة من الشرفة ودرت حول المنزل. كان جوناثان قد أحضر قصبة صيده من السيارة وأسندها إلى سنديانة.

"يفترض أن نذهب لصيد السمك، بعد كل شيء." اشتكى بنفاد صبر.

"حسناً" قلت. "سوف نذهب للصيد. أعرف مكاناً مناسباً."

كنت أفكر بشاطئ المحار؛ فكرت بأسماك القد العملاقة التي اعتادت أن تنسلّ إلى هناك، وبتلك الأوقات النادرة البراقة عندما تناضل سمكة سلمون مرقطة وقد علقت بالصنارة. هذا هو نوع الخبرة التي تمنيتها لـ...، لجوناثان.

مشينا إلى الطريق وقطعنا نحو ثلاثمائة قدم وأنا أحاول تخمين الاتجاه. في السابق، كنتَ تسير هنا عبر مرج، لكن بالكاد تبقّت مروج هنا. لا أحد يريد شراء التبن. لم تعد ثمة أبقار أو خيول ترعى العشب. أصبح المشهد غريباً لا يمكن تمييزه. أصبحت الحقول التي لم يتكاثر عليها البناء متورّمة بالأجمات أو نباتات الزعرور. بات المشهد كثيفاً وداكناً، مثل غرفة عجوز مكتظة بالأثاث. لقد ذهبت ملاعب طفولتي المفتوحة.

أخيراً، وجدت المكان الذي شققنا منه طريقنا بصعوبة عبر الغطاء النباتي. مراراً وتكراراً كان علينا أن نتوقف لنحرر صنارة صيد جوناثان التي تعلق بالفروع. نزعتها من الخيط ووضعها جوناثان في صندوق مع صنانير الصيد الأخرى.

عثرت على السور الحجري الذي ينبغي أن نعبره. وتعقبته حتى أجد المكان المنهار حيث يستطيع المرء أن يعبر. كانت هناك العديد من الأماكن التي انهارت فيه. وفي حقيقة الأمر، كان معظم السياج قد تهدم. قفزنا من مكان عشوائي وخرجنا من الغابات إلى صخور مغطاة بنباتات الخلنج.

لاحظت أننا بعيدون شيئاً ما إلى الغرب. لكني أدركتُ الآن، وقد أصبح المشهد

t.me/ktabpdf مكتبة

مفتوحاً، أين نحن بالضبط. ثمة الصخور القديمة نفسها. لم يتغير شيء هنا. وثمة ريح طازجة تهب.

اختبرت مرة أخرى ذلك الشعور المثير الرائع الذي يصاحب التقافز على الصخور بحذاء ذي نعال مطاطية. احتساب المسافة قبل القفز. الشعور بأن المرء هبط بالضبط حيث خطط، بكيف تتوقف أخمص القدم لوهلة على الصخرة الصلبة بما يكفي لتحمل الهبوط، ولينة بما يكفي لتسمح للقدم بتحسس كينونة السطح. بعيون المرء وهي تحدق في كل الأنحاء من حوله. بعقل المرء الذي ينشغل كل الوقت بتقرير أفضل السبل للمضي قدماً، متخذاً الخيارات والقرارات بلا توقف. بالشعور بجسد المرء وهو يصبح طيّعاً بروعة، ويتسلق، ويقفز، وينحني، ويتمدد.

كانت هذه، بطبيعتها، شؤوناً تخص ابنَيَّ بطبيعة الحال. إنهما يلعبان يومياً على الصخور في الوطن. كانا يتقدمان عليّ بفارق كبير، وكنت أرى قبعتيهما الحمراوين على صفحة السماء كلما توقفا من وقت لآخر على صخرة أعلى، واستدارا إليّ لأبيّن لهما الطريق بحركة من ذراعيَّ، مثل إشارة.

منذ فترة ليست طويلة، كنت أنا التي أسبق وأنتظرهما. كنت أهبط المنحدر أولاً وحدي، ثم استدير وألتقطهما، واحداً بعد الآخر، وأحملهما فوق الأماكن الصعبة.

تكوّن هذا المشهد الطبيعي بفعل الجليد في داخل الأرض. أصبحت الصخور مشقوقة تملؤها الصدوع والوديان الضيقة، ضحلة في بعض الأحيان، وأحياناً واسعة وعميقة، والتي يصعب أن يتبين المرء نوعها هي قبل الوصول إلى الحافة. قد يتبين أن النباتات في الشقوق، التي توقع المرء أنها مجرد سنديانات بطول قدمين، هي في الحقيقة قمم أشجار عالية تضرب جذورها على بعد ثلاثين أو ستين قدماً أبعد إلى الأسفل، ويتعين على المرء عندها أن يوقف نفسه فجأة مباشرة على الحافة قبل تنفيذ القفزة الكبيرة التي كان قد خطّط لها.

ثمة أنواع مختلفة جداً من النباتات يمكن أن تنمو في هذه الشقوق والوديان، وكل واحد منها عالم صغير في ذاته. السنديانات الصغيرة تنمو في معظم الأماكن. ولكن هناك مستنقعات صغيرة أيضاً، بخصلات من البردي، والصنوبر القزمي وعشب

القطن. وفي أودية أخرى، ثمة قطع صغيرة من عوالم رسام الطبيعة برونو ليبفورز، المبقعة بأجمات من شجيرات التنوب الغامقة، ومشاهد طبيعة مما قبل التاريخ حيث السرخس والكتل الصغيرة من العرعر المتشابك. ويبدو كل واحد من هذه العوالم وكأنه سقط مباشرة من السماء، من أجل أن يطور أصالته ويصقلها، صاعداً من الأسفل بين الصخور، في عزلة تامة عن المحيط.

عن طريق مثل هذا الوادي يمكنكَ أن تصل إلى شاطئ المحار، وهو السبيل الوحيد المتاح إذا كنتَ قادماً من اليابسة. نظرتُ بعيداً فوق المقطع الصخري لكي أعثر على الشاطئ بغطائه النباتي المختلط. لكننا ما نزال بعيدين جداً إلى الغرب.

عندئذ، تذكرت فجأة واحداً آخر من تلك العوالم في الأودية. عالماً مفروشاً بالعشب الأخضر الناعم وأشجار الصنوبر. كنا أنا وآن ماري قد دفنّا كنزاً هناك ذات مرة؛ علبة شاي من القصدير، كنا قد ملأناها بالأشياء.

فجأة، شعرت برغبة كبيرة في العثور على ذلك الكنز. أسرعت حتى لحقت بالولدين وأخبرتهما بخططي الجديدة.

"إننا ذاهبون لنبحث عن كنز،" قلت.

بدوا متشكّكين قليلاً، لكنهما ساعداني في البحث.

"من المفروض أن تكون هناك أشجار صنوبر،" قلت. "صنوبرات وعشب أخضر. وشجرة كرز بري."

"أخبرينا كيف هي تلك الصنوبرات مرة أخرى؟" سأل ماكس.

في الحقيقة، لم تكن لديّ أي فكرة عن مكان ذلك الوادي. كنت أتذكّر أشجار الصنوبر، والعشب الأخضر وشجرة الكرز البرّيّ جميعاً. أدركت على الفور أن العثور عليها أصبح مهمة مستحيلة. ألغيت البحث عن الكنز وواصلنا المسير إلى الشرق نحو شاطئ المحار. من المستحيل تفويت ذلك الوادي بشكل خاص. كل ما عليك أن تفعله هو أن تتعقّب خط الساحل حتى تصل إليه. وإنما ليس قريباً جداً من البحر، لأن المنحدرات هناك تهبط عمودياً تقريباً في البحر. راقبتُ الولدين بحذر.

ثم، وجدنا المكان المناسب ونزلنا ونحن نجلس القرفصاء وننزلق ببطء على

t.me/ktabpdf مكتبة

المنحدر على نعال أحذيتنا، وهبطنا في سجادة ثرثرت بحفيف أوراق الشجر التي جفت من العام الماضي. ثمة قاع جدول ناشف. أشجار البلوط، ورماد الجبل، وأجمات صغيرة من التوت الملون. أشجار جار ماء المسنة متصدعة اللحاء، ونباتات الأشنة الرمادية. وكرمات زهر العسل التي تلوّثت حول جذوع الأشجار وتشبّثت بها بشدة، حتى صنعت أخاديدَ عميقة في اللحاء.

صرخ ماكس بعد أن أفلتَ جوناثان غصيناً أصابه في وجهه. حاولت أن أواسيه، لكنه تملّص ومضى مبتعداً.

"أعتقد أنه لا يوجد بحر هنا أيضاً،" غمغم ونظر إليّ بعينين كبيرتين لطفل في السادسة من عمره. كان مرتاباً، متشكّكاً، وخائفاً تقريباً. هل جُنّت أمه؟ لقد نظرَت من خلال نوافذ الآخرين. حثته على البحث عن كنز ليس موجوداً. قالت إنهم في طريقهم إلى البحر لصيد السمك، لكنها تقوده بدلاً من ذلك أعمق وأعمق في غابات بدائية من الأغصان الخبيثة الحاقدة، المخاتلة، التي تجلد مثل السياط.

"كدنا نصل إلى هناك" قلت. ووضعت قبعته التي سقطت عندما ضربه الغصين على رأسه. وضعتها بالمقلوب إلى الوراء بالطريقة التي يحبها، لكن وضعها لم يكن صحيحاً مع ذلك، فخلعها على الفور وعاد فارتداها وهو يتنهد.

"حسناً،" قال واستجمع نفسه. "ما رأيك أن نواصل؟"

وصلنا الجدار السميك من أجمات العرعر وشجيرات برقوق السياج. عندما تقف هناك، تشعر كما لو أنك على بعد أميال من البحر، مسجوناً في غابة عميقة. أما في الحقيقة، فليس هناك سوى هذا الجدار، العصيّ على الاختراق، حتى بالنسبة للضوء، هو الذي يفصل بيننا وبين الشاطئ والبحر. هنا، يمكنك أن تشمّ رائحة الهواء المالح وأن تسمع هدير الأمواج والرياح، ولو أنك تقف في عالم ساكن تماماً، وبلا ريح.

في السابق، كان يمكن العبور من خلال هذا الجدار في مكان يجاور الجدار الصخري على الجانب الأيسر. ووجدت أن ذلك ما يزال ممكناً. ضغطنا أنفسنا على الصخرة، وأزحنا الفروع المغطاة بالإبر إلى جانب، وخرجنا إلى النور الباهر الذي يعشي العيون.

ركض الولدان على الشاطئ الصغير، وانسحقت أصداف المحار التي طرحها الماء تحت أقدامهما. كان الماء صافياً كالزجاج. وأشرق القاع الرمليُّ مثل جزر بيضاء صغيرة بين مستعمرات المحار. عندما كنت طفلة، كثيراً ما أتيت إلى هنا مع أبناء عائلة غاتمان لالتقاط المحارات الزرقاء الكبيرة جيدة التغذية، وكنا نطبخها مباشرة على الشاطئ في علبة نصف مملوءة بمياه البحر، على نار موقدة في العراء المفتوح.

أراد جوناثان أن يبدأ الصيد على الفور، وأريته المكعب الكبير المكون من صخرة كبيرة في الطرف الآخر من الشاطئ حيث المياه العميقة.

كان قاع المياه هناك غير عادي؛ منطقة في شكل مروحة من المياه الضحلة التي تمتد من الشاطئ. ثم أبعد من ذلك ينحدر القاع إلى أسفل فجأة، بحيث يكون تحت السابحين مياه بعلو الركبة عند إحدى النقاط، ثم يصل الماء إلى صدورهم مع الخطوة القادمة. ولا يصل الطفل إلى القاع مطلقاً عند هذا المستوى. إنه مكان استحمام يهدد الحياة بالنسبة للذين لا يستطيعون السباحة. وقد وجدت خلال إجراء بحوثي العديد من الأساطير عن هذه المنطقة، والتي تحكي عن كائن بحري أنثوي شرير يعيش في خليج ويسحب الناس إلى أسفل تحت سطح الماء. يمكن أن يكون هذا الخليجَ بالذات. ويمكن للمرء أن يتصوّر شخصاً يخوض فيه ليلتقط المحار، ثم يسقط فجأة في المنطقة العميقة، ويغرق. وسوف يعتقد شخص ربما يشاهد الحادث من الشاطئ أنه غامض لا يمكن تفسيره.

ليس لديّ أيّ معرفة بالجيولوجيا، لكنني أعتقد أن هذا التحول المفاجئ في المستوى له علاقة بالجلاميد الصخرية العملاقة التي التصقت أولاً بالجدار الصخري، ثم تدحرجت هابطة فوق الشاطئ وإلى الماء، منفصلة بتأثير تمدد الجليد الداخلي. وأتصوّر أنّ هنالك تحت الشاطئ ومنطقة ساحل المحار الضحلة، صخوراً كبيرة انزلقت من هنا وملأت الخليج، وأن الانحدار العميق المفاجئ يقع مباشرة حيث تنتهي هذه الصخور.

كان الولدان يتسلقان الصخور في الجوار. طلبت إليهما توخّي الحذر. ينتاب المرء شعور قوي بأن هذه الصخور يمكن أن تشرع في التدحرج مرة أخرى في أي

t.me/ktabpdf مكتبة

وقت. وفي الحقيقة، يبدو من الغريب أنها تستطيع أن تستلقي هكذا، كما تفعل، على ذلك المنحدر الحاد. وكأن رُقية ساحر أوقفتها عن التدحرج فتجمدت سريعاً هناك. وقد أصبح كل شيء مستقراً جداً، بطبيعة الحال، بعد آلاف السنين. لكن الصخور اتّكأت على المنحدر متفاوتة غير مستوية، ومن السهل أن تضع قدمك في المكان الخطأ، ويمكن للمساحات المظلمة بين الصخور أن تبتلع بسهولة جسم طفل.

انزلقت تحذيراتي على ظهريهما مثل الماء. ركضا في جميع الأنحاء كما لو أنّهما يلعبان في مطبخ المنزل، وتنفّست الصعداء عندما قرّرا أن يذهبا أخيراً إلى الصخرة التي كنت قد اقترحتها ليصيدا السمك من عليها.

وضع جوناثان الخطّاف في صنارة الصيد، ووضع الطعم فيه. كان قد حصل على قصبة الصيد في الصيف الماضي. لكنّه لم يحصل أبداً على أي صيد، ولو أنني عادة ما أدعو الله، علّه يصطاد سمكة في نهاية المطاف.

كان ماكس منشغلاً بركل الأصداف على الشاطئ وسحقها تحت قدميه. أصابني ذلك بمشاعر متضاربة. كنت أفهم سعادته بصوت الانسحاق، لكنني شعرت في الوقت نفسه بعدم الارتياح من نزعته التدميرية. تلك الأصداف الجميلة الزرقاء والبيضاء المبهمة! تساءلت عما إذا كان ينبغي أن أقذفه بواحدة أخرى من نصائحي التي لا تُعدّ ولا تُحصى، أو أن أنظر بدلاً من ذلك في الاتجاه الآخر. اخترت هذا الخيار الثاني ولاحظت أن صنارة صيد جوناثان علقت في القاع. نهضت وذهبت إليه، وبعد فترة طويلة من الشدّ والجذب والتحريك من جانب إلى آخر، اضطُررت إلى قطع الخيط وتثبيت صنارة صيد أخرى.

عندما عدت إلى الشاطئ كان ماكس قد اختفى. لم يكن هنالك الكثير من المساحة حولنا بحيث يمكن أن يختفي. لم يكن على الصخور، وهو لن يذهب مطلقاً إلى الماء، أم أنّه فعل؟ ليس دون أن ألاحظ. ناديت باسمه ولم يجئني الجواب.

"هل رأيت ماكس؟" سألت جوناثان.

"رأيته قبل وقت قصير،" قال. "هناك." وأشار إلى الصخور. ناديت مرة أخرى.

عندما ناديت باسمه للمرة الخامسة أو السادسة ظهرت قبعة حمراء فجأة في مكان يصعب الوصول إليه، عالياً فوق الصخور. من الواضح أن التغيير الذي طرأ على صوتي، تلك النغمة الحادة المذعورة، هي التي أتت لي بالجواب.

ملأني وجهه المبتهج الجذِل بسعادة غامرة، حتى أنّني لم أفكر في المكان المستحيل الذي كان فيه، هناك عالياً فوق جلاميد الصخور الأبعد على القمة.

"ها أنت ذا!" هتفت مغمورة بالحبّ الأموميّ.

"كيف وصلتَ إلى هناك؟" صرخ جوناثان الذي كان يفكر بصفاء أكثر مني.

ضحك ماكس ببساطة.

ثم اختفى مرة أخرى، وابتلعَته جلاميد الصخور العملاقة. وعندما لم يظهر ثانية عاودني القلق.

كان جوناثان قد ترك قصبة الصيد واتّجه إلى حيث رأينا ماكس. لكنّه سرعان ما تخلى عن المحاولة. كان التفاوت في مستويات الصخور كبيراً جداً عليه فلم يتمكن من تسلق كل الطريق إلى الأعلى. ولكن، إذا كان جوناثان ابن التسعة أعوام قد فشل في ذلك، كيف إذن تمكن أخوه الصغير ابن الست سنوات من الوصول؟

"ماكس!" صرخت. "توقّف عن اللعب واخرج من هناك! من الخطر اللعب حول تلك الصخور! ماكس!"

في اللحظة التالية سمعت ضحكته مباشرة إلى جواري. هناك جلس، بين صدفات المحار عند قدمي وضحك وصاح وهو يرمي حفنات من الرمال حوله. حملقت في وجهه فحسب. بدا لي ظهوره هناك على هذا النحو خارقاً.

"كيف أتيت إلى هنا؟" سألت.

لكن جوناثان، الذي شاهد عدداً كبيراً من أفلام المغامرات ولعب كثيراً بألعاب الحاسوب، خمّن الوضع.

"لا بدّ من أنك عثرتَ على كهف! كهف يمتد من الشاطئ إلى الصخور في الأعلى. انتظر، أنا آتٍ معك."

"لا توجد كهوف هنا،" قلت.

t.me/ktabpdf مكتبة

لأنّ هذا المكان كان ملعب طفولتي. فإنني أعرفه كما أعرف راحة يدي.

ولم يكن ملعباً فقط. كان مكاناً خاصّاً جداً لأسباب أخرى كذلك. كان هنا، في شاطئ المحار، حيث عثرنا على مايا، أخت آن ماري الصغيرة التي اختفت صيف العام ١٩٧٢. بعد اختفائها لم نأتِ إلى هنا أبداً مرة أخرى، لكننا كنا نأتي إلى هنا قبل ذلك كثيراً جداً حتى أنني أعرف كل حجر، كل شق، كل تغيير في درجات ألوان مسطحات الأشنة.

تسلق ماكس معتلياً أقرب صخرة، ثم واصل طريقه نزولاً إلى مجاز ضيق فيما بين الصخور. وراقبه جوناثان، ثم تبعه.

"تعالي وانظري، ماما،" صرخ من الأسفل. "يوجد ممر طويل إلى هنا في الأسفل. يمكنك الصعود منه. تحت الصخور. تستطيعين النظر إلى فوق. أستطيع أن أرى السماء من هنا. شيء رائع."

سمعت أصواتهما قادمة من الداخل وحاولت أن أظل هادئة. مرة أخرى ترتّب عليّ أن أقول لنفسي إن الصخور مستقرة ومتشبثة بالأرض. إذا كانت هناك منذ آلاف السنين، فإنها لن تتحرك على الأرجح خلال الفترة القصيرة التي سيستغرقها ولداي للخروج في الأسفل. ومع ذلك، كان مجرد وجود هذه الكتل الهائلة من الحجارة فوقهما فكرة مخيفة. تنفّست الصعداء عندما رأيتهما يجتازان الفتحة ويلوّحان لي من ذلك المكان العالي الذي لا يمكن الوصول إليه حيث كان ماكس من قبل.

تسلق الولدان صعوداً وهبوطاً في الممر عدة مرات. استلقيت على بطني فوق الصخرة الأقرب إلى الشاطئ ونظرت في الشق الواسع الذي يصنع مدخل المعبر. رأيت هناك كمية من أصداف المحار، وكومة متشابكة من ريش النوارس والرمال. ورأيت حيّزاً معتماً تحت الصخرة المجاورة. لم يراودني حتى حلم بالنزول إلى الأسفل والزحف إلى الداخل، لأنّ لديّ رُهاباً من الفضاءات الصغيرة الضيقة.

كان وصف جوناثان خاطئاً. لم يكن هنالك كهف. كان ذلك ببساطة مجرّد فراغ تحت الصخور، والذي تشكل بفضل الحجارة الصغيرة التي تسند الصخور الكبيرة.

ولماذا بحق الله لم أكن أنا وآن ماري، خلال زياراتنا الكثيرة جداً إلى هذا الشاطئ، قد عثرنا على هذا الشيء المذهل الذي عثر عليه ولدايَ في خمس عشرة دقيقة؟

ببساطة لم يكن قد خطر لأي منا أن تقفز نازلة في شق من هذا النوع. أعتقد أننا لم نكن شجاعتين بما يكفي أو مهتمتين بما يكفي أو حمقاوين بما يكفي لنغامر بخوض مثل هذه المخاطرات.

لكن من المدهش أن يعثر الولدان على شيء كهذا. كثيراً ما أفكّر بأنهما يعلمّاني أكثر مما أعلمهما.

في اللحظة التالية كان الولدان يصنعان الكثير من الصخب هناك. استطعت أن أسمع أصواتهما من خلال الفتحات.

"ماما! عثرنا على رجل كهف! هيكل عظميّ!"

"إنه حيوان على الأغلب،" قلت. "ربما حيوان المنك. يوجد الكثير من حيوانات المنك هنا."

"انظري إلى هذا إذن!" جاء صوت جوناثان، أبعد قليلاً الآن.

نظرت إلى الأعلى، ومرة أخرى، رأيت رأساً في مكان مستحيل.

لكنه لم يكن هذه المرة رأس ولد بقبعة حمراء ينظر إليّ ضاحكاً من بين الجلاميد الصخرية الهائلة. كانت جمجمة بشرية صفراء ضاربة إلى البنيّ، بثقوب في مكان العينين.

كانت سيارة الشرطة جديدة وانسابت بنعومة وصمت. جلستُ في المقعد الأمامي.

"وماذا تعملين؟" أراد الشرطي في المقعد الخلفي أن يعرف.

كانت المسافة كبيرة بين مركز الشرطة وبين تانجيفيك، وترتّب علينا أن نتحدث عن شيء ما خلال الوقت الذي تستغرقه الرحلة. كنا في سيارة عادية، ليست سيارة شرطة. وكان الرجال يرتدون الملابس المدنية ويتحدثون بلهجة محليّة.

t.me/ktabpdf مكتبة

"أنا مساعدة بحث. في متحف السلالات البشرية،" قلت.

"وعن ماذا تجرين أبحاثك؟"

"عن أسطورة الاختطاف فوق الطبيعي، عن أسطورة الاختفاء. كما تعرفون، كانوا يرسلون الفتيات في الأيام الخوالي إلى الغابات غير المأهولة للعناية بالأبقار. ثم كنّ يختفين لسبب ما، فكانوا يقولون إن المتصيّدين يأخذونهنّ ويستبقونهنّ محبوسات في الجبل. أو، عندما يصبح أحد ما مضطرب العقل وتتغير شخصيته، يعتقدون أنه اختُطِف وأصبح مسحوراً."

تحدثتُ بسرعة وبحماس كبير. عندما لا أجد شيئاً لأتحدث عنه مع أناس لا أعرفهم، أتحدث دائماً عن أبحاثي. معظم الناس يبدون الاهتمام. تحدّثتُ عن ذلك مع الركاب الآخرين في القطار، مع الذين يجلسون بجواري في موائد العشاء، ومع أصدقاء ولدَيّ. وكان الموضوع ناجحاً دائماً.

"هذا النوع من الأسطورة يوجد في أجزاء كبيرة من العالم،" مضيت في الحديث. "لكنه يبدو مختلفاً قليلاً في الأماكن المختلفة. في السويد والنرويج، يختفي الناس في الجبال. وفي إنجلترا يختفون في التلال. وهناك أقزام بدلاً من الغيلان."

"لكن أحداً لا يصدّق هذه الأشياء في هذه الأيام، أليس كذلك؟" قال الشرطي الذي يقود السيارة.

"كلا، إنهم لا يصدّقون. لكن هناك أناساً يمكن أن يتحدثوا عن كيف اختطفتهم كائنات غريبة وأخذتهم على متن سفينة فضائية. ذلك شكل معاصر من الأسطورة. لكن النمط هو نفسه. إنهم يتعرضون للاستغلال على يد كائنات غريبة، ويخضعون إلى تجارب طبية وما شابه. هناك سمات جنسية موجودة في القصة. يمكن أن يتلقوا شيئاً في المقابل، لكن شيئاً مهمّاً يكون قد أُخِذ منهم أيضاً. إنها كائنات لا شريرة ولا طيبة، ليست لها مشاعر. إنها ترى الكائن البشري مجرد شيء أو موضوع. وبعد الواقعة يتغير العرض. ويكون فقدان الذاكرة أمراً معتاداً. وعن طريق الأحلام والتنويم المغناطسي أو العلاج، يتمكن العائدون من تذكر ما حدث لهم. هناك في الولايات المتحدة معالجون متخصصون في معالجة هؤلاء الناس. لكن بعض النقّاد يعتقدون

أنّ المعالجين يقومون أيضاً بزرع هذه الذكريات في عقول الضحايا."

"يا إلهي، نعم، يوجد الكثير جداً من الأغبياء الحمقى،" اشتكى الشرطي في المقعد الخلفي.

"ألا تصدقهم؟" قلت بلهجة مستفزة.

عادة ما يصبح الناس الذين لا ينجذبون إلى هذه فكرة الأسطورة متوترين. بعض الناس لا يستطيعون تحمل التفسيرات غير العقلانية.

"وماذا تظنّين أنتِ؟" سأل السائق.

أجبت كما أفعل عادة:

"لا أصدّق شيئاً. أنا أدرس الأسطورة. هذا هو عملي."

"ليتنا نستطيع ذلك،" قال الشرطي السائق بهدوء. "فكّر فقط، لو أننا شرعنا بعمل ذلك يا جان إيريك؟ بمجرد أن يبدأ الأشرار في العمل، نجلس هناك وندرسهم فقط؟"

ضحك الشرطي الجالس في الخلف، واستمرا في الحديث معا بينما واصلتُ التفكير في فكرته. "الأكاذيب في تحقيقات الشرطة." لا بد أن تكون هناك أكاذيب كثيرة بقدر لا يُصدّق في ملفّاتهم. يا له من مَنجم للشعر، والأفكار، والتعبيرات المختلفة عن قدرة الناس على الابتكار. ما رأيك في الكذب؟ إنك تريد أن تبدو بريئاً، بطبيعة الحال، ولكن أيّ نوع من الأساليب تستخدم لأجل ذلك؟ هل الأفضل أن تقلّل من شأن نفسك أم أن تؤكّدها؟ هل ينبغي أن تنسج بعض التفاصيل الصغيرة الموثوقة أم يجب أن لا تفعل، وأن تكون على العكس من ذلك، مختصَراً قدر الإمكان لتتجنب الوقوع في المصيدة؟ هل تكون تلك القصص التي تتكرّر وتستمر في العودة أكاذيبَ نمطية يعرفها رجال الشرطة؟ هل تستعير تلك الأكاذيب من أخرى أم أنها تَرِد إليك بشكل عفويّ؟

وصلنا إلى تانجيفيك وركنّا السيارة عند حافة الطريق.

عدة مرات خلال مسيرنا إلى شاطئ المحار سأل الشرطيان: "هل هذه هي الطريق الوحيدة حقاً؟"

t.me/ktabpdf مكتبة

"يمكن الوصول إلى هناك بالقارب أيضاً. لكن هذه هي الطريق البرية الوحيدة."

سألا مرة أخرى بينما كنا ننزلق نازلين على سطوح الصخور المنحدرة إلى الشق الشبيه بالغيضة في الوادي: "هل هذه حقاً هي الطريق الصحيحة؟" ونظرا إليّ كما فعل الولدان من قبل، وقرأت أفكارهما: "متصيّدون وكائنات فضائية وهياكل عظمية. لا شك أنكِ تقابلين كل أنواع الناس في هذا العمل."

أصبحت الريح أكثر قوة عند الشاطئ مما كانت في السابق. وقفت هناك وأنا أرتجف بينما تسلق أحد الشرطيين نازلاً تحت جلاميد الصخور. الشرطي الذي كان يسوق. كان أصغر سناً وأفضل هيئة. بينما وقف الآخر هناك وداس بقدمه صدفات المحار بصبر نافد.

"لم نلمس أي شيء... لقد أعاد ابني الجمجمة إلى حيث وجدها بالضبط،" قلت.

تذكّرت قصة "رجل الثلج" الذي عثروا عليه في جبال الألب وتعاملوا معه بالقليل جداً من العناية، ولذلك أعطيت تعليمات صارمة لجوناثان بأن لا يمسّ أي شيء آخر.

أطرق الشرطي بصمت. كان الآخر الأصغر سناً في طريقه عائداً من الممر. وكان بالوسع سماع صوته وهو يلعن عندما ارتطم رأسه بالسقف الصخري. ثم ظهر مجدداً من خلف الصخرة الأخفض، وزحف عليها هابطاً إلينا على الشاطئ. لهث بعض الشيء جراء الجهد الذي بذله.

"نعم،" قال لزميله. "إنها على حق. ثمة شيء هناك."

ثم استدار إليّ، وأشار إلى قمة المنحدر وقال:

"ذلك الشخص في الأعلى أصدقه. لا بد من أنه اختُطِف."

"ألن تأخذوه معكم؟" سألت.

مكتبة

هز الشرطي الأصغر سناً رأسه.

"سوف نأخذه في المرة القادمة. لكننا سنأتي بالقارب."

وقفت أوسي، مرتدية سترة وعصابة رأس عليها زخارف حمراء، على سلم في الحديقة الكبيرة العائدة لكوخ العائلتين المشترك تقطف التفاح. وتحتها كانت كومتان من الثمار، واحدة للتفاحات السليمة، وأخرى للتي ضربها الدود. ووقفت هيدا، ابنة أوسي وأندرس الصغيرة ذات السنتين عند أسفل السلم لتستقبل التفاحات التي تناولها لها أوسي، ووضعت كل تفاحة ببراعة على الكومة الصحيحة. تحدّثنا معاً بهدوء ودعة. وفي الجزء المزروع من الحديقة، التمعت زهور النجمة زرقاء وبلون أحمر صدئ، مع صفوف من نوع ما من رؤوس الملفوف متجعدة الأوراق.

عندما كنا، أندرس وأنا متزوجين، اعتبرنا العيش في كوخ ترفاً لا يمكن الوصول إليه. أو، ربما كنت أنا وحدي التي نظرت إلى الأمر كذلك. كانت مجرد فكرة امتلاك مليون كرونة تجعلني أرتجف. ومع ذلك، لا أعرف إذا كانت تلك هي الطريقة الخطأ للنظر إلى الأمور... لا يمكن أن يكون دخل أوسي وأندرس معاً أكبر مما كان عليه دخلنا أنا وهو. لكنهما يعيشان في حديقة خيالية وفي كوخ عتيق، حتى ولو أنهما يعيشان في نصفه فقط. كنا نعيش محشورين في الشقة الصغيرة بجوار الميناء. وما نزال أنا والولدان نقطن هناك.

ركض الولدان إلى هيدا وحملاها وهما يحمحمان بصخب. إنهما يحبّان حقاً أختهما الصغيرة نصف الشقيقة.

"مرحباً،" قلت، ووضعت حقيبة أغراض الولدين على الأرض: "فكرت أنكم ستكونون في الخارج هنا. قرعت جرس الباب، لكن أحداً لم يُجب."

"أندرس في النادي الرياضي. سوف يكون هنا عما قريب،" قالت أوسي وهبطت عن السلم. "ظننا أن من الأفضل الاهتمام بالتفاحات قبل قدوم الصقيع. سوف يكون الصقيع كثيراً هذا العام. لا نعرف في الحقيقة ما نفعله بكل هذا التفاح. أعتقد أننا سنصنع بهذه عصير تفاح." وأشارت إلى كومة التفاحات الأقل جودة.

أيّ "نحن" تقصد؟ فكرتُ. لا يمكن أن تتوقع حقاً أن يقلق أندرس بشأن محصول التفاح، أيمكن أن تفعل؟

t.me/ktabpdf مكتبة

عندئذ سمعنا صوت السيارة وهو يركنها في المرآب، ثم ظهر هناك فجأة بين أشجار الفاكهة. أصبحت له عضلات منذ بدأ ارتياد الصالة الرياضية قبل سنة. كانت ضفيرة الحصان التي صنعها بشعره هذه الأيام ما تزال مبتلة بعد استحمامه السريع. وقف هناك وهو يضع بعض السعوط تحت شفته العليا، بنفس الحركة المألوفة. لوهلة قصيرة جداً، شعرت بخفقات الحب، والتوق والغيرة. هل كنت مخطئة في تطليقه؟ هل افتقدت شيئاً فيه؟ خصيصةً ما رأتها أوسي ولم أرها أنا فيه؟ كان يمكن أن يكون هذا الرجل الوسيم ذو العضلات وضفيرة ذيل الحصان ما يزال لي، ينبغي أن يكون لي، إنه لي بطريقة ما، وللأبد.

لكن ذلك الشعور اختفى على الفور عندما اقترب، وحيّا، وشرع في الحديث. إنه نفس أندرس القديم، ببساطة. كلا، لم أخطئ في أي شيء.

أخذ يلعب تنس الريشة مع جوناثان، وقذف الكرات بقوة وسرعة يستحيل على جوناثان معها أن يعيدها إليه. وعندما شرع جوناثان بالشكوى، حمل أندرس ماكس، وقلبه رأساً على عقب وعلقه من قدميه. كان قاسياً جداً، وعنيفاً جداً، كالمعتاد. كان ماكس قد تقيأ ذات مرة عندما فعل به ذلك، وفي مرة أخرى ارتطم رأس جوناثان بالأرض. الآن نسوا كل ذلك، الولدان وأندرس على حد سواء. أراد جوناثان أيضاً أن يُحمل من قدميه. تناوب الولدان الضحك والصراخ. إنهما يحبانه بكثافة، ذلك الولد الأخرق الذي هو والدهم.

"حسناً، سوف أُقلع الآن. هذه سراويل السباحة في حال ذهبتما إلى البركة. تمتّعا بوقتكما. أراكما يوم الاثنين."

قبلتهما مودعة، وسرت عبر الحديقة إلى الشارع، وقدت السيارة باتجاه البلدة مرة أخرى. كانت الشمس تسطع منخفضة في السماء، والأشجار مثقلة بالفاكهة. كان الطقس ما يزال دافئاً، أقرب إلى الصيف منه إلى الخريف. وبعد بحث طويل، وجدت مكاناً للاصطفاف أخيراً على بعد مقطعين سكنيين عن بيتي. صعدت الأدراج وفتحت الباب على الشقة الفارغة.

لقد بدأت عطلة الأسبوع الخاصة بي.

كنا قد قررنا أن يبقى الولدان مع أندرس كل ثالث عطلة نهاية أسبوع، من بعد ظهر الجمعة حتى صباح الاثنين.

مباشرة بعد الطلاق، كنت أتطلع إلى نهايات الأسبوع تلك، التي أصبحت ملكي بشكل كامل. عندما كنت متزوجة، ظننتُ أن وقتاً رائعاً وجميلاً من الحرية ينتظرني بعد انتهاء الزواج. كان زواجي مملاً. كنا نشعر مثل شقيق وشقيقة. حافظنا على علاقتنا الجنسية طبعاً، لكننا كنا نتحدث عنها بما يشبه المزاح: "أظن أن الوقت قد حان لممارسة واجباتنا الزوجية." كان ذلك مروّعاً. كثيراً ما وقعت في حب رجال آخرين واستمتعت ببعض المغازلات البريئة مع الناس الذين أعمل معهم أو ألتقي بهم في الدورات أو الحفلات. اللعنة، أنا متزوجة! كنت أقول لنفسي. لم أتصور إقامة علاقة غرامية مع أحد آخر. كان أندرس سيلاحظ على الفور. أنا سيئة في الكذب، خاصة عليّه. ما كان ليغار، لكنه كان سيقول، بفلسفته الصبيانية حول العدالة: "إذا كان هذا هو واقع الحال، فإنني أستطيع بالتأكيد أن أفعل الشيء نفسه." وما كنت سأحتمل ذلك. لكن كوني مطلقة يختلف.

في البداية استمتعت بنهايات الأسبوع الخالية من العمل بشكل كبير. أخذت حمامات طويلة ووضعت بلورات الحمام الكرستالية الناعمة في الماء، وأضأت شمعداناً على حافة حوض الاستحمام. اشتريت الكثير من الملابس وخرجت مع الأصدقاء. أصبحتُ جاهزة أخيراً لدخول عوالم العاطفة غير المطروقة التي اعتقدت أنها تنتظرني خارج قيود الزواج. واكتشفت أنها ليست موجودة. أدركت أن المغازلات كانت مجرد مغازلات وليس أكثر، وأن الرجال الذين كانوا يجذبونني عندما كنت متزوجة هم أناس متزوجون بقدر ما كنتُ أنا آنذاك، وأنّ اهتمامهم بإقامة علاقة قليل بقدر ما كان اهتمامي بها قليلاً في ذلك الوقت. الآن، لم أقع في حب أي شخص. وباستثناء تجربتين كئيبتين جداً ومحرجتين وقعتا خلال الأشهر الأولى بعد الطلاق (أحدهما صديق في العمل، والآخر غريب على عبّارة إلى الدنمارك)، فإنني عشت بلا رجال تماماً. في البداية فكرت في الأمر كتوقف قصير، لكنني أدركت شيئاً فشيئاً

t.me/ktabpdf مكتبة

أن هذه ربما تكون الطريقة التي ستكون عليها بقية حياتي، وفاجأني أنني وجدت نفسي لا أمانع.

وهكذا، أصبحت مشاعري متبلدة بسبب غياب المشاعر بالتحديد. كان الإيجابي في الطلاق شيئاً آخر، شيئاً أكثر تفاهة بكثير، لكنه أكثر أهمية بكثير مما كنتُ أعتقد -حقيقة أنني لم أعد مضطرة للتنظيف بعد أندرس، لم يعد يترتب علي أن أقنعه، أن أتذمر أمامه، وأتملقه، وأتنازل لأجله. أدركت كم من الوقت والطاقة كان يكلفني ذلك. كل تلك الضجة والشجارات التي بلا حرب —وإنما شجارات مع ذلك- والتي تستمر إلى وقت متأخر من الليل حتى تجد نفسك متعباً مثل قتيل في اليوم التالي.

عندما لم نكن نتشاجر كنا نشاهد التلفاز. كففتُ عن ذلك تماماً عندما رحل أندرس. عندما كان الولدان يذهبان إلى سريريْهما، صرت أجلس وأقرأ، أو أمشي في مضمار الغولف وأنا أستمع إلى المذياع. وغيّرت عاداتي في الأكل أيضاً. أدركتُ أنني لم أكن أحب أبداً حساء لحم البقر أو كرات اللحم، وإنما أحبُّ الطعام النباتي والشرقي.

لفترة قصيرة استمتعت أيضاً بشعور مسكر من البهجة بالحيز المادي. استمتعت بالمساحات الفارغة التي تركها مكتبه، وأرفف كتبه، والأريكة والمقاعد القديمة القبيحة. لكن هذه المساحات لم تلبث حتى امتلأت مرة أخرى في وقت أسرع مما توقعت.

مفاجأة. كان هذا هو رد فعل أندرس عندما اقترحتُ الطلاق. لم تكن الأمور بهذا السوء، كما كان يعتقد. لكنني إذاً كنتُ أريد ذلك حقاً، حسناً. كان أصعب شيء في الموضوع هو أنه سيترتب عليه الحصول على شقة جديدة. تذكر كيف كان صعباً ومعقداً أن نحصل على شقتنا التي أردت الاحتفاظ بها بما أن الولدين سيعيشان معي. لكنه كان محظوظاً. بسرعة حصل على شقة جديدة، وبالسرعة نفسها تقريباً حصل على امرأة جديدة أيضاً. استدار فقط، وكانت هناك.

هذه بالضبط هي الطريقة التي وصف بها الأمر لي: "استدرت فقط، ووجدتها واقفة هناك."

كان ذلك في مكان عمله: المتحف الإثنوغرافي. كان واقفاً في مخزن المتحف يعالج شيئاً ما. ثم التفت حوله ورآها واقفة هناك تضع صورة بطاقة بريدية بأقنعة هندية على منصة. كانت عاملة بديلة جديدة، في الثانية والثلاثين، طازجة وصحية المظهر، بلهجة نرويجية، وشعر بني قصير، وبحلية في هيئة ريشة هندية في إحدى أذنيها. كانت غرفة النساء في حياته فارغة، لذلك التفت حوله، ووجد امرأة ودقات قلب. ومرة أخرى أصبحت تلك الغرفة مشغولة. (أتذكر الآن أنه كان في وضع مماثل عندما التقينا أنا وهو في محطة السكك الحديدية في فولكوبينغ، كان في طريقه عائداً إلى البيت بعد أن انفصل عن فتاة للتو. كان غير مرتبط لبضع ساعات فقط عندما ظهرتُ أمامه).

أخبرتني أوسي عن وضعها في ذلك الوقت. كان أحد المنجّمين قد أخبرها بأنها ستلتقي رجل حياتها قبل نهاية العام، وهو ما جعلها سعيدة جداً. بعد حياة حرة مليئة بالتجوال، أصبحت تتوق إلى الاستقرار وإنجاب أطفال. كان اليوم الذي وضعت فيه بطاقات الصور البريدية بالأقنعة الهندية على المنصة هو ١٩ ديسمبر، الذي لم يكن يسبق كثيراً نهاية السنة، وكانت أوسي تتفحص كل ذكر تصادفه بتوقع متلهف. وبمجرد أن خطَت إلى المخزن، لاحظت الرجل الذي يرتدي سترة جلدية سوداء منحنياً يصنع شيئاً ما بالدُّرج خلف الطاولة. راقبتْه كل الوقت من طرف عينها، وعندما اعتدل مغضباً بعض الشيء، التقت نظرتها بعينيه. قال لي أندرس أنه لاحظ على الفور شيئاً مختلفاً. (أتصور أن توقعها جعل بؤبؤيها يتسعان، وخديها يحمران خجلاً -إشارات الطبيعة لرقصة التزاوج). كان قد خطط ليسأل عن ذلك الشيء الذي يبحث عنه في الدرج، لكنه نسي فجأة ما هو ذلك الشيء. سمع لهجتها النرويجية الجميلة وأنها ستعمل هناك. أخذ اليد التي قدمتها له وسمع في اللحظة نفسها ذلك الصوت الناعم، وإنما المميز، لما كان الملك كارل السادس عشر غوستاف قد وصفه بأنه "تكّة،" وهو وصف كان أندرس قد سخر منه في السابق، لكنه وجده الآن صحيحاً بشكل خارق للطبيعة. "هذا بالضبط ما كان عليه الأمر،" قال عندما أخبرني عن كل شيء وهو جالس إلى طاولة مطبخي، "ذلك

t.me/ktabpdf مكتبة

بالضبط هو ما كان عليه الأمر، تكّة فقط. لقد سمعتها بالفعل."

مثل قطعتي "ليغو" وُصِلت إحداهما بالأخرى. مثل قطعة من أحجية وُضعت في مكانها. مثل نصف زرّ كبّاس دفع ليشتبك بنصفه الآخر. صوت اسكتمال. تكّة.

ذهب شعوره الغريب بالفراغ. أصبحت لديه امرأة مرة أخرى. أراد أن يستقر معها، ويشتري منزلاً، وينجب أطفالاً. ولم يكن لديه أي شيء ضد ذلك. كان ذلك طبيعياً، ببساطة.

أخذت حماماً سريعاً. كنتُ قد توقفت عن الاستحمامات المتقاربة؛ من المزعج تنظيف حوض الاستحمام. ارتديت رداء بشكير الحمام وجلست على الأريكة مع كوب من الشاي وتفاحة من حديقة أندرس وأوسي وشرعت في تقليب أوراقي. كان يفترض أن ألقي خطاباً في مكتبة المدينة في المساء، وفكرت قليلاً حول أي من قصص الاختطاف هي التي سأتحدث عنها. عادة ما أختار القصة التي تسمى "علامات الأظفار على إفريز النافذة" عندما يكون الجمهور من النساء. واستخدم قصة "عامل المنجم" كلما رأيت بضعة رجال بين الحضور.

انتقلت إلى جهاز الحاسوب لأتأكد من بعض الأشياء. لدي ستة ملفات مختلفة أجمع فيها المعلومات: "من هو الذي يتعرض للخطف،" "من الذي يقوم بالخطف،" "النوع: اختطاف فيزيائي، اختطاف روحاني،" "الوقت الذي قضاه المخطوف في الجبل،" "إطلاق السراح،" "ما حدث بعد ذلك." ثم كتبت خطابي في شكل كلمات رئيسية، وشغلت الطابعة وفتحت باب خزانة ملابسي.

في الأيام العادية، عادة ما أرتدي التنانير الطويلة المشتراة من المخزن الهندي والكنزات الصوفية ذات الأشكال المرسومة. لكنني في هذا النوع من الأغراض أتجنب بدقة ارتداء الملابس التي لها أي علاقة بالفولكلور. وبينما كانت طابعتي تبصق خطابي، جربت بدلة ذات لون غير محدد بين البني والأخضر الذي سمّته البائعة لون "الخُلد" لسبب ما غريب، لكنني غيرت على الفور إلى بنطال أسود،

وكنزة مستديرة العنق وسترة من الجلد الأسود الرقيق. ثم جففت شعري وسرحته في عقدة فالتة لإعطاء انطباع بالاحتراف والأنوثة معاً. رتبت حقيبتي، وضعت أحمر الشفاه، وارتديت معطفي وحذائي ذا العنق العالي، وغادرت.

t.me/ktabpdf مكتبة

"الأساطير التي تعني أن إنساناً يُختطف ويبقى محبوساً في مكان لا يمكن الوصول إليه على يد مخلوق خارق تحدث إلى حد كبير في العالم كله."

"هناك تعبير في اللغة اليونانية، "رقيق الحوريات،" ويعني أن تأخذَ المرءَ حوريةٌ، وهو ما تمكن مقارنته باختطافنا أو أخذنا بعيداً، لكنه يمكن أن يعني التشوش الذهني أيضاً أو حالة النشوة. في المشرق هناك مفهوم يعني أن المرء تأخذه الصحراء، وهو ما يعني أن الجن والأرواح الشريرة تختطف إنساناً. ويستخدم الألمان تعبير "متعة الجبل،" ولديهم أقدم الحكايات البطولية عن بنات الملوك اللواتي يحبسهن عمالقة ويقوم بتحريرهن رجال شجعان. تنتمي الأسطورة، كما نعلم، إلى الثقافة النوردية والسلتية."

لم يكن جمهوري كبيراً، لكنه لم يكن سيئاً كثيراً في الحقيقة بالنسبة لأمسية يوم جمعة. أعرف جيداً مدى صعوبة أن يخرج المرء ثانية في عتمة الخريف بعد عودته إلى منزله من العمل، وتناول العشاء والغرق في أريكة ضافية مريحة. قلت أشياء غير التي أود أن أقولها. هناك الكثير من الأحاديث التي أخطط لها، لكنني أحجم عندما يحين الوقت لذلك، بطريقة ما.

يتكون الحضور في أغلبه من فئتين تأتيان عادة للاستماع إليّ: الشابات الصغيرات بعواطف العمر الجديد، والسيدات المسنات المهتمات أكثر بالتراث المحلي.

"من الذي يتم اختطافه؟" سألت بنبرة خطابية. "حسناً، النساء الشابات والفتيات الصغيرات في خطر. هناك فترات في حياة المرأة، والتي تكون فيها ضعيفة بشكل خاص. يستطيع المرء أن يقول إنها تكون في خطر مباشرة في الفترة التي تسبق

أحد الطقوس الدينية: قبل التعميد، القبول، الزفاف، وقبل الطهارة بعد الولادة. عندما تكون قد مرت بواحد من هذه الطقوس، فإنها تصبح محمية ويمكنها أن تشعر بالراحة لبعض الوقت. ولكن،" واصلت وأنا أوجه كلامي لأحد الرجال القلائل في الغرفة، "حتى الرجال يمكن أن يتعرضوا للاختطاف أيضاً."

ثم حدثتهم عن عامل المناجم من منجم بيرسبيرغ في فورملاند، وهي قصة أعشقها جداً:

"قبل أن يهبط العمال إلى داخل المنجم كانوا يذهبون دائماً إلى محل الحّداد لإحضار المثاقب المشحوذة حديثاً. واعتاد أحد الرجال أن يتخلف هناك لفترة أطول. وعندما يهبط زملاؤه إلى المنجم، كانوا يجدونه قد وصل قبلهم إلى هناك. قرروا أنه لا بد من أن يعرف طريقاً مختصراً من دكان حداد، ولكنهم مهما فتشوا، لم يستطيعوا العثور على الطريق المختصر. وذات يوم قرروا أن يعرفوا سراً كيف يفعل الرجل ذلك. نظروا من خلال النافذة، ورأوا كيف اختفى الرجل مباشرة عبر أرضية محل الحدادة الصلبة داخلاً في بطن الجبل.

"عندئذ فهموا أنه كان مسحوراً. وعندما سألوا الرجل عن الأمر، اعترف بأنه كان قد تعرض ذات مرة للاختطاف. كان في مكان عميق داخل الجبل حيث توجد نساء جميلات وموسيقا جميلة. ثم سُمح له بالعودة إلى سطح الأرض ليعمل في المنجم كالمعتاد. لكن كان واضحاً أن جماعة الجبل ما يزال لهم سلطان عليه. شوهد وهو يمشي على سطح البحيرة. ثم طُلِب إلى امرأة حكيمة أن تكسر عنه الرُّقية. وكان الشيء الوحيد الذي استطاعت عمله هو أن تجعله يخوض في الماء كما لو أنه يخوض في ثلج عميق. ووفقاً للمأمور الذي روى القصة، كان من الغريب رؤية ذلك. لكن الرجل لم يكن يفعله كثيراً. وبعد ذلك بوقت قصير، خاض الرجل قاطعاً مياه البحيرة كلها ولم يعد بعد ذلك أبداً."

(أحب هذا الجزء عن التخويض. حكاية أنه أصبح نصف مسحور فقط. وأن ذلك كان حالة غير مُرضية جداً حتى أنه فضّل العودة إلى المتصيدين مرة أخرى. أستطيع أن أراه وهو يخوض عبر البحيرة فقط، ورُشاش الماء يتطاير من حول ساقيه

t.me/ktabpdf مكتبة

بينما كان بوسعه في السابق أن يمشي بسهولة بالغة على السطح).

"هناك حالات أيضاً تعرضت فيها جماعات كاملة من الناس للاختطاف،" مضيت في الحديث. "هناك قصص عن مواكب الأعراس، على سبيل المثال. لم يكن العريس أو العروس هما اللذان يُختطفان فقط في طريقهما إلى الكنيسة، وإنما موكب العرس كله، مع الخيول والعربات.

"يفترض أن فصيل مدفعية ميدان اختُطف كله ذات مرة في موسيبيرغ. لكن هذه الحالات من عمليات الخطف الجماعي تبقى نادرة. بالإضافة إلى أنه ليس الناس وحدهم هم الذين يمكن اختطافهم. ووفقاً لما يقوله الناس، فإن الجبال مليئة بالأبقار والعجول والثيران والأغنام والماعز التي سرقها المتصيدون."

رفعت سيدة في الصف الثالث يدها ولوحت بها بقوة. لكنها لم تكن تريد أن تسأل عن أي شيء حقاً، كانت تريد أن تتحدث. وهذا النوع من الأشياء يحدث دائماً خلال أحاديثي عن هذا الموضوع. يريد الناس أن يقولوا قصصهم الخاصة. في كثير من الأحيان يكون كبار السن قد سمعوا هذا النوع من القصص في بلداتهم. وبما أن هذه القصص تكون في معظمها متشابهة كثيراً، فإن إحداها تؤدي إلى الأخرى. "هذه القصة جعلتني أفكر في كذا" وهلم جراً. قالت المرأة قصة عن خطف عجل. تركتُها تتحدث بعض الوقت، ثم أوقفتها -ربما بشكل مفاجئ بعض الشيء- ولخّصت قصتها في بضع جمل، وتمكنت من وصلها مع ما جاء تالياً في حديثي، والذي كان يتعلق بالاختطاف نفسه.

"غالباً ما يكون هذا الجزء هو الأكثر غموضاً من القصة" قلت. "يجد المخطوفون الذين عادوا صعوبة في وصف ما حدث... في إحدى اللحظات يكونون هنا، وفي اللحظة التالية يصبحون هناك. إنهم لا يذكرون الطريق من أحد المكانين إلى الآخر. يبدو أن للأمر علاقة بوجود بُعد مختلف، وحالة مختلفة أكثر مما له صلة بمكان مختلف."

ثم تحدثت عن التحرير ونجحت حتى هناك في إقامة صلة مع قصة عجل السيدة في الصف الثالث. وبدت راضية، لكن بقية الجمهور بدوا ضجرين بعض الشيء،

لذلك قررت أن الوقت قد حان لقصة "علامات الأظفار على إفريز النافذة." وتنتمي هذه القصة إلى ضرب خاص من أساطير الاختطاف: قصص الجمع بين زوجتين.

"بين رعية أبرشية بيرغ، عاش ذات مرة زوجان،" بدأت وأنا أعيد خصلة من الشعر كانت قد انفلتت من العقدة. "أنجبت الزوجة طفلة. وذات يوم، بعد ذلك بوقت قصير، وعندما خرجت من المنزل للعناية بالأبقار، جاء غول من الغابات وأخذها. وعندما عاد الرجل إلى المنزل، وجد الطفلة جائعة تصرخ في مهدها، لكن زوجته اختفت. انتظر، لكنها لم تعد في ذلك اليوم ولا في اليوم التالي. وعندما مرت سنة على ذهابها ولم تعد، تزوج مرة أخرى.

"في إحدى الأمسيات، جلس الرجل والطفلة والزوجة يتناولون العشاء. سمعوا طرقاً على النافذة." توقفتُ للحظة، ثم واصلتُ: "وعندما نظر الرجل إلى النافذة، رأى زوجته الأولى. 'دعوني أدخل بسرعة! لقد هربت من الغول!' كانت تصرخ. ونهض الرجل ليدخلها، لكن زوجته الجديدة أمسكت به وحاولت منعه. وبينما يكافح لتحرير نفسه، سُمع الكثير من الضجة في الخارج. 'إنهم قادمون، إنهم قادمون! أرجوكم عجّلوا وافتحوا الباب'، صاحت الزوجة الأولى. لكن الرجل لم يستطع الوصول إلى الباب لأن الزوجة الجديدة تعلقت به وأحاطت بعنقه ولم يستطيع تحرير نفسه. ثم سُمع صوت اصطدام رهيب. صرخت الزوجة الأولى واهتز الكوخ كله.

"لم يجرؤ الزوج على الخروج حتى صباح اليوم التالي. وعندئذٍ، وجد على إفريز النافذة دماً وعشر علامات صنعتها أظفار زوجته الأولى. كانت قد حاولت التشبث، ولكن الغول استطاع انتزاعها واستعادتها. ولم تعد بعد ذلك مرة أخرى، لكن علامات الأظفار ما تزال هناك."

نفعت القصة. استيقظ معظم الحاضرين. وتهامسوا.

هناك تنويعات أكثر ثراء من هذه القصة. برك كبيرة من الدم خارج النافذة، ونهيرات دم تقود إلى الجبل. لكنني أحببتُ علامات الأظفار أكثر ما يكون.

t.me/ktabpdf مكتبة

تحدّثتُ عن "المابعد" عن أولئك الذين نجحوا في العودة.

"عادة ما يُوصف الشخص بأنه 'غير مستقر'، 'غريب'، 'مضطرب'. البعض يصابون بإعاقات جسدية مثل العرج، الطرش، الخرس، الحول، أو تشنجات في الوجه. البعض لا يظهر عليهم أي أذى ويعودون إلى حياتهم العادية، لكنهم يمرضون سريعاً بعد ذلك ويموتون. أما الحالات التي لا تتأثر على الإطلاق، فعادة ما تكون من الأطفال. الحيوانات التي تتعرض للاختطاف تعود نحيلة والأبقار تجف ضروعها. لكن العكس يحدث أيضاً" —أشرت في اتجاه السيدة في الصف الثالث- تعود عجولاً حسنة التغذية وأبقاراً تنتج عشرة أضعاف ما كانت تنتجه سابقاً."

الآن، رفع شاب يرتدي فانيلا يده.

"نعم؟"

"هل صدّق الناس ذلك؟ أعني هل صدقوه حقاً؟" أراد أن يعرف.

"سؤال جيد. أتصور أنهم كانوا يصدقون ولا يصدقون معاً. في الحقيقة، يمكن أن توجد تفسيرات مختلفة لحالة الاختفاء، بعضها غامض صوفي والآخر واقعي، ومن الممكن أن يفضّل الناس التفسير الصوفي في بعض الحالات، خاصة عندما يكون التفسير الواقعي شديد الإيلام. بوعي أو بغير وعي."

"ماذا تعنين؟" قال الفتى ذو الفانيلا.

"تصور امرأة لها عدة أولاد. خرجت إلى الغابة لالتقاط بعض التوت وأخذت أصغر الأولاد معها. ليس لديها مكان آخر تتركهم فيه. وهي منشغلة بالتقاط التوت، وتحاول أن تجمع أكبر قدر ممكن منه قبل أن يحل الظلام، وعندما تنظر، تجد أن واحداً من الأولاد قد اختفى. تفتش، والآخرون يبحثون، لكن الطفل اختفى. سوف يجعلها التفسير القائل بأن الطفل ضاع وجاع حتى الموت في الغابات لأنها لم تعتنِ به العناية اللائقة تشعر بالكثير جداً من الذنب. لكن فكرة أن كائناً غريباً ما هو الذي أخذه تكون أسهل كثيراً على الاحتمال. وسوف ينفع هذا التفسير حتى لو تم العثور لاحقاً على الصبي ضعيفاً ويهذي من الجوع والصدمة.

"معظم حالات الاختفاء تكون بالغة المأسوية ومثقلة بالذنب، حتى أن الناس

يكونون مستعدين للقبول بأي تفسير سوى التفسير الحقيقي. النساء الحوامل من غير المتزوجات اللواتي يغرقن أنفسهن، والخادمات البائسات اللواتي يتعرضن للضرب ويهربن إلى الغابات، الأولاد المهجورون. ليست هناك أي مصلحة في العثور على التفسير الحقيقي. سوف يتعرض الإحساس بالمجتمع في المدينة للتدمير. من الأفضل إلقاء اللوم على قوة خارجية؛ الغول."

تفقدت ساعتي التي كنت قد خلعتها ووضعتها على المنبر بجوار مخطوط الخطاب. ما تزال هناك عشر دقائق. فكرت في الاختتام بتشغيل شريط مسجلة فيه مقابلة كنت قد أجريتها. لكن السيدة في الصف الثالث كانت تشير بيدها بحماس وقررت أن أنهي بالأسئلة والإجابات.

اصطادتني السيدة في الصف الثالث مرة أخرى. "أردت أن أسأل ما الذي يحدث للحيوانات المختطفة بعد كل شيء. لأنه حيث كنت أسكن هناك خنزير..." وهكذا روت حكاية تحولت بالتدريج وبطريقة خبيرة إلى ثلاث أو أربع حكايات مختلفة، كلها عن الحيوانات. سمحت لها بالاستمرار، وأنا أشعر بالامتنان لهذا الختام السهل لحديثي الذي أصبح أثقل مما خططت بعض الشيء. سمحت لها بالتحدث لبضع دقائق أكثر من الوقت المحدد، ثم شكرتها وأنهيت الأمر كله.

بينما كنت أسير عبر قاعة المحاضرات الفارغة مائلة الأرضية قليلاً في طريقي إلى المخرج، اكتشفت رجلاً ما يزال يجلس هناك. كان يجلس في أقصى القاعة في الخلف بجوار الباب. يرتدي سترة رياضية زرقاء فاتحة ولا يبدو من نوع الناس الذين يأتون إلى هنا عادة. انحنى قليلاً كما لو أنه يعرفني ثم عرفت من هو: رجل الشرطة الذي جلس في المقعد الخلفي عندما ذهبنا إلى تانجيفيك حيث أرشدتهم إلى موضع الجمجمة.

نهض ومشى في اتجاهي وقد مد يده. نقلت حقيبتي إلى اليد اليسرى وصافحته.

"جان-إيريك ليليرغن، ضابط الشرطة، هل تذكريني؟ حسناً، لقد تعلمت بكل تأكيد كثيراً من الأشياء التي لم أكن أعرفها،" قال.

"هل أتيتَ إلى هنا لتستجوبني؟" سألتُ.

t.me/ktabpdf مكتبة

كنت قد فكّرت في الحقيقة بأنه من الغريب قليلاً أن الشرطة لم تتصل بي. اعتقدت أنهم يريدون استجوابي أكثر بعض الشيء. ليس لأن لدي المزيد لأقوله لهم، وإنما كنت أنا —أو ابّني- مَن وجدوا جمجمة الإنسان الميت بعد كل شيء. وعندما أرشدتهم إليها شكروني بالكاد، ثم لم أسمع أي شيء منهم بعد ذلك. لكن هذا الجان-إيريك ليليرغن يظهر الآن في محاضرتي كما لو أننا في مسلسل المحقق "كولومبو."

"كنت تستطيع بالتأكيد أن تصل إليّ في عنوان بيتي،" أضفت بشيء من الحدة.

"هاها. أستجوبك؟ كلا، بحق الله، لست في الخدمة الآن. أنا موجود في البلدة فقط ودخلت هنا لأقرأ الصحيفة، ثم رأيت الإعلان عن محاضرتك. بعد كل شيء، كنتِ قد قلت الكثير جداً عن هذا الأمر في ذلك اليوم في السيارة. إنه أمر مثير للاهتمام."

"هل وجدتم أي شيء بخصوص الجمجمة؟" سألت.

"القليل ربما. لكنني أفترض أنك ستقفلين هذا الحديث. أيمكن أن نذهب إلى مكان ما لنتحدث عن الأمر، أو، أفترض أنك على عجلة للذهاب إلى البيت من أجل ولديكِ؟"

"ليس اليوم، إنهما في منزل والدهما."

"آه. في هذه الحالة يمكننا أن نذهب إلى حانة ميكي."

"أي نوع من الأمكنة هي؟"

"مكان للاستراحة. عادة ما أذهب إلى هناك عندما أكون هنا. بيرة أرخص. أعتقد أن صبر الناس هنا بدأ ينفد. لذلك دعينا نذهب."

كما هو معتاد في أمسيات الجمعة، كانت البلدة مليئة بالشباب الذين يسيرون في الساحة في جماعات كبيرة. انسابت إيقاعات مرحة من السيارات العابرة مفتوحة النوافذ. وبعد عشرين دقيقة كنا في حانة ميكي، التي تتكون من مطعم يعاني مشاكل مفرطة في الهُوية. لم يستطع أن يقرر ما إذا كان يريد أن يبدو مطبخاً ريفياً بريطانياً،

أم كوخاً في الألب السويسرية أم بيتاً عائماً في الشاطئ الغربي، لكن البيرة هناك رخيصة جداً في الحقيقة. طلب كل منا نصف ليتر وجلسنا عند إحدى النوافذ. أخبرني جان-إيرك ليليرغن أنه يسكن في جزيرة تيورن، لكنه يركب إلى غوتنبيرغ من وقت لآخر.

"أحب أن أنتقل إلى هنا، لكن الزوجة والولد يعيشان هناك ولا أريد أن أسكن بعيداً عنهما كثيراً،" قال جان-إيريك ليليرغن. "العائلة -ليس هناك شيء أكثر أهمية من عائلتك. أن تعود إلى البيت من العمل وتراهما وتعانق الحبيب، وتتناول العشاء معهما وتسمعهما يتنفسان وهم نائمان." وتنهد بعمق.

"طبيعي أنك أن تعيش مع عائلتك." قلت باندهاش. "لماذا لا يكون الأمر كذلك؟"

"لأنها ألقت بي إلى الخارج. كما تعلمين، كانت لدينا قضية رجل طُرد على هذا النحو. أتعرفين ماذا فعل؟ كلا، بالطبع، لأنها لم تُنشر كلمة واحدة عن ذلك في جريدة. مجرد رجل عادي، كان له عمل تجاري صغير، يقوم بتدريب الأطفال الصغار على لعب الكرة الطائرة. جلس وحيداً تماماً في كوخه الصيفي طوال أحد عشر يوماً. كان لديه مخزون من الطعام والبيرة، وعزل نفسه تماماً. ثم تناول بندقية، وتوجه إلى منزله وأطلق النار على الجميع. أولاً الأطفال في أسرتهم، ثم المرأة العجوز في بيت الدرج، وعلى نفسه أخيراً. كان ذلك أسوأ شيء رأيته على الإطلاق.

"لم أستطع أن أفهم الأمر. إنك ترى ذلك وتهز رأسك فحسب. لكنني أصبحت الآن أفهم تماماً، تماماً!"

لوح بيده بعنف حتى كاد يطيح بالبطة الصينية الموضوعة على إفريز النافذة.

"أنا لا أفهم بالتأكيد."

"كلا، أنتن النساء لا تفهمن كم من الصعب التعرض إلى شيء كهذا، كما أعتقد. أراكَ في وقت ما، لم تعد مصدر متعة بعد الآن، لقد ابتعدنا عن بعضنا البعض، اخرج! اللعنة، إنني أفهم ذلك الرجل. العائلة، إنها شيء مقدس. ليست شيئاً يمكنك تحطيمه ببساطة."

t.me/ktabpdf مكتبة

فكرت بسرعة بأنني كنت محظوظة لأن أندرس لم يحصل على رخصة لاقتناء بندقية. لكنني مرة أخرى لا أظن أنه من ذلك النوع. حاولت أيضاً أن أتخيل أندرس وهو يلقي بي إلى الخارج عندما كان الولدان صغيرين وكنت ما أزال مغرمة به، لكنني لم أتصور نفسي أقتل طفلَيَّ ببندقية."

"لا أفهم ذلك على الإطلاق،" قلت.

"ذلك لأنكِ امرأة."

"أعتقد ذلك. الكثير من الرجال يقفون على ثلاثة أعمدة: العائلة، العمل والتلفاز. وإذا انتزعت واحداً منها ينهار كل شي." أعتقد أنني قلت ذلك ثم خطرت لي فكرة: "هل لهذا الحديث أي صلة بالجمجمة؟"

"ماذا؟ كلا. ذلك شيء قديم."

"إذن، أهو رجل كهف حقاً؟"

"هاها، كلا، ليس بذلك القدم في الحقيقة."

"هل تعرفون أي نوع من الناس هو؟"

"لسنا واثقين تماماً. وإنما متأكدون إلى حد ما. يمكن أن يكون امرأة كانت قد اختفت قبل الكثير من السنين. كريستينا ليندونغ. كان ذلك قبل زمني."

"متى كان وقت اختفائها؟" تساءلت.

"تم الإبلاغ عن اختفائها في نوفمبر ١٩٧٢. ولم يعثر عليها أحد، حتى الآن." قفز قلبي من مكانه.

"كنت أعرف عائلة اختفت ابنتها في تلك السنة بالذات،" قلت. "ثم تم العثور عليها على الشاطئ نفسه. هل تعتقد أنه يمكن أن تكون هناك صلة؟"

"لا أحد يعرف، ذلك ممكن بالتأكيد. لكنه حدث منذ زمن طويل بحيث قد لا يكون هناك شيء يمكن اكتشافه بشأنه الآن. إنه مكان خطير. هناك نوع من الممر تحت تلك الصخرة. وإذا زحف المرء بعيداً داخله فإنه يمكن أن يعلق. لا يجب أن تجعلي ولدَيكِ يلعبان هناك."

"لم أشاهدهما يدخلان،" قلت.

"للأولاد طرقهم وهم يتصرفون على سجيتهم،" غمغم ونظر إلى خارج النافذة بحزن. "عندما اتصلت بابنَي اليوم كان لديه الوقت بالكاد ليتحدث إليّ. كان في طريقه لركوب الأمواج. دعينا نطلب بيرة أخرى."

فكرت بأن عليّ العودة إلى البيت، لكنني كنتُ أستطيع في الحقيقة أن أبقى جالسة هناك بالمقدار نفسه، وذلك ما فعلت. جلسنا في حانة ميكي حتى أغلقت أبوابها.

"حافلتي غادرت،" قال جان-إيريك ليليرغن. "هل لديك أريكة فارغة؟"

"أريكتي مغطاة بالأوراق والكتب،" قلت.

"عن أسطورة الاختطاف؟ طبعاً، ظننتُ ذلك. والحافلة، كان ينبغي أن أفكر بها في وقت أبكر، طبعاً. على أي حال، سأتدبر الأمر."

"أكيد؟"

"بالطبع."

عندما عدتُ إلى البيت وأفرغت حقيبتي، وضعت الشريط في المسجلة في غرفة النوم. وبعد الاستحمام وغسل أسناني، أطلقت شعري واستلقيت. مددت ذراعي في اتجاه المسجلة، شغلتها وأطفأت النور.

ذلك الشريط مهم جداً بالنسبة لي. إنه يضم تسجيلاً للشخص الوحيد الذي قابلته وقال إنه كان مختطفاً. امرأة في الثانية والتسعين من عمرها كنتُ قد قابلتها في العام ١٩٨٧ في دار للمسنين في سوليفتيا. كنت قد تلقيت المعلومة عنها في وقت أبكر، لكن الأمر استغرقني أكثر من عام للعثور عليها وكنت أخشى كل الوقت أن تموت قبل أن أصل إليها. وعندما التقيتها أخيراً لم تكن راغبة في إخباري عن ذلك في البداية، لكنها فعلت بعد بعض الوقت على أي حال. لم يكن ما قالته كثيراً. لكن حكايتها لا تقدر بثمن بالنسبة لي لأنها معلومات من المصدر الأول. وتوفيت المرأة بعد بضعة أشهر فقط من زيارتي.

استلقيت هناك في الظلام، متعبة ومخمورة تقريباً، أستمع إلى الصوت العجوز المشروخ.

t.me/ktabpdf مكتبة

"نعم، أُخِذتُ عندما كنت صغيرة." كان مصطلح "أُخِذتُ" يستخدم كثيراً.

"لا أتذكر أي شيء حقاً عن ذلك. كنت في الخامسة من عمري مع أمي في الغابات نلتقط التوت. غبتُ ثلاثة أيام فقط. أخبرني الآخرون عن ذلك. لم أتعرض لأذى. كنتُ دائماً بصحة جيدة. شعرت أنني مثل الآخرين تماماً. لكنني عندما كبرت أردتُ أن أغادر القرية. لم يعجبني أن الناس يعرفون ذلك عني. هناك الكثيرون الذين أُخِذوا غيري، لكن أحداً لا يرغب في الحديث عن الأمر. ومع ذلك أستطيع أن أرى ذلك في عيونهم. أرى هناك شخصاً آخر، كما أعتقد. لكنكِ لا تقولين شيئاً. إنكِ في نهاية المطاف لستِ أسوأ حالاً منهم، وحسب. تزوجت وأنجبت خمسة أطفال. عشت حياة طيبة. لم أخبر زوجي أو أياً من أولادي عن هذا الأمر أبداً. كانوا سيسخرون مني. في بعض الأحيان، عندما أحس أنني لست على ما يرام، كنت أظن أنه بسبب ذلك. ولكنني حاولت أن لا أفكر في الأمر. لا أعتقد أنهم يأخذون أحداً في هذه الأيام. ليس في هذه الأنحاء، على الأقل. كلا، وليس في أي مكان آخر، كما أعتقد."

"لماذا؟"

"لا أدري، كما أن هناك التلفاز وأشياء من هذا القبيل الآن."

"بأي طريقة أثر التلفاز على حالات الاختطاف"؟

"أعتقد أنه زمن مختلف. حقيقة أن تكوني قد أُخِذتِ... لذلك صلة بالأيام الخوالي. لم يعد هذا النوع من الأشياء يحدث الآن."

"تقولين إنك لا تتذكرين أي شيء عن الأمر. كيف يمكنكِ الجزم بأن ذلك قد حدث"؟

"حسناً، أتذكر أو لا أتذكر. إنكِ تعرفين، بعد كل شيء، ما حدث لك."

"لكنهم الآخرون هم الذين أخبروكِ عن الأمر"؟

"أخبروني بأنني كنتُ قد اختفيت."

"لكنكِ يمكن أن تكوني قد ضعتِ وتجولت في الغابات لثلاثة أيام"؟

"كنتُ جافةً تماماً مع أن المطر كان يهطل طوال الوقت. ولم أكن أريد أي

طعام لأنني كنتُ قد أكلت للتو. حصلتُ على حصة من دقيق الشوفان مع التوت الأحمر، لكنني أكلتُ ملعقة واحدة فقط لأنني كنتُ مكتفية تماماً، بعد ثلاثة أيام"!

"لكن يمكن أن يكون شخص لطيف هو الذي اعتنى بكِ."

"لم يكن هناك أي أناس بكل تأكيد."

"وإذن، أنتِ لا تشكين أبداً بأنك كنتِ لدى الغيلان"؟

(صوت ضحك. غير مسموع) "لكنني لم أصبح شخصاً أسوأ بسبب ذلك."

كان هذا كل شيء. أعدت الشريط وسمعته مرة أخرى. ويمكنني أن أظل أستمع إليه إلى الأبد.

t.me/ktabpdf

الماضي يتكون من مجموعة طبقات متراكبة.

العام الماضي: هو مثل الآن تقريباً، وإنما ليس بالضبط. مغيظ ومضجر مثل صحيفة اليوم السابق والخبز الناشف.

العقد الماضي: سخيف. عتيق الطراز. ومحرج.

وإنما أعمق في بئر الماضي —في مكان ما بين عقدين وثلاثة عقود مضت- يغير الماضي شخصيته. يكون الطين قد غرق وصنع من نفسه قالباً.

أين رأيتُ عائلة غاتمان أول مرة؟ على الشاطئ على أغلب الظن.

لم تكن هناك أي شواطئ طويلة في الجوار، ولا تكاد توجد أي منها في فاسترغوتلاند، لكن الساحل مليء بالشواطئ الصغيرة التي يمكن أن تكون مختلفة جداً عن بعضها. هناك شواطئ الرمال الخشنة البنية الضاربة إلى الصفرة، والشواطئ ذات الرمال البيضاء من الصدف الناعم المطحون، والتي تترك على جلدك مسحوقاً أبيض، والشواطئ المغطاة بالطين النتن والشواطئ المغطاة بأصداف المحار.

كنا نسبح في الغالب في زوج من الشواطئ الصغيرة أسفل التلة تحت منزل عائلة غاتمان، والمفصولين بصخرة وبرصيف الرسو الذي تملكه العائلة. كنا نسميهما "شاطئ الصباح" و"شاطئ المساء،" وفقاً للتوقيت حين تتواجد في أيهما أشعة الشمس.

كانوا يهبطون عادة عند الساعة الحادية عشرة في الصباح. ينزلون على الصخرة بخطوات راسخة وأيدٍ ممتلئة، بالقمصان المخططة وقبعات الشمس. ثم يستقرون ببطانياتهم ومظلاتهم وسلالهم وكتبهم وصحفهم وألعابهم. كان الأولاد الأكبر يقفزون ويغطسون. وكانت آن ماري، التي ما تزال الأصغر في ذلك الوقت، تلعب

في الرمال. والكبار يقرأون.

انجذبتُ إليهم كثيراً. كنتُ أجلس وأشاهدهم كلما تناولوا الطعام. كانوا يأكلون السندويشات بالعسل ويشربون عصير التفاح، وكلاهما جديد عليّ. لم أكن قد تناولت العسل أو عصير التفاح أبداً. تهيأ لي أنهم يأكلون طعاماً ذهبياً. سألتني كارين، والدة آن ماري، عما إذا كنت أرغب في التذوق، لكنني لم أجرؤ. كان ذلك هو الصيف الأول. ولا بد من أنني كنتُ في حوالي الخامسة من عمري آنذاك.

ينتمي ذلك الغداء الذهبي إلى ذكرى مبكرة، لكن الأكثر قوة والمبكر بنفس المقدار هو ذكرى نجمة البحر. كان جد آن ماري، تور غوتمان، أستاذ تاريخ الأدب هو الذي أراها لي. كان يرتدي منديلاً معقوداً عند كل زاوية من الشعر القليل الذي يغطي رأسه. وقفنا في الماء، وكانت نجمة البحر في يده، أدارها وجعلنا نرى الآلاف من سيقانها الصغيرة التي تتحرك. قال لنا كيف تعيش، وأظهر لنا أفواهها الكثيرة. كان يحكي بلهجة سكانيا اللينة الممتعة. وفي الحقيقة، لم أكن أنا هي التي تحدث إليها أولاً، وإنما آن ماري. لكنه عندما رآني أقف هناك بجواره، وأستمعُ وأحدّق، التفت إليّ دون أن يتوقف عن الحديث، ومدّ يده بنجمة البحر وأصبح يتحدث إليّ أنا أيضاً. "نعم، كما تعرفين ...،" قال بصوته الناعم اللادغ، كنت أنا هي تلك النون المخاطبة! كان ذلك بالتأكيد أروع شيء حدث لي في حياتي.

لم أستطع أن أجيب. شكلت حقيقة أن شخصاً من أفراد هذه العائلة قد تحدث إليّ شيئاً رائعاً بالنسبة لي. وقد وقفت هناك فقط، وتركت الأمر كله يحيط بي مثل غبار الذهب.

منذ ذلك اليوم وصاعداً، غذيت الحلم بأن تصبح آن ماري صديقتي. لماذا هو مجرد حلم وليس واقعاً حقيقياً؟ كنا في السن نفسها، لم نكن نسكن بعيداً عن بعضنا، وكنا نذهب للسباحة في الشاطئ نفسه. لكنها بدت بالنسبة لي غير قصيّة وغير قابلة للوصول. من الصعب حقاً تفسير السبب في أنني شعرت بهذه الطريقة. كنت مكتملة ونظيفة وحسنة الهيئة، وكان والدي طبيب أسنان. لم نكن أسوأ أنواع الناس بأي شكل من الأشكال.

t.me/ktabpdf مكتبة

حلمت كل ذلك الصيف الأول بآن ماري. رأيتها هنا وهناك على الشاطئ، عند صناديق البريد، وفي المخزن. كانت نحيلة، لها شعر قصير أشقر ورموش وحواجب داكنة. كانت تشبه قليلاً هيئة ناتوم أونيل في فيلم القمر الورقي. كانت تصبح دائماً شديدة السمرة في الصيف. كانت تسميها، البشرة الهندية. وقد ورثت مزيجاً جميلاً من الشقرة والسمرة من أبيها، الكاتب آكي غاتمان. وكان لشقيقها بينس ذلك المزيج الجميل نفسه. بدت الفتيات الأكبر سناً أكثر شبهاً بكارين، بشعر بني وبعض النمش. كان لآن ماري فراغ مضحك بين أسنانها الأمامية، والذي احتفظت به حتى بعد أن استبدلت أسنانها.

استغرق الأمر حتى الصيف التالي قبل أن أتحدث معها. كنا في مخزن البلدة. وكان الجو بارداً ومعتماً في الداخل وقد انبعثت رائحة خاصة جداً. كان المكان ما يزال قرية حية، وتوقفت الجرارات الزراعية في الخارج ودخل المزارعون بأحذيتهم المغطاة بالوحل وانبعثت منهم روائح الأسمدة. كان بعض زوار الصيف يرتدون قبعات ويلفون مناديلَ حول أعناقهم. وخلف الطاولة كانت البائعات يذهبن ويجئن لإحضار البضائع، ويركضن في بعض الأحيان إلى غرفة التخزين أو خارج المخزن إلى القبو. كن يتحدّثن كل الوقت مع الزبائن ويتحدث الزبائن المنتظرون مع بعضهم بعضاً. وبالنسبة لشخص قضى كل الأسبوع مع الوالد والوالدة في الكوخ، كان ذلك مثيراً مثل عرض سيرك.

كان أفراد عائلة غاتمان في المخزن. اشترت لي أمي قمع بوظة وطلبت مني أن أنتظر في الخارج. جلست على الأدراج. كانت آن ماري جالسة هناك من قبل وتطعم كلبة العائلة الألمانية سلكية الشعر، وقد ارتدت قبعتها الخاكيّة المنسدلة على جبهتها. كان حينئذٍ عندما تجرأتُ أخيراً.

"ما اسم الكلبة؟"

"ليتل ماي."

"هل أستطيع أن أربّت عليها؟"

"نعم، إذا أرادت ذلك."

كانت تلك كلماتنا الأولى بيننا.

دائماً ما أتذكر الكلمات الأولى للشخص الذي يعني لي شيئاً. قال أندرس: "يا لها من رائحة غريبة هي التي هناك في الداخل." كان ذلك في غرفة الانتظار في محطة فالكوبينغ حيث كانوا يعزلون الأبواب بشريط بلاستيكي. كانت تلك بداية محادثة مثيرة جداً للاهتمام، والتي استمرت لثلاث سنوات على متن القطار، ثم لتسع سنوات تالية. وسيسي، أفضل صديقاتي هذه الأيام، وإنما التي كانت غريبة تماماً ذات مرة، التفتت إليّ من طاولة في مقهى، نظرت إلى جوناثان الذي كان مولوداً حديثاً والذي كنت أعتني به، وسألت:

"هذا الأمر بخصوص الأولاد، هل هو شيء يستحق الاستثمار فيه؟"

تحدثت أنا وآن ماري أكثر قليلاً عن الكلبة بينما سالت البوظة وانسابت على الأدراج الحجرية المهترئة.

"إنها تحب المثلجات وتحب الكعك أيضاً." قالت لي آن ماري.

لم نقل الكثير بعد ذلك، وعدنا إلى البيت مرة أخرى، كل منا وحدها.

لكنّ شيئاً حدث في أحد الأيام. كانت كلبة ألمانية سلكية الشعر تجري خارج سياجنا وتتشمم. كانت تلك "ليتل ماي" التي هربت من مالكيها. ربطت أمي حبلاً بطوقها وأخذناها إلى بيت عائلة غاتمان.

مشينا إلى أرضهم وشاهدت بعينين وسّعتهما الدهشة الأرجوحة المتدلية من أغصان بلوطة عتيقة. وبين غصنين متشعبين على إحدى الشجرات، استقر بيت أشجار مصنوع من ألواح الكرتون المقوى والذي يمكنك الوصول إليه بسلم حبال يتدلى من هناك بحرية. وأبعد قليلاً، ثمة سفينة قراصنة مصنوعة من ألواح خشبية قديمة، لها دكة وجسر قبطان، وأشرعة قديمة وعلم عليه رسم جمجمة وعظمتين متقاطعين يرفّ في قمة السارية.

على جزء مرتفع من التل استقرت كابينتان لهما الجدران البنية نفسها وأطر النوافذ الخضراء التي للبيت الكبير. عرفت فيما بعد أن إحداهما كانت بيتاً للضيوف والأخرى كوخ آكي للكتابة.

t.me/ktabpdf مكتبة

كنت قد رأيت كل ذلك من قبل من الطريق عندما أمرّ بالجوار. والآن أصبحنا في الداخل. وعندما مررنا بجوار الأرجوحة مددت يدي بقلق ولمست واحداً من الحبال باندهاش. شرعت ليتل ماي في شد الحبل. كانت قد توقفت عدة مرات وتشمّمت الأمكنة خلال طريقنا إلى هنا. والآن أصبحت في البيت وصارت مستعجلة فجأة. قفزت وأذناها ترفرفان على سيقانها القصيرة صاعدة الدرجات وأمي تركض خلفها.

فوق صخرة تقع تماماً خارج البيت، وقفت آن ماري. كانت تحرك شيئاً بعصا في وعاء استحمام قديم صدئ. نظرَت إلينا برزانة من تحت قبعتها الخاكية، لكنها لم تتوقف عن التحريك. ذهبت ووقفت على الجانب الآخر من الوعاء ونظرت فيه. كان مليئاً بالماء وبشرائح طويلة من أعشاب البحر. حررت ليتل ماي نفسها من أمي وركضت داخلة إلى المنزل. ظهرت كاترين على الباب ونظارتها على أنفها. أخبرتها أمي بأننا وجدنا ليتل ماي خارج منزلنا. لم يظهر على وجه كاترين أي ضيق. قالت إن ليتل ماي كثيراً ما تهرب وتعود إلى البيت ثانية بعد أن تكتفي من المغامرات. ربما توقعت أمي قدراً أكبر من الامتنان بما أننا أمسكنا بالكلبة الهاربة وقطعنا كل الطريق إلى هنا لنحضرها. ودعتها أمي بشيء من البرود وأمسكت يدي لنغادر.

لكن كاترين أرادت أن تعرف عندئذ إذا كنا نود البقاء لتناول التوت البري مع الحليب. كانت قد التقطت كمية منه في ذلك الصباح. شكرتها أمي، ورفضت. وقالت إن عليها العودة إلى المنزل لسبب ما.

"لكنك ربما تودين البقاء واللعب مع آن ماري،" قالت لي كاترين.

نظرت إلى آن ماري. أطرقتُ موافقة بشغف. نظرتُ إلى أمي. ترددت، لكنها قالت نعم.

غادرت أمي وأنا بقيت. رأيتها تسير هابطة الأدراج الخشبية، ثم عبر الحديقة واختفت. امتلأتُ بشعور من اللاواقعية. استدرت إلى آن ماري.

"ماذا تفعلين؟،" سألتُ.

"أطبخ الشوكولاتة،" قالت آن ماري بقوة. "إذا حركتِ وقتاً طويلاً بما يكفي يتحول هذا إلى شوكولاتة."

حدقت في أعشاب البحر التي التفّت وصنعت أنماطاً غريبة حول عصا التحريك. عرفت أنها طحالب جاءت من البحر، أعشاب بحرية ومياه صدئة، وأنها لا يمكن أن تتحول إلى شوكولاتة أبداً. لكنني صدقت آن ماري في الوقت نفسه. يمكن أن تحدث الأعجوبة وتتحول الأعشاب البحرية إلى شوكولاتة. تخيلتُ بالضبط كيف ستذوب الشرائح الخضراء، وكيف سيتغير لونها إلى البني الفاتح. بل إنني استطعت أن أشم رائحتها بالفعل. كان الشيء الوحيد الذي يمكن عمله هو الاستمرار في التحريك. عثرت على غصن مكسور وساعدت آن ماري.

نظرت إليّ آن ماري بثبات بنظرة مستطلعة من العتمة تحت قبعتها. كانت تصدر حكمها عليّ.

"يجب أن نحرّك لوقت طويل،" قلتُ.

لكن كارين خرجت قبل أن تتمكن أعشاب البحر من التحول إلى شوكولاتة وسألتنا إذا كنا نحب تناول بعض التوت مع الحليب. ذهبنا إلى الداخل.

جلست إلى الطاولة في المطبخ مقابل آن ماري وتناولنا توتنا بصمت. بدت الحبات مثل دوائر صغيرة تحت سطح الحليب. نظرنا إلى بعضنا من حين لآخر. كانت ما تزال ترتدي قبعتها، حتى في الداخل.

وحتى الطقس كان خاصاً في ذلك اليوم. كان غائماً ورطباً ومستقراً. كان البحر رمادياً. ونشرت أزهار الغرنوق على النافذة عبقاً ليمونياً ساراً.

جلست كارين في الشرفة وهي تكتب على الآلة الكاتبة. وعبر الباب المفتوح، وصل صوت الآلة وكسر صمتنا. في بعض الأحيان طقطقت المفاتيح أولاً بجموح، ثم تباطأت، مثل آخر القطرات في زخة مطر، وترددت، ثم توقفت تماماً. وبعد نصف دقيقة من الصمت جاء تعاقب مبعثر آخر. وجدت ذلك الإيقاع غريباً لأنه يختلف كثيراً عن صوت المطر الغزير الرتيب الذي يصدر عن طابعة السكرتيرة في مكتب أبي.

t.me/ktabpdf مكتبة

كانت أبواب كابينة المطبخ مطلية بأزرق رائع، والذي بدا وكأنه يتعمق أبعد في الداخل. لم يكن لديّ اسم لوصف ذلك اللون ولم أر مثله بعد ذلك أبداً.

التقطتُ التوت العائم بملعقتي، أكلته ببطء، واستمعت، ونظرت حولي.

"هاأنذا هنا الآن،" كنتُ أفكر.

عندما هدأت نشوتي الأولى حط عليّ شعور بالسلام وبأنني أتيت إلى بيتي. كان ذلك مفارقة في ضوء علاقتي بعائلة غاتمان. الشعور بأنهم بعيدو المنال، بأنهم مختلفون جداً عني. وفي الوقت نفسه، الشعور بأنني أنتمي إليهم.

صعدنا إلى غرفة آن ماري. عليك أن تصعد أولاً إلى الطابق العلوي، حيث توجد غرف والديْ آكي. ومن هناك يرتفع سلم أدراج شديد الانحدار، يشبه السلم تقريباً ويقود إلى العلّيّة. كان الأولاد الأربعة يعيشون في العلّيّة. تقاسمت البنتان الكبريان، ليز وإيفا إحدى الغرف، بينما كان لكل من آن ماري ويينس مكان صغير مقفل الجهات. ارتفع صرير عالٍ من الأرضية عندما مشينا عليها.

لم يكن لدينا الوقت لنلعب كثيراً. كنتُ أنظر إلى الأشياء تقريباً بتلك الطريقة التي عادة ما تنظرُ فيها عندما تكون في بيت شخص آخر للمرة الأولى. قلبتُ خزانة ألعابها وصرخت مرة تلو المرة: "أوه، يا له من .....!" وكانت آن ماري الجالسة على سريرها وساقاها متقاطعان وقبعتها تنسدل على عينيها تقول بازدراء: "أوه، ذلك الشيء القديم."

عندما جاءت أمي لتاخذني، كنا قد شرعنا تواً في لعبة ولم أرد المغادرة. لكننا كنا سنتناول العشاء وترتب علي أن أذهب. حُلَّت المشكلة بذهاب آن ماري معي إلى كوخنا. لعبنا حتى وقت متأخر من المساء.

عندما غادرَت واستلقيت في سريري لم أستطع النوم. مررتُ في ذهني بكل تفاصيل لقائنا بالطريقة نفسها التي تذكرت بها في حياتي فيما بعد خبرة وقوعي في الحب. تأملت كل دقيقة بالحركة البطيئة. وفي بعض الأحيان جمدت الصورة تماماً وأبقيتها في عقلي لوقت طويل قبل أن أواصل استعراض بقية شريط الفيلم. اضطررتُ إلى تكرار المسألة كلها عدة مرات قبل أن أجد السلام وأتمكن من النوم.

ثمة مناسبات تكون مهمة جداً، بحيث لا تكون إعادة اختبارها متناسبة مع الزمن الذي حدثت فيه. إنها تحتاج ببساطة إلى وقت إضافي من الاختبار المتأخر.

بعد ذلك لعبنا معاً كل يوم كل فصل الصيف. أصبحت آن ماري أفضل صديقة صيف لديّ.

لكنها لم تصبح علاقة عادية أبداً، ولم تكن مسألة طبيعية على الإطلاق. احتفظت آن ماري كل الوقت بإشراقها، وظلت عيناها العسليتان التفاحيتان دائماً متألقتين.

t.me/ktabpdf مكتبة

بُني كوخنا الصيفي في خريف العام ١٩٦٠ وانتقلنا إليه في صيف ١٩٦١. كانت الأرض هناك مستوية، وتحت طبقة الرمل الرقيقة استقرت صخور صلبة بحيث لم يصلح المكان لزراعة مرجة. ومن أجل زراعة النباتات والغيضات جلب أبي أحمال شاحنات عديدة من التربة. أتذكر الشاحنات التي ألقت بأكوام عملاقة من التربة البنية، وأتذكر ديدان الأرض التي تدخل فيها وتخرج والقطع الصغيرة السحرية من كسر البورسلان الأزرق والأبيض والخزف التي تلمع هنا وهناك. وعندما وُضع التراب في كومة، بدا كما لو أننا سنغرق فيه عندما ينتشر. وبعد ذلك، عندما تم نشره وتسويته لم يعد يبدو كثيراً على الإطلاق. بدا وأنه انزلق هابطاً في شقوق مجهولة ومساحات فارغة إلى داخل الصخور. ظلت الأرض قاحلة وفقيرة تماماً كما كانت من قبل، وطلب أبي حِملاً جديداً من التراب. لكن ذلك الحمل اختفى أيضاً قليلاً قليلاً. بدا كما لو أن الصخور تأكل التراب.

خلال ذلك الصيف الأول، أصبحت يدا أبي اللتين كانتا بغير ذلك يدي طبيب أسنان بيضاوين مغطاتين دائماً بالتراب. كافح بمجرفته وعربته اليدوية ومدحاته المستأجرة من أجل أن ينعش أرضه الجرداء. لكن أرضنا بدت أشبه بنوع من الناس النحيلين الذين يمكنهم أن يأكلوا أي كمية من الطعام الدسم دون أن يسمنوا. لم يثبت فيها شيء.

أخيراً، أصبح المشروع غير قابل للاحتمال من الناحية الاقتصادية. لم يرد أبي أن يبدو مثل شخص متعصب، وبقيت طبقة التراب على حالها. أصبحت حديقة للنباتات القاسية التي لا تتطلب العناية. وبقيت الأنواع التي خُطط لزراعتها فيها

مجرد رسوم بقلم الرصاص ولم يقيض لي أن أرى كيف ستبدو حقاً تلك النباتات ذات الأسماء الغريبة لو أنها نمت هناك. على سبيل المثال: الزنبق الأزرق الإفريقي، أزهار كننغهام رودوندرون البيضاء، السبيرايا الكورية، ونباتات الهليوتروب داكنة الزرقة.

أتذكر ذلك الصيف الأول باسم صيف التراب. أتذكر جبل التراب الرخو الذي حاولت أن أتسلقه. "عملي" الذي قلدت فيه أبي وأنا أحفر بمجرفتي الصغيرة الصفراء وأسوي التراب بلعبتي المجلجلة التي كنت أسحبها بخيط، والتي تشبه المدحلة بطريقة ما.

أتذكر الصيف الثاني باسم "الصيف الذي أصبحت فيه أنا وآن ماري صديقتين."

حتى ذلك الحين كنتُ طفلة وحيدة جداً، كما أعتقد. لم يكن لي أي أشقاء. وفي وقت لاحق فهمت أن أمي، بلا شك، كانت تريد المزيد من الأطفال، لكن أبي شعر بأنني كنت أكفي. كان قد نشأ وترعرع في عائلة كبيرة وتخلف لديه ما يكفي من الشعور بالضيق والاكتظاظ. في منزلنا المتلاصق مع البيوت المجاورة في المدينة، وحتى عندما انتقلنا إلى منزلنا الخاص، كانت لدينا دائماً غرفة فارغة. اعتقدت لوقت طويل أن تلك الغرفة منذورة لأخت أو أخ المستقبل. بل اعتقدت أن أمي هي التي قالت لي ذلك، وأنه ما تأمله. لكن أبي أراد ببساطة أن تكون لديه غرفة إضافية. كان ذلك هو أقصى حدود الترف. أن تكون لدينا غرفة لا يحتاجها أحد. كانت تُدعى غرفة الضيوف، لكن لم يكن ضيوف يقيمون في تلك الغرفة على الإطلاق.

نادراً ما تحدث أبي عن نشأته ولم أعرف الكثير عنها. كان قد ولد في بلدة صغيرة في الشمال. وكان والده مدمناً على الكحول. وليست لدي سوى صورة مبهمة عن والدته، كانت مريضة بالسل، كما أعتقد، لكنها كانت مريضة عقلياً على الأرجح أيضاً. ربما كانت ظروف المعيشة من النوع الذي يجعلك إما مدمناً على الكحول أو مصاباً بمرض عقلي، أو قوياً مثل الحديد مثل أبي. أرسلوه ليعيش مع أفراد مختلفين من الأسرة الذين بدوا له غير مقبولين جميعاً على قدم المساواة، وعندما لم يعد هناك أحد يرغب فيه، عاش مع والده الذي يشرب الكحول ويسومه

t.me/ktabpdf مكتبة

سوء المعاملة. في تلك المرحلة كانت الأم خارج الصورة تماماً. من الواضح أن طفولته كانت جحيماً كاملاً وأنه يجب أن يكون قد بذل جهداً فوق طاقة البشر ليحمل نفسه دون مساعدة من أحد، ويذهب إلى المدرسة في حين يكسب لقمة عيشه من العمل البدني، ثم يتخرج من المدرسة الثانوية ويدرس طب الأسنان في لوند.

لولا النظام الاشتراكي الديمقراطي الذي ساد في ذلك الوقت، ولولا المدارس المسائية والتعليم الجامعي المجاني، لما استطاع أن يتدبر أموره، حتى ليتوقع المرء أن يكون معجباً بالديمقراطيين الاشتراكيين. لكنه كرههم مثل آفة. كانوا يذكّرونه بالعمال الذين يضربهم الفقر، والفقر يذكره بجحيم طفولته. وهو صاحب اللغة الأنيقة بإفراط، كان ينطق بكلمة "خراء!" كلما أتى أحد على ذكر الطبقة العاملة. اعتبر نفسه طبقة منفصلة. لقد نهض بنفسه وحده من الظلام إلى النور. ولم يرد أن يذكّره شيء بما تركه وراءه.

جاءت والدتي من عائلة صامتة. كان والدها نادلاً في مطعم، وعملت والدتها خادمة ونادلة. كانا من نوعية الخدم النموذجيين، هادئين، متسللين، وغير مرئيين. كانت شقة جدتي وجدي مليئة بالمنسوجات، والسجاد اللين، والوسائد والستائر السميكة التي امتصت وقع خطواتهما وصوتيهما. كانت أمي ابنتهما الوحيدة. وكثيراً ما قالت إنها كانت تهفو إلى أن يكون لها أشقاء وهي صغيرة. أما إذا كانت ترغب في إنجاب العديد من الأولاد عندما كبرت، فلم تتحدث عن ذلك. لكنني أعتقد أن هذا هو واقع الحال. وظلت ربة منزل حتى التحقت أنا بالمدرسة، ثم عادت إلى العمل مرة أخرى كاختصاصية في صحة الأسنان.

حلمت أنا نفسي بعائلة كبيرة، وكان بيب-لارسون هو كتابي المفضل. لكنني لم أفتقد غياب الأشقاء الصغار في الحقيقة، لأنني أردت أشقاء أكبر مني سناً، وليس أصغر. أردتُ أشقاء أكبر مني بكثير. كان المراهقون يفتنونني. كانوا يبدون كباراً مثل البالغين لكنهم يعيشون حياة أكثر إثارة بكثير، بالمساءات المتأخرة، والدراجات، والرقص وموسيقى البوب. تخيلت عدداً كبيراً من الأشقاء الذين كانوا جميعاً من المراهقين، المسرورين بي جداً باعتباري تميمتهم الصغيرة الخاصة. كنّ أخوات كبيرات

جميلات، شعرهن مرفوع ويضعن أحمر الشفاه والمسكارا، أخوات يحملنني ويلعبن معي ويدللني، وإخوة كبار يرفعونني عالياً في الهواء بأذرعهم القوية ويصحبونني في مغامرات ليلية على دراجاتهم.

كان أحد الأشياء التي جعلت آن ماري بالغة الجاذبية هو بالضبط حقيقة أن لها أشقاء أكبر منها. كانت ليز وإيفا هما الأكثر إثارة. وكان بينس قريباً جداً من سني، أكبر مني بعامين فقط؛ من آن ماري ومني، لكنه من ناحية أخرى ينتمي إلى جنس مختلف، وهو ما جعله مثيراً للاهتمام.

t.me/ktabpdf مكتبة

لا أعرف حقاً ما فكر به والداي إزاء قضائي الكثير من الوقت في منزل عائلة غاتمان. أكاد أجزم بأنهما كانا راضيين لأنه أصبحت لدي صديقة. في المدينة لم يكن لي أي أصدقاء تقريباً، ولم يكن لديهما أي شيء ضد آن ماري. لكن تعليقاتهما على آكي وكارين التي سمعتها بين الفينة والأخرى كانت مشوبة بلهجة عدم إعجاب مستفزة، والذي لم يتم الإعراب عنه بوضوح أبداً. أعتقد أنهما شعرا بأن آل غاتمان جعلوا أنفسهم يبدون مهمين. كلا، ربما ليس الأمر كذلك حقاً. إنهما لم يفهماهم فقط. ظنا أنهم غريبون بعض الشيء، واستفزتهما حقيقة أن الآخرين اعتبروا هذه الغرابة دليلاً على الرقيّ. نظرا إليهم كأحجية رياضية تقوم بحسابها مرة وأخرى حتى تحفر حفرة بالممحاة في الورقة دون أن تتمكن من حلها أبداً.

في كل مرة أخبرهما فيها شيئاً عن عائلة غاتمان، كانت أمي تجيب بالتناوب: "حقاً؟،" "فعلاً،" "أوه،" أو "أستطيع أن أتخيل جيداً،" كما لو أنها مستعدة جيداً لما قد يكون آل غاتمان هؤلاء بصدد التفكير بفعله، لكنهم يستطيعون مع ذلك تجاوز توقعاتها في بعض الأحيان.

لكنني لم أسمع مطلقاً أي نقد حقيقي معلن، ما عدا، ربما، في حالة السياسة. كان معروفاً بشكل عام أن آكي وكارين يساريان. وحتى والد آكي، عندما كان ما يزال ناشطاً، فإنه عبّر عن نفسه بطرق يمكن تأويلها على أنه متعاطف مع اليسار، وأثار الكثير من المشاكل في الدوائر الأكاديمية. وأبي، كما ذكرتُ من قبل، كان يكره الاشتراكيين. والأسوأ منهم الاشتراكيون الديمقراطيون الذين يترأسهم بالمي، ذلك الرجل المثير للاشمئزاز. كان الشيوعيون يجعلون أبي يتسلى بالسخرية منهم على

الأقل. كان يعتقد أنهم فاقدون لعقولهم تماماً. لكنه لم يكن متأكداً حول أي من تلك المجموعات هي التي ربما ينتمي إليها آكي وكارين، وهو ما جعله متردداً بطريقة ما. وفي إحدى إجازات الصيف، ظلت قصاصة من صحيفة "الأخبار اليومية" راقدة على مكتبه لعدة أسابيع. كانت مقالة نقاشية كتبتها كارين عن الشؤون الخارجية للاشتراكيين الديمقراطيين، واستشهد بأجزاء منها وقرأها بصوت عال. قال إنها دليل على أن كارين تؤيد بالمي. لكن أمي أشارت إلى أجزاء منها كانت منتقدة بشدة. وهو ما جعله يفكر.

على أي حال، كان يشعر بأن آراء الأبوين السياسية لا تقف في طريق صداقتي بآن ماري وكان دائماً ودوداً، بل متزلفاً تقريباً لماري عندما تجيء إلى منزلنا. كان يحكي لنا قصصاً مضحكة، ويصنع الحيل بأوراق اللعب، وهو شيء يفعله بخلاف ذلك فقط عندما يكون لدينا ضيوف ويكون قد شرب بضع كؤوس من الكحول. كان كما لو أنه يريد أن يظهر نفسه في أفضل حالاته. وكانت آن ماري تكتشف حيله الشفافة، ولم تكن تخاف من إخباره بذلك أيضاً. كان ذلك محبطاً نوعاً ما لأنه غير معتاد عليه، لكنه لم يفصح عن ذلك، وإنما ضحك ببساطة.

أوه، يا لفصول الصيف تلك مع آن ماري. انقضت في مقاطعة زراعية، حيث الحقول والمروج، والخيول والأبقار التي ترعى، وقرى الصيد؛ حيث بيوت القوارب المليئة بمعدات الصيد، وحيث جلس الصيادون على الأحواض يصلحون شباكهم. كانت أكواخ الصيف قليلة ومتباعدة. لم يكن الريف قد تحول بعد إلى هذا المشهد الترفيهي الاصطناعي الغريب الذي هو عليه اليوم: منطقة ترفيهية عملاقة، بملاعب للغولف، ومسارات للمشي، وبيوت القوارب المفروشة بترف. في تلك الأيام، كان ذلك عالماً مليئاً بالحياة والموت، بولادة العجول الليلية، والقطط التي يتم إغراقها بلا رحمة، والثيران الخطرة. أتذكر الحليب المحلوب حديثاً بطعم البقر الحميم، ومطابخ المزارعين التي ترسل رائحة دهنية قوية خانقة ومثيرة في الوقت نفسه، الملابس المشمعة، والقهوة المغلية الخفيفة، والساعات التي تدق على الجدران في غرف مظلمة لم يدخلها أحد. كانت المسافة بين المدينة والريف كبيرة. وكنت تستطيع من على

t.me/ktabpdf مكتبة

بعد مائة متر أن تعرف ما إذا كان شخص ما نزيل صيف أم مقيماً. وقد اعتدت أنا وآن ماري على تقليد لهجتهم وأتصور أن السكان المحليين كانوا يستمتعون بتقليد لهجتنا بالمقدار نفسه. كان ذلك عالماً سيموت قريباً، وكانوا يعرفون ذلك، لكنه كان ما يزال على قيد الحياة في الوقت الحاضر، وكنا، آن ماري وأنا، غارقتين في خضمّه.

في المساءات كنا نجلس على صخرة أمام منزل عائلة غاتمان، ونشاهد تحوّل ماء المضيق البحري إلى لون يشبه المشمشي. كنا ننتظر طائر مالك الحزين. كان يجيء كل مساء عند غروب الشمس. يأتي زاحفاً من على وجه الأرض، منزلقاً عبر الهواء على جناحيه الطويلين الثقيلين. يطير فوق قمم الأشجار، ثم خارجاً إلى المياه، بينما تتدلى ساقاه مستقيمتين. ثم ينحرف فجأة، يطير على ارتفاع منخفض فوق سطح الماء ويحط على صخرة صغيرة قرب الشاطئ المسائي. يمدد رقبته الشبيهة بالأفعى، ثم يقف هناك ساكناً بلا حراك، تماماً مثل خط عمودي رمادي. وكلما تقدم الغسق، يصبح غير مرئي باطراد. كان يأتي دائماً في الوقت نفسه، ويستقر على الصخرة نفسها، ودائماً يقف هناك بلا حراك بالمقدار نفسه.

كنا نعرف من حيث سيأتي عندما يجيء محلقاً فوق الغابة. كان يقضي الأيام في كثير من الأحيان بالقرب من بركة صغيرة حيث يصطاد الضفادع. كنا، آن ماري وأنا، أيضاً نلتقط الضفادع الصغيرة من هناك. كانت تتقافز على العشب في طريقها إلى الماء. وتبدو مثل الخنافس السوداء من بعيد، لكنك تستطيع أن ترى عن قرب لونها البني اللامع الأقرب إلى البرونزي. وعندما تحملها في يدك، تشعر وكأنها قطرة من ماء متجمد. كنا نضعها على أوراق زنبق الماء حتى تتمكن من التجوال في أنحاء البركة راكبة في قارب.

كنا، آن ماري وأنا، نمثل مسرحيات تستمر عدة أيام. كان لها خيال خصب واسع، لكنها كانت بحاجة إلى أحد يطلق لمخيلتها العنان. في الغالب أنا التي تجيء بالأفكار حول ما يجب أن نلعب، أقترح الأفكار العامة، وأنواع الناس والأماكن والنشاط، وهي تتولى أمر تحويل ذلك كله إلى حقيقة واقعة، وتضع الدعائم وتجمل العمل بالتفاصيل. كانت تستمع لما أقول باهتمام وجدية كبيرين. يمكنك القول إنني

كنت أكتب المخطوطة بينما تكون هي المخرج والمنتج. وكنا كلتانا الممثلين. أتذكر تمثيلية كنا فيها هنوداً بالقرب من الأمازون. كانت لعبة رائعة لعبناها على الشاطئ عصر أحد الأيام واستمرت لمدة أسبوع كامل. أتذكر فترة ممطرة تحول فيها كل الطابق السفلي من المنزل إلى مطعم، بطاولات صغيرة تتوزع عليها أطباق الخزف الصيني في كل مكان، والذي اضطرت كارين وآكي إلى قضاء عدد من الأيام فيه. وقد وافقا بلطف على الجلوس إلى طاولاتنا المؤقتة وتناول السندويشات التي صنعناها وحلويات التوت. كان حدوث ذلك النوع من الأشياء مستحيلاً في بيتي.

كانت كارين تسعد دائماً عندما أجيء. قالت إن آن ماري تجلس مع الضجر عندما لا أكون هناك. في بعض الأحيان، تصرفت آن ماري بهذه الطريقة حتى عندما أكون هناك، وكنت أفكر كلما استطعت بشيء ممتع نقوم به. كانت تستطيع مجرد الاستلقاء على سرير دون أن تفعل أي شيء لأي مدة من الزمن، في لامبالاة مثيرة للإعجاب تقريباً. لكنك بمجرد أن تقترح شيئاً، فإنها تصبح في حالة تأهب قصوى. وفي مجاز من أيامنا الراهنة، تمكن مقارنتها بجهاز الحاسوب الذي تجب برمجته أولاً حتى يعمل.

كان لدينا الكثير من الحرية. سمح لنا باستخدام السكاكين والنار، وكنا نستطيع الذهاب إلى أي مكان نريد. اعتقد أبي وأمي بطبيعة الحال أن كارين وآكي يشرفان علينا إلى حد ما، لكن من المؤكد أنهما كانا مخطئين. كان كلاهما مشغولين بأمورهما الخاصة. كان آكي يجلس معظم الوقت داخل كوخ كتاباته على التلة ويكتب. كان فصل الصيف هو الوقت الذي يكتب فيه رواياته، بينما يكرس فصل الشتاء لكتابة المقالات، وللمحادثات، أو الرحلات. وبالنسبة لكارين، كان الصيف وقت العطلة. كانت تكتب قليلاً إذا رغبت ذلك، لكنها تقرأ في الغالب، وتلتقط التوت والفطر أو تقوم بالأعمال المنزلية أثناء الاستماع إلى الراديو.

ثمة اثنتان من الذكريات تبرزان بوضوح كبير من فصول الصيف الأولى تلك. إحداهما عن تلك المناسبة عندما علمتني إيفا الشقلبة الخلفية على سترتها الحمراء. كان ذلك على الأرجح في الصيف الأول. جلسنا في المرجة الصغيرة على مسافة

t.me/ktabpdf مكتبة

قصيرة من منزلهم. كنا أولاد عائلة غاتمان وأنا، وأعتقد أن بعضا من الأصدقاء الأكبر سناً كانوا هناك أيضاً. على أية حال، أتذكر أن عدداً كبيراً من الناس كانوا يجلسون هناك. كان لدينا جهاز مذياع يطلق موسيقى البوب وكنا نتحدث عن الشقلبات الخلفية لسبب ما، وقلت إنني يمكن أن أقوم بالشقلبة الأمامية، ولكن ليس الشقلبة إلى الخلف. قالت إيفا:

"بالطبع يمكنك ذلك. تعالي لأريكِ كيف."

رفضتُ، لكنها خلعت سترتها المحبوكة الحمراء وفرشتها على العشب.

"هاكِ، يمكنك استخدام سترتي. عليكِ فقط أن تجلسي هكذا وتضعي يديكِ هكذا ثم تدحرجين نفسك إلى الخلف. راقبيني."

جلسَت القرفصاء، وتدحرجت إلى الخلف، وقامت بشقلبة خلفية على سترتها الحمراء. ثم جاء دوري للمحاولة. كنت أعتقد أن القيام بذلك مستحيل، لكنهم جميعاً شجعوني. جلست هناك على أعقابي وعقدت راحتي يدي إلى الأعلى. ودفعتني إيفا دفعة صغيرة وسقطت إلى الوراء.

"تدحرجي،" هتفوا جميعاً. رأيت السماء والسترة الحمراء، وكنت قد أديت شقلبة خلفية أيضاً.

أثنوا عليّ كلهم. أتذكر ذلك كلحظة انتصار مشعة. كنت مقتنعة تماماً بأنني لم أكن لأستطيع ذلك أبداً لو لم تكن سترة إيفا الحمراء تحتي. واصلت أداء الشقلبات الخلفية في البيت، ودائماً كنت أضع شيئاً تحتي، سترة أو منشفة، والتي يفضل أن تكون حمراء.

ثمة لحظة سحرية أخرى من هذا النوع، عندما أطلعني بينس على الأبراج. أعتقد أنك تطور علاقة خاصة مع الشخص الذي يجعلك على بينة من المزيج الرائع بين الطبيعة والأسطورة أول مرة، على هذه الرغبة البشرية في تفسير ما لا يمكن تفسيره ورؤية كل شيء كجزء من ذاته. كنت أشير، من وقت لآخر، إلى واحدة من تلك النجوم الفردية أو المجموعات لأناس مختلفين، وكانوا دائماً يعجبون بطريقة طفولية بحقيقة أن معرفة المرء يمكن أن تمتد عبر هذه المسافات التي لا يمكن تصورها. (جرب

بنفسك. قل: "كم من المدهش أن الشِّعرى اليمانية تشرق على هذا النحو في هذه الليلة،" وسوف ينظر إليك الناس كما لو أنك نحتّ قطعة من هذا النجم وأنزلتها إلى الأرض).

كانت ذلك في أغسطس عندما أراني يينس الأبراج، وتكشف الانطباع بحقيقة أن تلك كانت المرة الأولى التي سأقضي فيها الليل مع آن ماري، وأنها كانت تجاور المساء الأخير من العطلة. كنا سنغادر إلى البلدة في اليوم التالي. كما أن البحر شارك أيضاً، فدعانا إلى عرض فسفوري من الأضواء حتى أتمكن من الجلوس على درجات الرصيف وأركل المياه السوداء تحتي لأجعلها تلمع، بينما يأتلق لمعان النجوم ومحيط الكون الأسود من فوقي في الوقت نفسه.

أشار يينس إلى تكوينات النجوم والأبراج التي يمكن أن يراها المرء في ذلك الوقت من السنة. كنت قد سمعت الناس قبل ذلك يتحدثون عنها وعن أسمائها المتخيلة، لكنني توقعت بسذاجتي الطفولية أن أرى صوراً واقعية لبجعة أو دب، وكان برج المحراث الذي فكرت فيه ذهبياً. ظننت أن ما يفترض في المرء أن يفعله هو أن يصل بين بعض النجوم بالطريقة الصحيحة. شيء يشبه صفحات الأحجيات في الصحف حيث تقوم بالوصل بين عدد معين من النقاط المرقمة، وهو ما ينتج بعدئذ صورة حيوان من فوضى النقاط. كنتُ قد حاولت مرات كثيرة اكتشاف تلك الأشكال التي خبأها الله بذكاء شديد في السماء، لكنني لم أتمكن من ذلك. مهما حدقتُ، لم أر مطلقاً دباً صغيراً ولا كبيراً.

الآن فسر لي يينس الموضوع كله. ليست هناك أي حيوانات فوقنا، كيف يمكن أن تكون؟ بدلاً من ذلك، كانت تلك شموساً بعيدة عن بعضها عدة سنوات ضوئية، وليس لها أي صلة ببعضها على الإطلاق. كان الأمر ببساطة أن تلك النجمة وتلك وتلك سميت جميعاً بالبجعة.

هل الأمر حقاً بتلك البساطة؟ ضحكت ورشقت الماء بقدمي في البحر الدافئ. كان شعوراً رائعاً بالحرية حين اكتشفت أنه لم يكن ثمة شيء من قبيل الأحجية البارعة هناك في الأعلى، والتي لم أتمكن من رؤيتها. وفي الوقت نفسه، كان محيراً

t.me/ktabpdf مكتبة

بعض الشيء، بطبيعة الحال، أن يفقد المرء أوهامه حول نظام مخبأ في الطبيعة. كل شيء محض فوضى وعليك أن تخلق نوعاً من النظام لنفسك. متسلحة بهذه النظرة الوجودية للحياة كقاعدة، تجاهلت كل البجعات والدببة وشرعت في رسم أشكالي الخاصة في السماء.

ماذا فعلنا أيضاً خلال فصول الصيف تلك؟ تسلقنا أشجار السنديان، تعلقنا من الأرجوحة، لعبنا في الكوخ المبني في أعلى الشجرة، لعبنا مباريات الكرة، ولعبة الغميضة في كل ذلك البيت الكبير، وألعاب اللوح.

أقمنا مسابقات في الوثب الطويل إلى الماء من رصيف الميناء. كنا نُقلع من أعلى الصخرة، نركض بأقصى سرعة حتى نهاية الرصيف ونقفز إلى أقصى حد ممكن. أتذكر البرودة المنعشة عندما يغرق جسدي الذي سخنته الشمس في الظلام الأخضر، وهسهسة الفقاعات الصاعدة التي تدغدغني بينما أجدف في الماء وأنتظر الولد القادم وهو يهبط في الماء ناثراً الرشاش، آملة أن لا يقفز أبعد مني.

في بعض الأحيان كنا نستقل قارب المجاديف إلى شاطئ المحار مع الأولاد الأكبر سناً. كنا نرسو بعيداً قليلاً عن الشاطئ ونخوّض سيراً في اتجاهه ومعنا دلو وعلبة صفيح. وبينما يشعل أحدهم ناراً، يتجول بقيتنا في الماء ويجمعون حفنات من تلك المحارات شبه السوداء التي يمكن العثور عليها هناك. في بعض الأحيان، يكون عليك أن تغطّس رأسك تحت الماء حتى تصل إليها مثل غائص اللؤلؤ. ثم كنا نطهوها بعد ذلك في علبة الصفيح على النار ونأكلها. وإذا تبقى لدينا شيء منها كنا نستخدمه طعماً للصيد. أتذكر كم كان من الصعب فتح الأصداف، كم كانت منغلقة بإحكام، وتلك المتعة السادية التي يخلفها التطفل بفتح محاراتها بسكين والوصول إلى اللحم البرتقالي في داخلها. لكننا كنا غالباً ما نستخدم القواقع الصغيرة طعماً بدلاً منها. كان من السهل سحقها وكانت شقوق قممها المستوية الصلبة مناسبة تماماً لوضعها في الصنارة. وكانت تظل هناك حتى بعد أن تعضها السمكة بحيث يمكن استخدام الطعم نفسه لاصطياد عدة أسماك.

عندما كنا نحصل على السمك، كانت آن ماري وأنا نجري لها عمليات جراحية

في بعض الأحيان. كنا نتقمص دور الجراحين ونتخيل الأسماك كائنات بشرية، وكلاباً أحياناً. كنا نقطع ونحفر بين الأعضاء المختلفة بينما نتحدث عن المرض المقرف الذي أصابها. كنا نندهش من عدد الأشياء الغريبة الموجودة في السمكة. في بعض الأحيان كنا نجد أسماكاً وسرطانات أصغر في بطونها. كانت تلك الاستكشافات التشريحية ألعاباً مثيرة، وكان ثمة شيء قذر، لحميّ ومحرّم بشأنها.

بطبيعة الحال، كنا نصطاد السرطانات أيضاً. تلك كانت رياضة بسيطة ومثيرة، أبقتنا مشغولتين لساعات. كانت تختلف عن الأسماك في أننا كنا نستطيع، بطبيعة الحال، أن نرى السرطانات كل الوقت، وأن نتعقبها من حيث تختبئ في جماعات بين أعشاب البحر حتى تصل موضع المحار. ثم عندما يبدأ السرطان بتناول الطعام، يترتب عليك الاحتفاظ بهدوء أعصابك وأن تلتقطه بالضبط في اللحظة المناسبة، ليس سريعاً جداً ولا متأخراً كثيراً. كنا نجمع السرطانات في دلو مليء بالماء والطحالب التي تزحف حولها وتقبض عليها بمخالبها. ثم نقيم سباقات معها على شاطئ البحر لنرى من الذي سيبلغ الماء أولاً. وهناك في البحر، كانت السرطانات تجعل نفسها عرضة للإمساك بها مرة أخرى على الفور. وقد ميزنا مجموعة معينة من السرطانات التي يمكن القبض عليها مرة أخرى وأخرى، وأطلقنا علينا أسماء وفقاً لما تبدو عليه: المخلب الواحد، الدرع الأخضر، وهكذا.

تلك هي الطريقة التي قضينا بها فصول الصيف، وأنا أطليها بالتأكيد بألوان متوهجة، كما يفعل المرء عادة عندما يتحدث عن فصول الصيف في طفولته. أتذكر تلك الأوقات كفواصل مشرقة، واهبة للحياة، بين الشتاءات الطويلة المملة، فصول الصيف تلك عندما كانت أسرة غاتمان ما تزال تشع بالعسل وعصير التفاح.

في آخر واحد من تلك الفصول، صيف العام ١٩٦٨، دفنا، آن ماري وأنا، كنزاً تحت بعض أشجار الصنوبر في شق بين الصخور.

في تلك الأيام، كانت هناك أرض مفتوحة للرعي، والتي أصبحت فيها الآن أجمة. مشينا عبر تلك المروج إلى غابات السنديان الصغيرة وخرجنا منها إلى الصخور على الجانب الآخر. كنا في طريقنا إلى شاطئ المحار حيث خططنا لنزهة، لكننا

t.me/ktabpdf مكتبة

أخطأنا في شيء وضيعنا الطريق. لم يقلقنا ذلك كثيراً. يمكن أن تضيع بسهولة في هذه المنطقة، لأنها تبدو هي نفسها في كل مكان، حيث الصخور ونباتات الخلنج في كل مكان. وإذا أردت أن تعرف أين أنت، فما عليك سوى أن تتسلق إلى أعلى واحدة من الصخور فقط لترى أين هو البحر. ثم يمكنك أن تتعقب الساحل دائماً لتعود إلى البيت.

لم نكن في عجلة من أمرنا. مشينا في الجوار قليلاً هنا وهناك، ووجدنا أنفسنا في الوادي المليء بأشجار الصنوبر العالية. كانت الأرض رطبة ومليئة بالمستنقعات، لكن فيها منطقة صلبة وجافة، بقعة صغيرة مغطاة بعشب أخضر زمردي. وقد سمحت قمم أشجار الصنوبر بأشعة كابية فقط بالعبور من خلالها. وتعلقت على الصخور أعلى قليلاً شجرة كرز محملة بالثمرات داكنة الحمرة.

كان هذا مكاناً مختلفاً عن المشهد المحيط من الصخور والخلنج وبساتين الرياح التي تجتاح السنديانات الصغيرة.

صعدنا إلى شجرة الكرز، التقطنا الثمار وجلسنا لنأكلها على العشب الزمردي. كنا نبلغ الحادية عشرة عاماً.

"هل كنتِ هنا من قبل؟" سألتُ.

"كلا، لم أعتقد أن هذا المكان موجود من قبل،" قالت آن ماري. "طفت هنا كثيراً من المرات ولم أره قط. إنه لم يكن موجوداً قبل الآن، ببساطة."

قبلت ما قالته، بالطريقة التي كنتُ أقبل بها كل شيء تقوله آن ماري.

استلقينا في العشب ونظرنا فوقنا إلى قمم أشجار الصنوبر التي تهمهم بسحر ونعومة.

"أعتقد أننا قد سُحرنا،" قالت آن ماري.

كانت هذه هي آن ماري نفسها التي قيل لي سابقاً إنها رقصت خداً إلى خد في بيوت صديقاتها في ستوكهولم، والتي تحمل معها الماسكرا، والكريم البني وظل الجفون في كيس تواليت أبيض وأسود. كانت هي بين عالَمين، بينما كنت ما أزال في طفولتي، ولم أتفاجأ مطلقاً بما قالته.

"نعم، أستطيع أن أشعر بذلك" همستُ. "إننا مسحورتان."

لمسَت ذراعي، وبينما نواصل النظر فوقاً إلى أشجار الصنوبر المتنهدة، أمسكنا أيدي بعضنا بعضاً وشددناها بقوة.

"أحس كما لو أنني أطير،" تمتمت آن ماري. "هل تشعرين بذلك أيضاً؟"

"نعم، إننا نطير،" قلتُ.

يداً بيد استلقينا على العشب الطري وطرنا.

فجأة جلست آن ماري.

"دعينا ندفن كنزاً،" قالت.

"أي نوع من الكنوز؟،" قلتُ.

فتحت ماري كيساً بلاستيكياً وأخرجت منه غداءنا: عصير، كمثرى، وعلبة كعك معدنية.

"سوف نأكل الكعك الآن. ثم سنضع شيئاً في العلبة وندفنها هنا."

أكلنا الكعك والكمثرى وشربنا العصير. ثم هزت آن ماري العلبة لتخرج ما تبقى فيها من فتات.

"ماذا سنضع فيها؟ أعرف. هذا."

فكّت المشبك من شعرها ووضعته في العلبة.

بدأت أفكر في الخنفساء الفضية المتدلية من قلادتي. كانت هدية التعميد من جدتي وأنا أرتديها دائماً. إذا سألت عنها أمي فسيمكنني أن أقول إنني فقدتها.

"ساعديني في فتحها،" همستُ.

هزت آن ماري رأسها. أدرت الجزء الخلفي من رقبتي لها ورفعتُ شعري. استطعت أن أشعر بأصابعها المدغدغة بينما تفتح القفل.

أعطتني الخنفساء وجعلتني أضعها في الصندوق بنفسي.

"أي شيء آخر؟" قالت.

لم نكن نرتدي أي شيء آخر ذا قيمة.

نظرت آن ماري حولنا. بجوارنا مباشرة في العشب كانت مجموعة صغيرة من

t.me/ktabpdf مكتبة

فضلات أرنب جافة. التقطت بعضاً منها.

"إنها خفيفة جداً. لا تعرفين أنكِ تحملينها. خذي، المسي."

سكبَتها في يدي. رأيت الفضلات الصغيرة هناك، لكنني لم أشعر بها.

"هناك شيء سحري بشأنها،" قالت آن ماري. "دعينا نضعها في العلبة أيضاً."

قرّبت العلبة مني وتركتُ فضلات الأرنب تسقط فيها. ثم وضعتها آن ماري على الأرض وتسلقت الصخرة. التقطت بعض ثمار الكرز وعادت بفم مليء. ركعت على ركبتيها، مضغت وابتلعت وقد التوت قسمات وجهها —كان الكرز حامضاً بشكل مروّع. ثم انحنت فوق العلبة وبصقت قطع الكرز فيها. ضحكت قليلاً.

"هذا يكفي. دعينا ندفنها الآن."

بأيدينا وأكوابنا البلاستيكية استطعنا أن نحفر حفرة في العشب. وضعنا العلبة فيها، غطيناها ووضعنا حجراً فوقها.

"يمكننا أن نحفر ونستخرجها عندما نصبح بالغتين،" قلتُ.

"هل تظنين أننا سنأتي إلى هنا ثانية أبداً؟ لا أظن ذلك،" قالت آن ماري.

كريستينا

t.me/ktabpdf مكتبة

كادت تصل إلى حيد الصخور الآن. كانت طيور الخطاف تزعق وتدوّم حولها. التمعت مناقيرها الحمراء بلون الدم في ضوء الفجر الرمادي. سقطت قطرات دبقة من فضلات الطيور على زورق الكاياك.

لكن النوارس أكثر جرأة. أنها تندفع، تغوص في اتجاه رأسها وتمشطه بمناقيرها القوية. في السابق، اعتاد أن ينتابها الفزع. كانت ترفع يدها وتديرها في حركات دفاع عنيفة وتنحني إلى الجوانب حتى تفقد توازنها وتنقلب. لكنها لم تعد تخاف الآن. وإنما تجدف بثبات نحو وجهتها فقط.

تتوق إلى ذلك اليوم الذي لن تعود فيه الطيور تزعق بها وتهددها عندما تعرفها وتعرف أنها لن تضرها هي أو صغارها، وإنما ستمر من تحتها فقط. إنها لا تفهم، حتى الآن، روح النوارس وطيور خطاف البحر. ثمة جدار بينهم، لكنها في كل مرة تنزلق فيها داخلة حشد الطيور الصارخ تشعر أنها تصبح أقرب إليها.

تنزلق نحو الجزيرة الصخرية الصغيرة بالضبط حيث يغوص جدار صخري قليل الميل في الماء. تدير الزورق بحيث يواجه الجانب العريض من الجدار وتسمح للأمواج بأن تهز القارب وتدفعه إلى الحافة. ثم تتسلق خارجة منه بحركات لطيفة وحذرة. ترتدي سروالاً قصيراً وتمشي حافية القدمين. ولذلك لا يهم أن الماء يصل تقريباً إلى ربلة ساقها. كانت الصخرة تحتها زلقة كالصابون بسبب الطحالب الحمراء الصدئة. تسحب الزورق إلى الصخرة، وتعبر فوق الصخور الناعمة المستديرة بينما تتعقّبها سحابة من الطيور.

تشعر كما شعرت عندما كانت صغيرة. هذه هي الطريقة التي كان عليها الأمر

t.me/ktabpdf مكتبة

آنذاك. لم يكن ينبغي قول أي شيء. إنك تركض في المكان، تتشمم ضوع العطور وتسمع الأصوات، تعثر على الريش، وتضحك. والآخرون يضحكون كذلك، يأخذون منك الريش، ويحملونك ويرفعونك عالياً في الهواء. كان والداها جزءاً من عالمها، وكان آخرون هناك أيضاً.

ثم آنذاك، في وقت ما من طفولتها، بدا كما لو أنهم كلهم تخلوا عنها. أمها، أبوها، وكل الناس الآخرين أخذوا خطوة كبيرة مبتعدين عنها بصمت نحو عالَم آخر، وتركوها. حاولوا أن يجعلوها تنضم إليهم. لكنها رفضت.

كلما فعلت شيئاً مهماً كانوا يأتون ليضايقوها بكلامهم: "ما الذي تفكرين فيه؟ لماذا أنتِ صامتة؟ كلّمينا. ولكن، قولي لنا أي شيء. لما أنتِ منطوية كثيراً هكذا؟ هل أنتِ حزينة من شيء؟ تعرفين أنكِ تستطيعين دائماً أن تتحدثي إلينا."

في المدرسة كانت خجولة، لم تقل أي شيء أبداً، ولم ترفع يدها على الإطلاق. قالت لها المعلمات: "يمكنك القيام بذلك بعد كل شيء. إنك تبلين حسناً في الاختبار. لماذا لا تقولين أي شيء على الإطلاق؟"

تكلمي، تكلمي، تكلمي. وهي أرادت فقط أن يتركوها وشأنها. لقد وُلدت في الزمان الخطأ. كل ذلك الهذيان. تصورت أوقاتاً أقدم كأزمان فيها القليل جداً من الحديث. ودّت لو أنها عاشت في قرن آخر في بلاد أخرى، بين أناس يعملون بجد وبالكاد يتحدثون... أن تنهض في الفجر، وتخرج إلى الحظيرة لتحلب الأبقار التي تستقبلها بالخوار. تضع أصابعها حول حلماتها الوردية، وتستمع إلى أغنية الحليب الهامسة وهو ينسكب في الدلو، وأزيز الذباب. المطر يسقط، والعشب ناعم تحت قدميها، والثلج ينسحق تحتهما في الشتاء. تردد الصوت في البئر، وكانت سعيدة لأن لديها بئراً بدل صنبور المياه. أغنية الدلو الحديدي المعدني عندما يرقص دائراً هناك في الأسفل.

لم تكن تحب الموسيقا كثيراً أيضاً. كان ينبغي أن تكون الموسيقا هائلة الجمال حتى تصلها. تحتاج لأن تبدو كما لو أن الطبيعة نفسها هي التي خلقتها. لكنها من

صناعة البشر. كانت الموسيقا تحتاج إلى مستمع، وتريد أن تَسُرّ، لكنها لم تكن تريد أن تُسَرّ. استمتعت بالموسيقا مرة أو اثنتين فحسب.

ذات مرة، في محل يبيع الأدوات المنزلة والحلي، استمتعت إلى قطعة موسيقية من مكبرات الصوت. اضطرت إلى الوقوف أمام رف النظارات ولم تجرؤ على الحراك حتى لا تضيّع نغمة واحدة. كانت معزوفة على هيرمونيكا النايات وبدت موسيقاها وكأنما اتحدت مع الزجاج والضوء. وعندما انتهت، جاءت قطعة مختلفة تماماً من الموسيقا، فغادرت. لم تعرف ما إذا كانت الموسيقا تنبعث من مذياع أم من مسجلة، ولم ترد أن تسأل. لم تكن لديهم مسجلة في البيت ولم تعتقد أن تجربتها يمكن أن تتكرر. لا بدّ من أن للأمر علاقة بالوضع، بالزجاج والضوء وبشيء ما في داخلها، ولم يكن ذلك شيئاً يمكن أن يوثق إلى أسطوانة مسجلة.

بعد المدرسة الثانوية كان من الطبيعي أن تستمر في نوع ما من التعليم. كانت، بعد كل شيء، ذكية بما فيه الكفاية. كانت تحصل على أعلى الدرجات على الرغم من أنها لم تنبس ببنت شفة في غرفة الصف. تحدث مستشار التوجيه المهني معها طويلاً عن الجامعات والدورات المختلفة. لكنها هزّت كتفيها بلا اهتمام فحسب.

بدأت دراسة تاريخ الفن في الجامعة. أعجبت بالفنانين، بأولئك الناس الذين عبّروا عن أنفسهم بالصور بدلاً من الكلام. تمتعت دائماً بالذهاب إلى متحف الفن. لكن التدريس لم يكن ما كانت تتوقع. كانت تظن أنها يمكن أن تبقى مع نفسها. أن تجلس بصمت في المحاضرات وتستمع، وتعمل في المنزل، وتقوم بعد ذلك بكتابة امتحاناتها، على نحو يشبه ما كانت تفعله في المدرسة من قبل. لكنها تعرضت في هذه الدورات للعديد من التدريبات حيث يقسمون الطلاب إلى مجموعات صغيرة من سبعة أو ثمانية، ويتوقع المعلمون منهم جميعاً أن يشاركوا في المناقشة. وقد وضعها ذلك في الزاوية حين يُطلب إليها التعبير عن رأيها. كان كل الذين إلى الطاولة يحدقون في وجهها. ولم تستطع التكيف، فتوقفت عن ارتياد الكلية.

حصلت على وظيفة في التنظيف في مستشفى. لم يكن الصمت مشكلة هناك.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان هناك عدد من المهاجرين الذين لا يتكلمون السويدية، والذين كانوا صامتين مثلها فحسب.

أدّت وظيفتها بطريقة غير مسموعة ولا مرئية. لم يتحدث إليها أحد. كانت تذهب كل صباح لتحضر عربتها من الدهاليز تحت الأرض، وتستقل المصعد إلى فوق وتبدأ رحلتها شبه الشبحية عبر عنابر المستشفى وممراته. كانت تنسلّ إلى الدوائر المختلفة، تمسح الفوضى عن مشمع الأرضيات ذي الرسوم التي تتخذ شكل ٨ وتلمع الأرضيات، تحت أسرة المرضى والمحتضرين، في الممرات، وإلى غرف الأطباء، لم يكونوا يرفعون أنظارهم أبداً حتى عندما تجيء، وإنما يواصلون فقط إملاءهم في ميكروفونات مسجلاتهم. كانت تنسلّ داخلة وخارجة في كل مكان، سائلة وشفافة مثل الماء.

اقتصرت اتصالاتها مع الآخرين على اجتماعات الصباح القصيرة عندما يوزع المشرف عليهم المهامّ، وعلى فترات الاستراحة وشرب القهوة في غرفة العمال الجوفية، حيث يتحدث أولئك الذين يريدون التحدث، بينما يبقى أولئك الذين لا يستطيعون التحدث صامتين. كانت كريستينا، ورجل تركي شاب وامرأة يوغسلافية يجلسون دائماً في أركانهم منفصلين، يحدقون إلى أسفل في أكواب القهوة، ولم يبذل أي من الآخرين أي محاولات للتحدث معهم.

هكذا، بطريقة ما، كان المستشفى مكاناً جيداً. توسل والداها وتوسلاها لكي تواصل دراستها مرة أخرى، أو أن تحصل على الأقل على نوع آخر من العمل. لكنها استمرت في الاستيقاظ قبلهما بعدة ساعات، وتركب دراجتها لمسافة ثلاثة أميال إلى المستشفى وتدور في المكان بعربة تنظيفها. كانت تعرف كل الوقت أن هذا الوجود لن يستمر، وأن شيئاً آخر سوف يأتي. لكنها لم تعرف ما هو. كانت وظيفة التنظيف تمهيداً لشيء آخر، ومجرد مكان تشاهد فيه وتستمع.

عملت في المستشفى سنتين تقريباً. ثم حدث لها شيء.

لم تعد تذهب إلى العمل. لم تعد تستطيع أن تنظر في عيون أي شخص

لا زملائها في العمل، ولا والديها، ولا أحد على الإطلاق. أصبحت نظرات الناس تبدو مخيفة بالنسبة لها، بل ألماً مادياً حقيقياً في واقع الأمر. أصبحت مثل الأسلحة والسكاكين. كانت ملاقاتها تعذيباً لا يطاق. أقفلت عليها بابها، وكمنت في السرير طوال اليوم والغطاء على رأسها، دون أن تأكل أي شيء تقريباً. وبعد فترة تحسنت قليلاً. بدأت بالخروج. كانت تنتظر حتى يذهب والداها إلى العمل. ثم تركب دراجتها إلى المدينة -لم تحب الجلوس بجوار الناس في عربة ترام- تضع دراجتها في مكان ما وتتجول في الأماكن حيث يتواجد الكثير من الناس. في بعض الأحيان كانت تستقل دراجتها إلى المحطة المركزية في وقت وصول القطار من ستوكهولم. هناك تتجمع حشود من الناس على المواقف. ثمة الناس الذين يصلون، والأقارب الذين جاءوا لاستقبال أحد ما. اعتادت الوقوف في منتصفهم جميعاً، حيث تشعر بوجودهم حولها، وتحسّ بكيف يمرون قريبين منها في الحيز الضيق ويزاحمونها بأمتعتهم وبحقائب الظهر، وتسمع صيحاتهم وترى عناقاتهم. ومثل عين عاصفة تجمع الاجتماعات والمشاعر، كانت تقف هناك حتى يقِلّ الحشد. في بعض الأحيان، كانت تستقلّ القطار القادم من كونبهاغن وتستمع إلى العائدين من بلاد أخرى، وتفكر بأن غوتنبرغ صغيرة جداً. تاقت إلى أن تبتلعها الحشود في باريس، أو لندن، أو طوكيو.

في عصر يوم سبت، حيث تعلم أن الكثير من الناس سيكونون هناك في المدينة، استقلت دراجتها إلى هناك وطافت حول الحشود. وجدت متجراً افتتح حديثاً يمتلئ بالأشياء الغريبة والمتنوعة المستوردة من البلدان الغريبة. كان ثمة شيء تحريضي في الأشياء المعروضة في الواجهة، فدخلت المتجر الصغير كثيراً حتى أن الخمسة، أو الستة زبائن في الداخل وقفوا هناك مزدحمين. كانت هناك أقراط حلقية معدنية كبيرة، وأساور جلدية وأقمشة أفريقية، وسلال وقمصان وفساتين بالترتر، وبخور وملصقات تحمل صور الآلهة الهندية بألوان النيون. وعلى الجدار، كان رف من الأقنعة، كلها تمثل وجوه حيوانات.

t.me/ktabpdf مكتبة

أنزلت واحداً من الأقنعة وجربته أمام المرآة. كان وجه ثعلب. عندما قابلت صورة عينيها في تجاويف وجه الحيوان المائلة، اختبرت شعوراً بالغبطة، كان قوياً جداً حتى أنها تنفست بصعوبة. استدارت ونظرت حولها في المتجر، إلى الناس الموجودين فيه، وموظف المبيعات الشاب. شعرت بشيء مختلف تماماً. لم تكن تشعر بأي خوف.

دون خلع القناع اقتربت من الشاب وقالت إنها تريد شراءه. أراد أن يحضر كيساً، لكنها وضعت النقود على الطاولة وغادرت فحسب. سارت في أنحاء البلدة فترة طويلة. ثم استقلت دراجتها عائدة إلى المنزل مرة أخرى، وهي ما تزال ترتدي قناعها.

أصبحت ترتدي قناع وجه الثعلب كلما خرجت. أخذت تترك الدراجة في المنزل وتستقل الترام. لم يرد أحد الجلوس بجوارها، لكن ذلك لم يضايقها. أصبحت تجلس على المقاعد في الحدائق العامة والمقاهي، ولم يحاول أحد بدء محادثة ممتعة معها. أصبح بإمكانها أن تذهب أينما أرادت وكلما أرادت، ولم تعد بحاجة إلى البقاء في الأماكن المزدحمة وفي أوقات معينة. لم يعد يضايقها شيء. كانت تلك حرية رائعة.

اشترت قناعين آخرين؛ قناع نسر وقناع نمر. كانت ثلاثتها أقنعة حيوانات مفترسة وكلها تخيف الناس، لكنها أدركت أنها ذات شخصيات وطبائع مختلفة. كانت تهمس لها وهي معلقة على الحائط فوق سريرها تحدق بها بعيونها الفارغة العمياء. كانت تحرّضها، تغويها، تثيرها. ولم تكن الأقنعة تتوقف حتى تنزل واحداً منها وترتديه. وعندما تفعل ذلك، تصبح ممتلئة بشخصية الثعلب أو النسر أو النمر.

حاول والداها جعلها تتوقف عن ارتداء الأقنعة عندما تخرج. في أحد الأيام، بينما كانت في الخارج مرتدية قناع النسر، أنزل والداها قناع الثعلب وقناع النمر ورمياهما. وعندما وصلت المنزل كانت الأقنعة قد اختفت. عندئذ أصبحت ترتدي قناع النسر في جميع الأوقات، وترفض خلعه. فقط في الليل بعد أن تقفل بابها، كانت تعلقه على الجدار قبل أن تذهب إلى النوم.

ظهرت في وجهها بثور بسبب ارتداء القناع كثيراً. خططت حواف البثور ببعض

من المطاط الرغوي من النوع الذي يستخدم لعزل النوافذ. لكن ذلك لم يساعد. أصبحت لديها قروح مؤلمة وأصيبت بالتهاب. أصبحت عيناها تضايقانها لأن مجال رؤيتها كان محدوداً جداً وصارتا تؤلمانها في المساءات.

لم تعد تريد تناول وجبات الطعام مع والديها. أصبحت أمها تترك لها طعامها على الطاولة. وبعد أن تأكل، وتغسل الأطباق وتغادر المطبخ، كانت كريستينا تذهب إلى الطاولة. تتأكد من أنها وحدها. ثم تسكب طعامها على الأرض، ترفع قناع النسر وتركع على أربع وتأكل مثل حيوان. وعندما دخلت أمها في أحد الأيام ورأتها تزحف على أرضية المطبخ بوجه ملطخ وتبتلع قطع الملفوف المحشوة الملفوفة بعناية، صرخت مأخوذة بالمفاجأة.

وعدت الأم كريستينا باصطحابها إلى طبيب الجلد لتحصل على مرهم ما يعالج التقرحات على وجهها. طلب منها الطبيب خلع القناع ليتمكن من رؤية وجهها. لكنها أبقته لأنها فهمت مسبقاً أن الرجل لم يكن طبيب جلدية على الإطلاق، وإنما طبيباً نفسياً. جلست هناك، مستقيمة جداً قبالته. وراقبته من وراء وجه النسر القاسي. كانت تعرف أن تعبير عينيها قد تغير وراء القناع إلى تعبير طير جارح. لم يتمكن الطبيب من النظر في عينيها، واضطر إلى إدارة وجهه.

بعد بضعة أيام جاءوا لاصطحابها. أجبرها رجلان وامرأة على الذهاب معهم. سحبوها، حاولوا حملها، وعندما انطوت على الأرض مثل النيص أنزلوا سروالها الداخلي وأدخلوا تحميلة في مؤخرتها. سقط قناع النسر خلال الصراع، واعتقدت أن ذلك، وليس التحميلة، كان السبب في أنها أصبحت ضعيفة إلى درجة السماح بأن تُنقل إلى السيارة المنتظرة.

نُقلت إلى مستشفى آخر غير الذي كانت تعمل فيه. كان في ضواحي المدينة. ثمة مبانٍ قديمة هناك، فيها أماكن للمسنين، سواء من أولئك الذين أصبحوا مشوشين في شيخوختهم أو المضطربين منذ وقت طويل، ربما طوال حياتهم. وكانت هناك أيضاً ناطحة سحاب جديدة للشباب الأصغر سناً ممن أصيبوا بالجنون بطرق مختلفة، بالمخدرات، بالكحول، بالأوضاع غير السعيدة في المنزل، أو هكذا بلا أي سبب

t.me/ktabpdf مكتبة

فقط... هذا هو المكان الذي أخذوا كريستينا إليه.

لم تستطع استعادة قناع النسر أبداً. كانت تستلقي على سريرها وتختبئ تحت بطانية صفراء من قماش البشكير. وكلما سمعت صلصلة عربة الطعام، وشمّت الرائحة المقززة للطعام المؤسسي، كانت تغطي وجهها بيدها وتصنع فرجة صغيرة بين أصبعيها الوسطى والسبابة أمام إحدى عينيها وتمشي إلى غرفة الطعام. وحتى تضع شوكتها في فمها، صنعت فجوة صغيرة بين أصبعيها الخنصر والبنصر. وكلما حاولت أن تأكل مباشرة من الطبق دون استخدام السكين والشوكة، كانوا يأخذون الطعام منها.

في أحد الأيام التقت رجلاً في كافتيريا المرضى. كانت قد عانت كثيراً في حمل صينيتها إلى الطاولة بيد واحدة، بما أنها احتاجت الأخرى لتغطي بها وجهها. مشى إليها ببساطة، وأخذ صينيتها ووضعها على الطاولة، ثم جلس أمامها. كان طويل القامة وعريضاً، يرتدي الجينز وله شعر أشقر وشارب أشقر ووجه محمر، ربما بفعل الشمس أو الكحول أو دواء ما. كانت عيناه بلون الزرقة المائية. وقد تحدث الرجل باستمرار. وعلى الرغم من أن كريستينا كانت تكره كل أنواع الكلام، فإنها لم تنزعج منه. تتالت كلماته منتقلة من موضوع إلى آخر، من فكرة إلى فكرة. كانت له لهجة فنلندية وذهب في بعض الأحيان إلى اللغة الفنلندية تماماً. بدا حديثه مثل الطبيعة، ليس أكثر إقلاقاً من خرير الماء أو همس الريح. ولم يكن في حاجة إلى أي إجابات.

فتحت كريستينا أصابعها قليلاً ونظرت إليه. ظنت أنه جميل بلون وجهه الوردي وعيونه ذات الزرقة الخفيفة. وهو لم يسألها لماذا أبقت يدها أمام وجهها.

خرجا إلى حديقة المستشفى معاً. كان يوماً صافياً في سبتمبر وكانا وحدهما تقريباً في الحديقة، وقد صنعت ظلال الأشجار أنماطاً مثل الشبكات على المروج.

أراد أن يلعبا الغولف المصغر. أبعدت يدها عن وجهها عندما استخدمت مضرب الغولف. واجهت صعوبة كبيرة في ضرب الكرات، لكنه كان ماهراً جداً. هزّ رأسه محتجّاً على خرقها.

وهكذا، وقف وراءها ولف ذراعيه حولها ليساعدها على الإمساك بالمضرب.

شعرت بجسده على جسدها. كان شعوراً غريباً. رفع يديها وذراعيها بحركة كانت له، وليس لها. كان أطول منها وأقوى بكثير. صنع ذلك شعوراً أشبه بارتداء معطف فرو كبير ثقيل.

فجأة أصبح صامتاً تماماً. شعرت بانتصابه يضغط على ظهرها الصغير. كان يفرك نفسه بها، ويتنفس بثقل في أذنها وقد عقد ذراعيه بإحكام كبير حولها حتى أنها أسقطت المضرب. ثم رفعها إلى الأعلى قليلاً بحيث مسحت قدماها الأرض وحملها مسرعاً عبر الحديقة إلى مجموعة من أشجار السرو. تعلقت في قبضته حبيسة بين ذراعيه. مسحت أصابع قدميها العشب وهو يركض بها.

لم تكن لها أي فرصة حتى لو ناضلت. كانت صغيرة ونحيلة وكان كبيراً وقوياً. لكنها لم تقاوم. استولى عليها شلل غريب. رقدت ساكنة تماماً، مشلولة... فكرت بالحيوانات التي يشلها سم الأفعى وتكون غير قادرة على الحركة، لكنها واعية تماماً بينما يبتلعها الثعبان وهي حيّة. وضعت يدها على عينيها وأصابعها منضمة معاً بإحكام وبلا ثغرات. استطاع أن يفعل بها ما يريد بينما تدرك الكلام الهامس الذي ينفخه من فمه، ورائحة أنفاسه الكيماوية الغريبة والعبق المسكر المنبعث من أشجار السرو.

بعد أن غادر واصلت الاستلقاء هناك لفترة طويلة وهي تنظر إلى سماء سبتمبر الزرقاء. اندهشت لأنها ما تزال حية. كان الشعور بأنها أُكِلت قوياً جداً.

بعد ذلك لم تعد تشعر بأي تعاطف مع الحيوانات التي تصطادها الحيوانات المفترسة وتأكلها. شعرت كما لو أنها تفهم كيف تشعر. كان ثمة نوع من الوضوح إلى جانب الرعب، والقهر والهدوء. روح الفريسة.

t.me/ktabpdf مكتبة

أولريكا

t.me/ktabpdf مكتبة

في ربيع العام ١٩٦٩ ذهبت كارين وآكي غاتمان إلى الهند. كتبت كارين مقالات نُشرت في صحيفة "ديلي نيوز" ثم جُمعت لاحقاً معاً في كتاب. وكتب آكي القصائد التي نشرت على الصفحات الثقافية المختلفة قبل أن يعاد تحريرها وتُنشر في مجموعة شعرية لقيت استقبالاً حسناً. لكن الحصيلة الأكثر أهمية في رحلتهما، وهي الحصيلة التي سيكون لها تأثير حاسم على حياتهم المستقبلية، كانت مايا.

كتبت كارين بنفسها عن لقائهما الأول بها في مقال صحفي. لكن ذلك الوصف لم يكن جزءاً من الكتاب الذي كتبته في ذلك الخريف. بحثت عنه بلا جدوى في الكتاب الذي عثرت عليه في متجر للأشياء المستعملة قبل بضع سنوات. ربما اعتبرت ذلك شخصياً جداً بحيث لا ينبغي تضمينه في الكتاب، وربما كانت المشاكل المرتبطة بمايا قد أصبحت واضحة مسبقاً بحيث بهت وهج الاجتماع الأول بالفعل. لكنني وجدته في محفوظات مكتبة جامعة غوتنبرغ على ميكروفيلم. كان البحث عنه سهلاً جداً بما أنني أتذكر جيداً التاريخ الذي تم نشره فيه، بعد بداية العطلة الصيفية، وإنما قبل منتصف الصيف.

كان وجه مايا الغامق هو أول شيء وقع عليه نظري عندما سحبت الصحيفة من صندوق بريدنا. صورة على الصفحة الأولى، التقطها آكي، تُظهر مايا راقدة في سرير دار للأطفال الأيتام، وجهها بين قضيبين. كانت تمسك برضاعة أطفال موثقة إلى السرير بسلسلة طويلة. وقاطعتها كاميرا آكي وهي تأكل، وقد حوّلت وجهها نحو الكاميرا بتعبير غير مفهوم في عينيها الكبيرتين، بينما كانت ذبابتان تلعقان القطرات على حلمة زجاجة الحليب. وسقط شعاع من الشمس من باب نصف

t.me/ktabpdf مكتبة

مفتوح على وجهها، ويدها، والزجاجة والذباب، بينما قبعت بقية الصورة في الظل.

كان ثمة تسعة وعشرون طفلاً آخرون في تلك الغرفة، تسعة وعشرون سريراً تضم أطفالاً هنوداً مهجورين بزجاجات حليب متدلية من سلسلة، مزدحمين قريباً من بعضهم بعضاً. كانت هناك بضع ممرضات يرتدين الساري ويشرفن على المصور من على بعد بضعة أمتار. وكانت كارين هناك ترتدي سروالاً قصيراً وقميصاً وتحاول أن تحمي من العرق المفكرة الإلكترونية في يدها. وبطبيعة الحال، كان آكي هو المصور. لكنه لا يمكنك أن ترى أياً من هؤلاء الناس في الصورة. مايا فقط. وحدها. يحيط بها ظلام كبير.

تلك الصورة تلاشت في ذاكرتي، خفتت قوتها بين جميع الصور الأخرى التي التُقطت لها وزينت جدران المنزل الصيفي، صور لمايا أخرى حسنة التغذية، على المروج المشمسة والشواطئ والأرصفة، محاطة بعائلتها. وعندما تعرفت، بعد ذلك بكثير، في أرشيف صحيفة جامعة غوتنبرغ، على تلك الصورة الأولى، التي يرجح أن تكون أول صورة التقطت لمايا على الإطلاق، شعرت أنها أكثر أهمية من أي من الأخريات. صورة مايا الصغيرة النحيلة والظلام الكبير الذي أحاط بها.

كنت أقرأ، جالسة على حافة حفرة البقدونس البري بجوار صناديق البريد. كنتُ في الثانية عشرة من عمري. كنا قد وصلنا تواً إلى تانجيفيلك. أمي وأنا فقط في الوقت الحاضر. كان أبي ما يزال يعمل، ويجيء فقط في عطلة نهاية الأسبوع. لم تكن عائلة غاتمان قد جاءت بعد، ولم يكن ذلك عادياً لأنهم عادة ما يكونون هنا مباشرة منذ بداية الإجازة. لكنهم تأخروا هذا العام بسبب عمل يتصل بالرحلة الهندية.

قرأت عن لقاء كارين وآكي بفتاة صغيرة في دار للأيتام في بنغالور. عن كيف أصبحت زيارة خطّط الزوجان للكتابة عنها، مثل كثيرات أخريات، شيئاً مختلفاً تماماً. كيف ظلا في بنغالور وكيف عادت كارين إلى دار الأيتام يوماً بعد يوم. كيف عادا إلى السويد لتسوية مسائل التصاريح الرسمية، ثم عادا بعد بضعة أسابيع لجلب الفتاة الصغيرة إلى السويد. كيف قطعا الرحلة بالسيارة من المطار بجوار حقول الهندباء الصفراء إلى المنزل حيث الأولاد ينتظرون. كان شهر مايو هو السبب الذي

جعلهم يسمونها مايا.

طويتُ الصحيفة، وواصلت الجلوس على حافة الحفرة وأنا أحاول أن أفهم معنى ما قرأته للتو. لقد حصلت آن ماري على أخت صغيرة. لم يكن ذلك متوقعاً بالتأكيد. كانت كارين في الحادية والأربعين، وكان لديها مسبقاً أربعة أولاد. كنت أسمع أن الناس الذين بلا أولاد فقط هم الذين يتبنون الأطفال. وكان تبنّي طفل أجنبي ما يزال أمراً غير معتاد مطلقاً في السويد.

لكن الأمر الذي شغل أفكاري بشكل خاص كان ذلك السؤال بالغ الأنانية: ما الذي سيعنيه هذا لعلاقتنا، آن ماري وأنا؟ لقد أصبحت آن ماري في غاية الأهمية بالنسبة لي خلال فصول الصيف تلك. وخلال فصول الشتاء، عندما تعيش في ستوكهولم وأنا في غوتنبرغ، كنتُ أشتاق إليها كل الوقت. كانت حياتي مقسومة إلى جزء شتوي وآخر صيفي. كان الشتاء يعني وقتاً طويلاً مظلماً من الشوق، والضجر، والتخفي. أما الصيف فيعني العلاقة مع آن ماري، والأحاديث، والألعاب، والمغامرات وإمكانية أن أكون أنا نفسي. لم أكن أستمتع بزملاء المدرسة بشكل خاص. كنت أشعر بأنهم سطحيون، مملون وأغبياء. وقد بذلت ما في وسعي من أجل أن أنسجم، وكنت هادئة، ومتوافقة مع الآخرين، أرتدي مثلما يفعل الآخرون، وأسمع الموسيقا نفسها، وأبقي على ظهوري محدوداً ببساطة. كنت جبانة، لم أرد أن أخرج أكثر من اللازم. وقد شاهدت ما حدث لأولئك الذين كانوا مختلفين.

كان لي ما يدعى أفضل صديقة، بما أن أدب السلوك الاجتماعي في صفي يتطلب ذلك. كانت فتاة خجولة، عديمة اللون، وحلوة جداً في الحقيقة، وهو ما لاحظته بعد ذلك عندما نظرت إلى صور الصف القديمة. كان لها شعر طويل داكن وبشرة مرمرية وتقاطيع مثالية، لكنها استطاعت بطريقة ما أن تجعل نفسها غير مرئية على الإطلاق. كنا نعمل معاً في الصف وتذهب كل منا إلى منزل الأخرى عندما يكون من المفترض أن نعمل على مشروع جماعي، وإنما ليس بخلاف ذلك أبداً. كانت تعيش وحدها مع والدتها، وكان والدها ميتاً. كانت معجبة بمطربة ألمانية لم

t.me/ktabpdf مكتبة

أكن قد سمعت عنها، واحتفظت بكل تسجيلاتها. بقينا في الصف نفسه تسع سنوات ولم تتشكل لدي أي فكرة عمن تكون.

كانت كل منا هي ذريعة الأخرى، مثلما كان للرجال مثليي الجنس في الأيام الخوالي صديقة ليخرجوا معها في العلن، فيحتفظون بسرهم بهذه الطريقة. وعن طريق جعل الآخرين يعرفون أننا كنا أفضل صديقتين، أمكننا أن نبدو طبيعيتين. لم أخبرها أي شيء أبداً عن آن ماري أو أي شيء آخر له أهمية في حياتي، وهي لم تكن فضولية أيضاً. وكانت لها أسرارها الخاصة هي الأخرى. ليست لدي أي فكرة عمّا هي.عليه لم أكن فضولية بدوري.

خلال فصل الشتاء، كنا آن ماري وأنا نتبادل الرسائل بشكل متقطع. كنت لأفضل مراسلات أكثر تواتراً، لكن آن ماري استغرقت دائماً وقتاً طويلاً للإجابة، وعندما يجيء دوري، لم أكن أريد أن أبدو شديدة التوق وأحتفظ بجوابي بقدر ما فعلت هي تقريباً. وعندما أجلس لأكتب في النهاية، تكون في رأسي الكثير من الأفكار التي أريد أن أوصلها، بحيث كانت رسائلي طويلة جداً، عشر، اثنتي عشرة صفحة، والتي كنت أحتاج إلى وضعها في واحد من مغلفات عمل أبي.

ما تزال لدي خطابات آن ماري. كانت قصيرة، فوضوية ومكتوبة على ورق ممزق من دفتر أو على أوراق ملاحظات صغيرة: "مرحبا، أنا جالسة في الحافلة. نيلا تجلس بجواري وتأكل مصاصة من عرق السوس ولسانها أسود. نحن ذاهبون لمشاهدة رجل لطيف سيلعب كرة القدم في مكان ما لا أعرف اسمه. إننا ننزل من الحافلة الآن." نادراً ما تضمنت رسائلها مزيداً من المعلومات، في حين كانت رسائلي، كما أتذكر، تتعامل مع أسئلة وجودية معقدة، بما فيها نوع من إعادة رواية ما اختبرناه خلال فصل الصيف: "هل تذكرين عندما..." ثم وصف طويل لما فعلناه، وما قالته وما قلته أنا. لم أعرف ما إذا كانت تستمتع بقراءة ذلك بشكل خاص، لكنني استمتعت كثيراً بكتابته. كانت رسائلها تسعدني دائماً، بغض النظر عن كم كانت قصيرة وفوضوية.

لم نستخدم الهاتف أبداً. كان ذلك اتفاقاً غير معلن بعد أن جربنا تلك الوسيلة

مرة واحدة. اتصلت بي آن ماري ذات ليلة بينما كنت جالسة أشاهد التلفاز، وتفاجأت جداً حتى لم أعرف ماذا أقول. ولم تكن هي قد خططت لأي شيء أيضاً. ربما فكرت بأن الأمور يمكن أن تحدث من تلقاء نفسها. لكنه لم يكن لدينا شيء يمكن الحديث عنه. كنا نعيش في عوالم مختلفة، وكنا أشخاصاً مختلفين في فصل الشتاء، وكان ذلك واضحاً جداً على الهاتف. وبعد بضع دقائق أنهينا المكالمة، وكلتانا أقرب إلى الارتباك.

كانت مشاعري تجاه آن ماري تشبه الافتتان في نواحٍ كثيرة. لكنها اختلفت في أن ذلك الافتتان لم يذهب. كل ربيع كنت ألاحظ إشارات الطبيعة الصغيرة: كانت كل حشيشة صغيرة، كل زرزور عائد من رحلة هجرته، أشبه بأسهم صغيرة تشير إلى الاتجاه الصحيح، إلى الصيف، إلى آن ماري.

وكل صيف كان مثيراً للقلق بالقدر نفسه أيضاً من لقائها مرة أخرى. تلك الساعة الأولى المخيفة التي أعاود فيها التعرف إلى آن ماري أخرى مختلفة متغيرة. بتسريحة جديدة، وملابس جديدة، وبعض اللهجة العامية من ستوكهولم، والتي لم أكن قد سمعتها تتحدث بها من قبل -كل شيء من هذا النوع كان مهدداً... وبعد ذلك، لحظة الوصل: نكتة، ذكرى مشتركة، انفجار من الضحكات التي تعيد الأمور بيننا إلى حالها.

هناك أشخاص لديهم مفاتيح لذواتنا. والذين يمكن أن يفتحوا الغرف التي كانت موجودة دائماً في داخلنا، لكننا لم نكن قد دخلناها أبداً. هؤلاء أناس تكون لنا بهم علاقة خاصة، والذين إذا كانوا من الجنس الصحيح، وفي سن مناسبة أكثر أو أقل، فإننا نقع في حبهم. وإلا فإننا نصبح مشوّشين، خاضعين، سمّ ذلك ما شئت، لكنهما الشيء نفسه في واقع الأمر. كانت آن ماري من هذا النوع من الأشخاص الذين يمتلكون مفاتيح ذواتنا، وكانت الأولى التي التقيتها. وهو السبب في أنها تعني لي الكثير. لم أكن بتلك الأهمية بالنسبة لها، وأنا على بينة من ذلك، ولذلك كان مكمن خوفي الدائم هو أنها ستضيع مني بطريقة ما.

وإذن، فقد حصلَت على ما يبدو على أخت هندية صغيرة تبلغ ستة عشر

t.me/ktabpdf مكتبة

شهراً. كان الفرق بينهما في السنّ كبيراً جداً لتكوين علاقة أُخوّة مثل التي كانت بيننا. ومع ذلك، بقيت قلقة بشكل غامض. بدت عائلة غاتمان شديدة الاكتمال. بالغة الكمال. الوالدان الناجحان، المبدعان. الخلفية الثقافية. و... الأولاد الموهوبون الجميلون المعتمدون على ذواتهم. الأسرة الذهبية المتوهجة في ضوء عسلها وتفاحها، فأي شيء آخر تبقى؟ لا شيء. ربما لم يكن ثمة شيء يمكن أن يجعلهم أحسن مما هم عليه.

رأيتهم مثل مبنى في طور التقدم، والذي تم العمل عليه لأجيال، ووصل الآن أعلى ذراه الممكنة، وحيث آن ماري قمته المشرقة. وهو مبنى كنت فيه موضع ترحيب، وإنما الذي لم أستطع إضافة أي شيء إليه. لم تكن تلك العائلة في حاجة إلى أي شيء أكثر مما عندها على الإطلاق. كل حجر جديد، مهما كان صغيراً، يمكن أن يتسبب بانهيار الهيكل كله.

نهضتُ من الخندق، وقررت أن قلقي لا أساس له. كم مرة لم تصبني فيها الغيرة من صديقات آن ماري في ستوكهولم؟ بيا ونيلا وأياً كانت أسماؤهن. مرات عديدة وجدت صورهن وبطاقاتهن البريدية ورسائلهن في صندوق بريد عائلة غاتمان عندما ألتقط لهم البريد في طريقي إلى منزلهم، ويغويني شيء بتمزيقها. كنت أتخيل آن ماري وهي تصحب واحدة منهن إلى تانجيفيك، وتريها أماكننا وتخبرها بأسرارنا. لكن كل ذلك لم يكن له أساس من الصحة. كانت آن ماري صديقة صيفي في واقع الأمر.

لن تحدث شقيقة هندية صغيرة أي فرق فيما هو بيننا. سوف تعتني بها كارين، بلا شك. وسوف نكون آن ماري وأنا معاً كالسابق. لن يتغير شيء.

هذا ما قلته لنفسي بينما أسير عبر قطعة أرضنا الصخرية غير المجزية، وقد طويت الصحيفة تحت ذراعي.

كان احتفال منتصف الصيف في بيت عائلة غاتمان في العادة غير رسمي نوعاً ما. مخلل الرنجة والفراولة. مسيرة إلى المرقص المحلي إذا كان الطقس لطيفاً. فقط عائلة غاتمان، وربما بعض أصدقاء بينس من ستوكهولم. والفتيات الأكبر سناً، شرعن على مدى السنوات القليلة الماضية، بقضاء مناسبة منتصف الصيف مع شباب آخرين في جزيرة كانهولمن.

منتصف صيف ١٩٦٩ كان مختلفاً. شقيقا آكي، سفين ودان، وكلاهما طبيب، كانا هناك مع أسرتيهما، ووالدة كارين أيضاً، وهي سيدة مسنة جداً، نحيلة وقوية، ترتدي قبعة شمس وتحمل عكازاً، ولم يسبق لي أن رأيتها من قبل.

كان الرسام بير نورين هناك مع عائلته أيضاً. كان قريباً لكارين من بعيد بطريقة ما، لكنه عادة ما يظهر فقط في حفل جراد البحر الذي تقيمه عائلة غاتمان سنوياً في أغسطس.

كان مارتن، صديق بينس هناك، ووالدا مارتن —اللذان عادة ما كانا يبطئان سرعة قاربهما ذي المحرك الكبير عند الرصيف فقط ليتمكن ابنهما من القفز إلى اليابسة مع أغراضه، ثم يختفيان سريعاً مثل خط من الرغوة في المدى– ألقيا المرساة هذه المرة، وهبطا إلى اليابسة وبقيا لبضعة أيام.

على المرج الواقع عبر الشارع نُصبت عدة خيام. هناك أقام الشباب، في حين احتشد الكبار في البيت وفي القوارب.

في المطبخ، أقيم بوفيه كبير للرنجة. وكنتَ تجلس وتأكل في الشرفة أو على بطانية مفروشة على الأرض. كان نورين يتجول جيئة وذهاباً وقد شغل مسجلته. وغنت

t.me/ktabpdf مكتبة

ابنة سفين غاتمان أغاني الاحتجاج الأميركية ورافقت نفسها على الغيتار. وبدا المكان كله أشبه بسوق غريب فيه الخيام والزوارق والسيارات والكلاب والأطفال والبالغون، ثم سارية احتفال أيار الطويلة التي نُصبت على المرج.

كنا هناك جميعاً للسبب نفسه. أردنا أن نرى مايا.

كان الأطفال الأجانب المتبنون ما يزالون شيئاً جديداً ومثيراً في العام ١٩٦٩. بل والأجانب بشكل عام، في واقع الأمر. أما اليوم، وإذا حدث وأن وقفت عند أي مفترق طرق في غوتنبرغ، فإن الصوماليين والإيرانيين والغامبيين والأتراك والفلبينيين وغيرهم سيمرون بك في غضون بضع دقائق، ولن يجعلك أيّ منهم تدير رأسك. لكن هذا لم يكن واقع الحال في العام ١٩٦٩، وهو أمر جدير بالتذكر حتى نفهم تلك الضجة التي تسببت بها مايا.

كنا نشاهد العالم الآخر على شاشات التلفاز. آسيا. أفريقيا. الفقراء والجوعى، والناس الذين يعانون. التناقض بين حياتهم وحياتنا. ظلم رهيب. والآن، أصبح هناك جزء صغير من ذلك العالم هنا... بالضبط من نوع الوجود نفسه الذي رأيناه على شاشات تلفازنا. قبل أكثر قليلاً من شهر فقط، كانت هذه الطفلة تعيش محاطة بالأوساخ والذباب في الهند المكتظة بالسكان. والآن: أصبحت هنا! في تانجيفيك، على مرج صيفي في بوهوسلان، بجوار سارية احتفالات أيار!

كانت تجلس على سجادة، وقد تعلقت زهور البابونج، وشقائق النعمان والبرسيم الأحمر في شعرها الأسود، مرتدية مريلة صفراء زاهية، غامقة السمرة، أكثر سمرة بكثير مما يصدق أي واحد منا. لم يكن حتى بياض عينيها أبيض تماماً.

جلست كارين إلى جوارها، متأهبة للإمساك بها إذا انقلبت. كانت قد تعلمت الجلوس للتو. عندما وصلت هنا لم تكن تستطيع الجلوس وكانت فاترة تماماً. لكنها عندما أكلت وأصبحت أقوى، تعلمت الجلوس بسرعة كبيرة. ومع أنها لا تستطيع المشي حتى الآن، فإنها بالتأكيد لن تستغرق وقتاً طويلاً حتى تركض في المكان على ساقيها الغامقتين الصغيرتين.

من عائلتها الجديدة حصلت على الغذاء والعناقات والتشجيع. وتعرضت للبحر، للطبيعة، وحصلت على الفيتامينات والبروتينات، والكتب المصورة، والزيارات إلى

المسرح، والألغاز والطباشير الملونة، والأخوات والإخوة والأصدقاء. كيف يمكن لأي شيء أن يسير خطأً في ظل هذه الظروف؟

أشارت الجدة العجوز إليها بعكّازها وقالت بصوتها الأجش ما كنا نفكر به جميعاً:

"إنها محظوظة بالتأكيد! كان يمكن أن تأخذوا الطفلة التي في السرير المجاور."

"إننا نحن المحظوظون" قالت كارين وهي تبتسم.

"لقد تعلمت الجلوس في أسبوع واحد. وسوف تتعلم السير في أسبوعين على الأرجح،" اقترح بينس بتفاؤل.

لكنها لم تفعل. لم تمشِ كل ذلك الصيف. ولم تمشِ حتى بلغت سنتين من العمر. ولم تتعلم الكلام أبداً.

في الصيف الذي كانت فيه بسنِّ سنتين ونصف لم يقلق أحد بشأن كلامها. كانت مايا بطيئة وسوف يُسمح لها بأن تتطور وفق زمنها الطبيعي دون ضغط. لكنه عندما أصبح عمرها ثلاث سنوات ولم تنطق حتى بكلمة واحدة –لا ماما، ولا بابا، ولا أي شيء– أدركوا أن شيئاً ما يسير خطأً. تم إجراء فحص شامل لسمعها. وأظهر الفحص ما تعرفه العائلة كل الوقت: أن سمع مايا كان مثالياً. لم يبدُ أن هناك عيباً تمكن رؤيته في حبالها الصوتية، أو الحنك أو اللسان. وقامت زوجة شقيق آكي، طبيبة الأطفال النفسانية، بزيارة الأسرة عدة مرات، وإنما لم يكن لديها جواب أفضل من أي شخص آخر.

"هوّنوا عليكم، انتظروا وسنرى،" قالت الطبيبة.

جرى بعض الحديث عن تلف في الدماغ نتيجة لسوء التغذية المبكر. لكنها لم تكن متخلفة بكل تأكيد. كانت تفهم ما يقال جيداً –أحياناً بشكل خارق للطبيعة. فإذا تحدث آكي وكارين عن رحلة بالقارب في اليوم التالي، كانت مايا تجلس على درجات الشرفة في صباح اليوم التالي، وقد ارتدت سترة نجاتها وحملت سطلاً ومجرفة في يدها.

كانت لها موهبة مدهشة في العثور على الأشياء أيضاً. وأتذكر عندما فقدت

t.me/ktabpdf مكتبة

ليز ريشتها واتهمت إيفا بأخذها. وخاضت الفتاتان شجاراً في الطابق العلوي في غرفتهما في العلية، بينما جلست آن ماري وأنا في الطابق السفلي على مائدة الطعام نلعب لعبة ومايا تنظر إلينا. وفي اليوم التالي، بينما كانت آن ماري، وإيفا، وليز وأنا نستعد للخروج للتجديف وصيد الأسماك، وقفت مايا فجأة هناك على الرصيف وهي تحمل ريشة ليز في يدها الممدودة –وهو ما أظهر أنها لم تسمع الفتاتين تتشاجران في غرفتهما فقط، وإنما فهمت أيضاً كلمة مثل الريشة، وتمكنت من العثور على ذلك الشيء الصغير.

في البداية كان الناس سعداء بقدرة مايا شبه السحرية في العثور على الأشياء التي يفقدونها. كانوا يمطرونها بالثناء ويسمونها "مكتشف الأشياء" كما في قصة جنان ذات الجورب الطويل. وشيئاً فشيئاً بدأ الناس يشكون بأن مايا نفسها هي التي تخبئ الأشياء حتى تعثر عليها في الوقت المناسب. لكن أحداً لم يستطع أن يثبت شيئاً، وكان بينس فقط هو الذي قالها صراحة:

إنها تريد أن تُمتدَح وحسب." قال.

من الطبيعي تماماً أن يريد الطفل الثناء، لكن إذا كان ذلك ما أرادته حقاً، فإنها أخفته بشكل جيد. لم تكن تردّ على الثناء. ولم تشعر بالحرج منه أيضاً. كانت تعبيرات وجهها تظل غامضة كالمعتاد، لا ابتسامة، لا رفيفَ، وإنما فقط ذلك التعبير الذي جعل الأطباء يعتقدون أنها لا تسمع. وعندما تتحدث إليها يتولد لديك شعور بأن كل ما قلته كان عبثاً، وأنه دخل من أذن وخرج من الأخرى. لكنك تدرك بعد ذلك أنها سمعته وفهمته كله، بكل تفصيل صغير.

كان ثمة شيء غريب آخر في مايا، هو أنها رفضت كارين وآكي. كانت تسمح لهما بحملها ومعانقتها، لكنها لم تبادلها هذا الحنان أبداً. كانت تجلس مرتخية وحسب، مثل لعبة الشرائط، وتنظر بفراغ في المدى وتنتظر حتى ينتهي الأمر.

كان ذلك مؤلماً جداً لكارين وآكي حتى أنهما لم يستطيعا التحدث عنه. كانا منفتحين تماماً فيما عدا ذلك بطريقة كثيراً ما فاجأتني حول أمور مثل مشاكلهما الخاصة أو مشاكل أولادهما، لكنه عندما تحمل كارين مايا السلبية بين ذراعيها، وتضع ذراعي مايا حول رقبتها وتقول بابتسامة مرغمة:

"أوه، لكم هو لطيف الحصول على عناق"!

كانت رؤية ذلك شيئاً مروعاً، وكان أسوأ شيء هو نهاية هذا النوع من العناق من جانب واحد لأنها لم تكن هناك نهاية طبيعية مثلما في عناق حقيقي. كانت كارين تعانق وتعانق وتنتظر أطول وقت ممكن رد فعل من ذراعي مايا المرتخيتين، ثم ببطء تبدأ في إفلاتها، لكنها تتردد وتبدأ عناقاً آخر مرة أخرى بأمل جديد. وأخيراً تتخذ نوعاً من القرار، فتستسلم وتدع مايا تذهب. وكانت مايا التي تكاد تقع من بين ذراعيها تختفي بسرعة كبيرة.

كان الشخص الوحيد الذي تحبه مايا حقاً هو آن ماري. وأحد التفسيرات الممكنة هو أن آن ماري كانت الأصغر في الأسرة، وبالتالي أقرب في السنّ على الرغم من أن الفجوة كبيرة. وثمة تفسير آخر ممكن هو أن آن ماري كانت شخصاً بارداً نوعاً ما. لم تكن تعانق الناس كل الوقت مثل بقية أفراد الأسرة، ونادراً ما غضبت فعلاً أيضاً. ومن ناحية أخرى، كان يمكنها أن تستاء وتحمل ضغينة. كانت مشاعرها تظهر متأخرة نوعاً ما. بدا لي عبوسها غير مفهوم تماماً في بعض الأحيان، وكنت أندهش دائماً عندما اكتشفت السبب. غالبا ما يكون شيئاً كنت قد قلته أو فعلته قبل فترة طويلة، والذي ردت عليه في وقته بالضحك. ربما كان عدم قدرة آن ماري على إظهار مشاعرها في الوقت المناسب هو ما عرفته مايا في نفسها أيضاً.

لكن ما أعتقد أنه الأهم هو أن آن ماري تركتها لشأنها. لم تحاول أبداً أن تعانق مايا. لم تمتدحها مثلما فعلت كارين، لم تغضب منها مثلما تفعل إيفا، ولم تحاول إغاظتها كما يفعل بينس. عاملتها ببساطة مثل الهواء. وأعتقد أن هذه هي الطريقة التي أرادت مايا أن تُعامل بها.

كنت أنا نفسي أسأم قليلاً منها من وقت لآخر. كانت تتبعنا على الدوام. لم تكن تشارك في ما كنا نفعل، لكنها كانت دائماً هناك. متفرجاً صامتاً يسجل كل شيء.

عندما كنا نأخذ القارب لنذهب للصيد أرادت أن تجلس في القوس. لم تكن تريد صنارة صيد، وإنما أن تراقبنا فحسب.

أحيانا، كنا، آن ماري وأنا، نريد أن نكون وحدنا. كانت آن ماري تغلق باب

t.me/ktabpdf مكتبة

غرفتها. ولم تحتج مايا أبداً. لكننا عندما نخرج بعد عدة ساعات، كنا نجد مايا تقف هناك منتظرة في الظلام تحت العوارض.

حدث الشيء نفسه عندما كنا نذهب إلى مكان ما ولا نريدها أن تذهب معنا. كانت آن ماري تقول لها ببساطة: "لا يمكنك الذهاب معنا." فتجلس مايا بطاعة على حافة الطريق. ثم عندما نعود بعد وقت طويل، نجدها جالسة هناك مثل كلب مخلص. أصابني ذلك بشعور سيئ، لكن آن ماري كانت تتجاهلها فحسب.

كان فصل الصيف الذي كانت فيه بسنِّ سنتين ونصف هو الذي سجلت فيه مايا نجاحها كمكتشف للأشياء. لكن موهبة جديدة تجلت في الصيف التالي.

من اليوم الأول الذي حصلت فيه على الطباشير الملونة، والباستيل والألوان المائية، وطلاء الملصقات، (وإنما ليس أقلام الفلوماستر التي لم توافق عليها كارين لأنها غير خلاقة وكابحة للإبداع بطريقة ما. وإذا لم أكن مخطئة، فقد كان السبب هو أنه لا يمكنك مزجها لتصنع ألواناً جديدة)، لم تكن مايا مهتمة بالألوان. لكنها أحبت أخذ أقلام الرصاص عن المكاتب وخربشت بها بقعاً رمزية. كانت تقضي وقتاً طويلاً وهي تفعل ذلك، وهو ما أقلق كارين التي شعرت بأن الطباشير الكبيرة والألوان الزاهية هي الأكثر مناسبة للأطفال في سنّ مايا.

لكنه حدث عندئذ أن آكي ألقى نظرة على واحدة من تلك الخربشات على الأوراق، ورأى، لدهشته، أن الخربشات تمثل شيئاً في واقع الأمر. حيوانات صغيرة، بطول نحو بوصتين، بأربعة أرجل، وذيل وأنف رقيق طويل، تتجول في صفوف طويلة عبر الصفحة. كلاب. أو كلب واحد يتحرك، كما لو على شريط فيلم.

شجعها على رسم المزيد، ولكن مايا بدت وأنها لا تسمع، كالعادة. ورسمت فقط عندما شعرت بأنها تريد ذلك. وانتظرت الأسرة المناسبة القادمة بانشداد.

في تلك المرة، أيضاً، كانت كلاباً. وبضع أشجار. وبيت. ربطت كارين تلك الأشكال بنزهة قامت بها هي ومايا مؤخراً مع ليتل ماي. سألت مايا عن ذلك، لكن شيئاً في وجه الفتاة لم يؤكد أنها على حق.

جاء المزيد والمزيد من الرسومات، واستطاع أفراد الأسرة أن يتعرفوا فيها على أنفسهم وعلى أشياء تعرضوا لها على حد سواء. كان البيت الصغير هو الكشك

حيث يذهبون لشراء صحيفة المساء والحلوى. كانت مايا ترسم دائماً بالطريقة نفسها، أشياء صغيرة وفي صفوف طويلة. وكثيراً ما كررت الموضوع نفسه مراراً وتكراراً. لم يفهم أحد أبداً لماذا. الكلب يمكن أن يتحرك، أما الكشك؟ ربما أرادت أن تحسّن رسمتها، وأن تتذكرها.

تلك الطريقة في الرسم —الأشياء الصغيرة وبالتفصيل، لم تتفق مع سن مايا على الإطلاق. كانت تلك أول الرسومات التصويرية التي صنعتها. ما الذي حدث للرؤوس مع الأقدام المثبتة بها؟ الرسومات الأولى للوجوه بأربع دوائر، اثنتين للعينين، واحدة للأنف وواحدة للفم؟ هل تخطت تلك المراحل بعادية، ببساطة؟ أم أنها اجتازتها بسرعة في السر؟ خلال فترة خربشتها، كانت تتخلص في كثير من الأحيان من رسوماتها عندما تنتهي من رسمها. وقد أخرجتها كارين أحياناً من سلة نفايات الورق أو من القمامة لتطمئن على تقدّم مايا، ولكنها لم تتمكن أبداً بطبيعة الحال من تفحص تلك الرسومات التي مزقتها مايا إلى قطع صغيرة وألقتها في المرحاض وسكبت عليها الماء.

تطورت موهبة مايا في الرسم بسرعة. وبما أنني لم أكن قد رأيتها منذ الصيف الماضي، تعجبت مع أن آن ماري كانت قد أخبرتني عن تقدمها في إحدى الرسائل.

رسمت بسرعة كبيرة جداً وبتركيز كبير. وما إن تنتهي حتى تنظر في صفوفها وأشكالها، ثم يبدو أنها فقدت كل اهتمام بها، وإذا لم يكن هناك أحد هناك ليمنعها من ذلك، فإنها تأخذها إلى سطل القمامة وترميها هناك، أو أنها تخفيها في مكان ما.

تماماً بالطريقة نفسها التي استجابت بها لردود أفعالنا عند عثورها على الأشياء، لم تكن مهتمة أبداً بالثناء على الرسومات. كانت تستمتع بالرسم، وإنما لا تعرض ما ترسمه ولا تستمتع بأي إطراء.

لكن الأمر الذي كان الأكثر إثارة للاهتمام حول رسوماتها لم يكن تقنيتها الناضجة. كان تكوين الرسومات: أشكالاً صغيرة في صفوف. ومعناها: تجسيد لتجارب أخيرة. لم تكن من النوع المعتاد من الصور. كانت نظاماً من الصور. لغة تصويرية.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان صيف العام ١٩٧٢ مختلفاً مسبقاً ومنذ البداية. كان أبي سيكتب أطروحته حول أمراض اللثة، وأمي مشغولة جداً بتأثيث منزلنا الجديد، ولذلك، قاما في ذلك الصيف بتأجير كوخنا الصيفي لعائلة بأطفال صغار من بوراس.

كنا قد رتبنا مع عائلة غاتمان لكي أقضي الصيف في منزلهم. وقد ناسبهم ذلك الترتيب بشكل جيد بما أن إيفا ستذهب للعمل مع مؤسسة تعاونية في الشرق الأوسط، وبذلك أصبح لديهم ابنة ناقصة.

تطلعتُ بشغف إلى العيش مع عائلة غاتمان كعضو العائلة الذي طالما أردتُ أن أكونه كل الوقت. خلال فصل الربيع، أصبحت مراسلاتنا آن ماري وأنا أكثر كثافة، وغيرت شخصيتها. ناقشنا خططنا لفصل الصيف بقدر كبير من التفصيل، أين سننام (ليز ستنتقل إلى حجيرة آن ماري الصغيرة، وسنتقاسم أنا وآن ماري غرفة البنتين الكبيرتين)، أي نوع من الملابس سوف نصطحب، ما الذي سنفعله. وناقشنا أكثر ما يكون مناسبة منتصف الصيف التي لا يحضرها الآباء والأمهات على جزيرة كانهولمن. كانت إيفا وليز قد ذهبتا إلى هناك من قبل مع أصدقائهما، ثم سُمح ليينس بالانضمام إليهما في العام الماضي، والآن يعتقد والدانا أنه يمكن حتى أن نذهب آن ماري وأنا إلى هناك أيضاً. كانت لدى والديّ شكوكهما في البداية -كنت في الخامسة عشرة في ذلك الوقت- ولكن، بما أن ليز ذات العشرين عاماً، والتي يعتبرانها أختاً كبيرة ناضجة ومسؤولة، ستذهب معنا، فقد وافقا أخيراً.

في اليوم الأول من العطلة أوصلني أبي بالسيارة إلى تانجفيك. ما أزال أتذكر تلك الرحلة. الأشجار ضافية الخضرة. المروج المزبدة الضاجة بالكزبرة البرية، الرائحة المثيرة

لسيارة أبي الجديدة وجيلبرت وسوليفان في المذياع. في اليوم السابق كنت قد ودعت زملاء صفي. انتهت المدرسة الابتدائية. استلقيت إلى الخلف في المقعد المرن الناعم وأحسست بالرياح التي تهب عبر شعري من النافذة المفتوحة. شعرت بأنني مسافرة من شيء قديم إلى شيء جديد.

بمجرد أن أنزلت حقائبي من صندوق السيارة، كنت على بينة من التغيير. لم تكن ليتل ماي تتهادى حولنا. كانت قد فارقت الحياة خلال فصل الشتاء، بعمر سبع عشرة سنة.

خرجت كارين مرتدية سروالاً قصيراً، وقميصاً قطنياً وقبقاباً. ألقت ذراعيها حولي في عناق كبير.

"أولريكا! جميل جداً أن تكوني معنا هنا طوال الصيف. آن ماري والآخرون خرجوا بالقارب ليسبحوا في مكان ما. أنا الوحيدة التي في المنزل. تعالي لتشربي بعض القهوة. لقد خبزت فطيرة الراوند."

عندما غادر والدي، بعد شرب فنجان من القهوة السريعة وفطيرة وبعض الحديث المجامل، صعدت كارين معي إلى العلية لتريني الغرفة التي سننام فيها أنا وآن ماري.

بالمقارنة مع حجيرة آن ماري الصغيرة الشبيهة بالجحر، بدت هذه الغرفة كبيرة جداً. وقف سريران بمفارش منقوشة برسوم زرقاء وبيضاء على مسافة مقبولة لتبادل الحديث، مع طاولتين جانبيتين صغيرتين ونافذة بينهما. تعلق إناء مليء بأصداف المحار في النافذة. وفي مقابل الجدار المنحدر، ثمة كرسيان محشوان مطليان بالأبيض يغطيهما نفس النسيج الأزرق والأبيض على مفارش الأسرة، ومكتب عند نهاية الانحدار. على المكتب استقرت جرة بأزهار البابونج. وأظهر ورق الجدار المائل إلى الصفرة الآثار المميزة للملصقات التي كانت الفتاتان الكبريان قد علقتاها هناك.

كان يوماً حاراً، وقد سخّنت الشمس السقف كل الصباح، وكانت الغرفة خانقة وحارة مثل الساونا. فتحت كارين النافذة وتركتني وحدي.

t.me/ktabpdf مكتبة

استلقيت على أحد السريرين ونظرت إلى السرير الفارغ وحاولت أن أتخيل آن ماري عليه. كنت، بطبيعة الحال، قد قضيت بعض الليالي هنا من قبل، ولكن ليس على هذا النحو، ليس ليلة بعد ليلة، وفي سرير سيكون لي كل الصيف. مثل أخت.

كنت قد نهضت للتو، وفتحت حقيبتي وبدأت تعليق ملابسي في الخزانة عندما سمعت تكتكة محرك القارب في الخليج. وبأحد الفساتين في يدي، أسرعت إلى النافذة الصغيرة فوق الدرج، لكنهم كانوا قد اقتربوا كثيراً قبل ذلك، وأصبحوا مختفين خلف الصخرة. سمعت هتافاتهم وهم يرسون على الرصيف. قررت فجأة أنني يجب أن أقاوم رغبتي في الركض نازلة الأدراج إلى الخارج وفوق الصخرة لاستقبالهم. كانت تلك هي المرة الأولى التي خطرت لي فيها مثل هذه الفكرة، وفوجئت.

أجبرت نفسي على العودة إلى الغرفة -غرفتنا- وعلقت ثوبي في الخزانة. كان فستاناً من القطن الهندي وجدته في متجر شرقي صغير ذات يوم رمادي في الشتاء الماضي بينما أتجول في المدينة. جربته وبدا جيداً جداً عليّ بخصره المرتفع وخط رقبته المنخفض والعديد من الأزرار الصغيرة. وهكذا، أخذت معي نقوداً في اليوم التالي واشتريته. واصلت تعليق الملابس ببطء وترتيب.

تأكد قلقي القديم من آن ماري ربما تكون قد تغيّرت بمجرد أن سمعت خطواتها تأتي صاعدة درجات العلية. كانت تمشي ببطء شديد، ولم يبد أنها في أي نوع من العجلة لرؤيتي. لكن الطقس كان حاراً ولا بد من أنها متعبة على الأرجح بعد قضاء يوم في البحر. طمأنت نفسي.

أجبرت نفسي على الوقوف دون حراك، متجمدة، بينما أمد يدي إلى الخزانة وظهري إلى الباب، واستدرت فقط عندما سمعتها تدخل الغرفة.

كدت أُسقط العلاقة من يدي. هذه المرة تغيرت حقاً. ذهب الوجه المستدير ذو التعبير العابس. وظهرت عظام خديها بطريقة لم أكن قد رأيتها من قبل. لم يعد الفراغ بين أسنانها الأمامية مضحكاً وطفولياً، وإنما أصبح جذاباً بشكل مثير عندما تراه من وقت لآخر بين شفتيها. لم تكن لها أي أثداء، ولن يكون لها ثديان على

الأرجح. كان جسدها صبيانياً، لكن هناك شيء جديد في حركاتها. أصبحت أكثر أماناً، ونمطية. كانت مسفوعة بالشمس وترتدي البيكيني. وكان شعرها ما يزال رطباً وقد تدلت منشفة حمام على كتفيها.

غمرني شعور ذاهل بعدم الثقة. شعرت بأنني صبيانية، خرقاء، فاشلة. كل ما أردته فجأة هو أن أبتعد من الغرفة، عن الأسرّة ذات المفارش الجميلة، والمرأة الجميلة الرشيقة التي لا يمكن أن أصبح شقيقتها أبداً.

لا بد من أنني بدوت مصدومة ونظرت آن ماري إليّ باندهاش. ثم شرعَت في الضحك، بنوع من الضحك الناعم اللين، لكنه ليس لطيفاً، بينما تلقي ذراعيها من حولي. عبقت منها رائحة الملح وشعرت بشعرها الرطب بارداً على خدي.

"أولريكا،" قالت واستمرت في الضحك.

ضحكت لفترة طويلة جداً، وضحكت بالطريقة الخطأ. ضحكت عليّ، وليس معي. ولم يكن ذلك هو نوع الضحك الذي يمكنني الانضمام إليه ومشاركتها فيه. كان ذلك مؤلماً، لكنني كنت ما أزال أقاوم وشعرت بألم مخدور في قلبي وأنا أبادلها العناق بدوري.

"أليس هذا لطيفا؟" قالت وألقت بنفسها بتهور على واحد من الأسرة، بالضبط ذلك السرير الذي كنتُ قد تصورته لها. استلقيتُ على السرير الآخر، على جانبي، في مواجهتها. تكوّنت على الوسادة تحت رأسها بقعة رطبة من شعرها المبلول. أدارت وجهها إليّ ونظرنا إلى بعضنا بعضاً. كانت الأصداف تتحرك في إناء الأصداف المتدلي الذي يتأرجح ببطء في النسيم القادم من النافذة المفتوحة، وتتلألأ دواخلها في ضوء الشمس. ببطء عثرنا على طولنا الموجي المشترك. لكنني تمكنت من الوصول إلى جزء منها فقط. وظلت البقية بعيدة، غير قابلة للوصول بالنسبة لي.

لا أعرف ما إذا كان ذلك في صباح اليوم التالي أو بعد عدة أيام، لكنه حدث قبل منتصف الصيف على أي حال. كنت أقف أمام المرآة في الحمام أزين نفسي، مرتدية حمالة الصدر والسراويل الداخلية. جاءت آن ماري ووقفت بجانبي. اختلستُ

t.me/ktabpdf مكتبة

نظرة إلى صورتها في المرآة بينما أواصل العمل بفرشاة المسكرة، وشرعت آن ماري أيضاً برسم رموشها. على الرغم من أنها لم تكن تحتاج إلى ذلك في واقع الأمر. كانت لها رموش طويلة سوداء وحاجبان غامقان، وشعر أشقر فاتح بطبيعته. مثل هذه التوليفة الرائعة وغير العادية.

كانت لي أنا نفسي رموش عديمة اللون مثل خنزير، وشعر يسمى أشقر رمادياً إذا أردت أن تكون لطيفاً، وفئرانياً إذا لم ترد ذلك. كنت أكحل رموش عيني يومياً، لكنه لم يكن من الشائع في تلك الأيام تبييض الشعر. كانت النادلات في منتصف العمر فقط هن اللواتي يفعلن ذلك.

عصرت بعض ظل العيون الأزرق اللؤلؤي من أنبوب صغير ونشرته بعناية على جفني. وآن ماري تطلي شفتيها بملمع الشفاه. كان لها فم جميل. اتخذت شفتاها خطاً نزولياً مضحكاً، جعلها تبدو كما لو أنها دائماً منزعجة بعض الشيء.

كان من الصعب أن تكون قريبة جداً مني كما هي في تلك اللحظة، فأنزلتُ قليلاً واحداً من أشرطة حمالة صدري لكي أذكر كلينا بالمنطقة الجسدية الوحيدة التي كنتُ متفوقة فيها. لكنني لم أكن في الواقع سعيدة جداً بصدري الكبير. لم أكن أعتقد أنه يناسب جسدي. كنت أعرف أن الرجال ينظرون إلى الأثداء الكبيرة كشيء مرغوب فيه، لكنني في الصور التي رأيتها وجدت هذه الأثداء تستقر على نساء طويلات نحيلات، وليس على بنات صغيرات سمينات مثلي. بدا نهداي في غير محلهما فقط. في العام الماضي سمعت تعليقات من رجال صغار وكبار، والتي جعلتني أرتبك وأعتبر ثدييّ كزوج من الأجسام الغريبة التي تم وصلها بي عن طريق الخطأ. بدا الأمر كما لو أن هؤلاء الرجال الذين يتكلفون الابتسام يعرفون أفضل مما أعرف.

لم تكن أثداء آن ماري تملأ تجويف حمالة الصدر، مع أنها كانت ترتدي أصغر حجم. ولم يظهر أنها تولي الأمر عناية بشكل خاص.

كانت تمشّط شعرها بالفرشاة. لم تكن قد قصّته طيلة فترة الشتاء وبلغ أدنى خصرها. ومع أنه كان طويلاً، فقد كان سميكاً أيضاً. كان نابضاً بالحيوية وقد انساب في موجتين من منتصف جبهتها.

قلت: "أتمنى لو أنني شقراء."

"كيف ستبدين؟ دعينا نرى."

رفعت شعرها من جانبه الأيسر فوق رأسي ووضعت خدها قريباً من خدي بحيث غطى شعرها الطويل رأسينا معاً. وقفنا هناك، وقد انضغط وجهانا على بعضهما وتأطرا بالشعر السميك الأشقر نفسه. أحسست بعظام خدها، ببشرتها، بأنفاسها، برائحة شعرها التي تعلقت مثل الستائر على عيني اليسرى. أصابني الدوار. اختفى وجهي في المرآة، اندغم بوجه آن ماري. أصبحت جزءاً منها.

ثم أخذت آن ماري تضحك بصوت عال وأنا عُدت أنا مرة أخرى. لكن التجربة بقيت في ذاكرتي. كان ذلك شيئاً رائعاً ومخيفاً في الوقت نفسه.

مكتبة

t.me/ktabpdf مكتبة

كريستينا

t.me/ktabpdf مكتبة

كان الوقت شتاءً عندما خرجَت من المستشفى. رفضت أن تعيش مع والديها، وشعر الطبيب الذي تلتقيه بضع دقائق من وقت لآخر أيضاً بأنها يجب أن تحاول العيش وحدها. بعد كل شيء، أصبحت في الحادية والعشرين وكانت نتيجة تشخيصها جيدة. توقفت عن عقد يديها أمام وجهها، وأصبحت تأكل كما يجب بالشوكة والسكين وتتصرف بطبيعية. أصبحت هادئة ومحتشمة، لكنها كانت دائماً على هذا النحو.

حصلت على شقة صغيرة لا تبعد كثيراً عن المستشفى. كل يوم ترتب عليها أن تستقل الحافلة إلى المستشفى للمشاركة في جلسات العلاج السلوكي. وهناك سمح لها بأن ترسم، وتخبز، وتلعب تنس الطاولة. كانت تقرأ الصحف أيضاً مع مرضى ذلك اليوم، وتناقش ما يُقال فيها. لم تكد تقول أي شيء، لكن أحداً لم يطلب منها ذلك أيضاً. كان يكفي أنها تجيء في الصباح وتشارك في الأنشطة.

لأنها فعلت كل ذلك بشكل جيد جداً، سرعان ما أُعفِيت من العلاج تماماً. ولذلك أرادت أن تنتقل أبعد ما يمكن عن المستشفى. تحدثت معها الاختصاصية الاجتماعية عنها وعن مستقبلها. سألتها: "ماذا تريدين؟" قالت كريستينا إنها تريد أن تعيش في الريف. وأجرت الاختصاصية الاجتماعية مكالمة هاتفية وهيّأت ترتيبات لكريستينا لاستئجار كوخ.

ذات يوم صيفي ذهبن لرؤيته، كريستينا، والاختصاصية الاجتماعية وامرأة من البلدة. كان الكوخ بعيداً على شبه جزيرة. بل إنها كانت جزيرة في واقع الأمر، لكن لها طريقاً ضيقة تصلها باليابسة بنيت على جسر حجري. كانت الطريق ضيقة جداً

t.me/ktabpdf مكتبة

على السيارة حتى أنهن اضطررن إلى عبورها سيراً على الأقدام. سرن في مجاز وسط مراع مليئة بالأبقار، بين أجمات الأشجار عريضة الأوراق ونباتات برقوق السياج.

استقر الكوخ في واد بين زوج من التلال الصخرية. في الخارج بعض العشب الذي يحتاج الجز والتشذيب، والكثير من قطع الألواح الخشبية والقمامة. بدا المنزل غريباً. وأخبرتهما المرأة من البلدة أن حمال ميناء هو الذي بناه في بداية الخمسينيات. كان يقضي عطلته هنا ويدق مسماراً هنا وآخر هناك. قبل ذلك استقر كوخ قديم على هذه الممتلكات، وتبقّت البئر ذات الجوانب الحجرية الناعمة المهترئة والقبو القديم من ذلك الزمان.

في الداخل، تكوّن الكوخ من غرفة واحدة، ضمت موقداً كهربائياً بحارقتين صدئتين وفرناً صغيراً، وحوض غسيل بمصرف وثلاجة قديمة جداً. كانت الأرضية خليطاً من أنواع مختلفة من المشمع. وكان موقد الخشب الحديدي الصغير مزوداً بمبرّد كهربائي معلق على الجدار وموصول بأسلاك ظاهرة. وفي إحدى الزوايا ثمة بعض الأثاث المتهالك، وعلى الحائط تعلقت لوحة ما لمشهد بحري بألوان صارخة متبلدة.

كان حمّال الميناء قد عزل الجدران. ترك وظيفته حتى يعيش في كوخه على مدار السنة ورسم اللوحات. لكن حياة الفنان الجديدة لم تسر معه كما ينبغي. استولى عليه ميله إلى الشرب، وهو ما نتج عنه نفور البلدة من التواصل معه. استلقى ببساطة هناك في كوخه واستغرق في السكر ببطء، وإنما بثبات، حتى الموت. ومنذ ذلك الحين، بقي الكوخ فارغاً ولم يطالب به أي وريث.

كانت الاختصاصية الاجتماعية متشككة. هزت رأسها بغير رضا عندما فتحت المرأة الباب المفضي إلى المرحاض الصغير في الجزء الخلفي من الكوخ. تحت المقعد يوجد دلو ينبغي دفن محتوياته في الأرض. رأت الاختصاصية الاجتماعية أن الكوخ بدائي جداً ومعزول تماماً. كان بعيداً عن أي متجر أو مكتب للبريد أو موقف للحافلات، ولم يكن فيه هاتف. كلا، ليس مكاناً يصلح لعيش مريض سابق.

بالنسبة لكريستينا، بدا كل شيء مناسباً تماماً على الفور. الخارج الغريب غير المتوازن؛ الأثاث المكسور؛ اللوحات القبيحة؛ والرائحة الكريهة، كلها أثارت

اهتمامها وضايقتها بالكاد. رأت العشب والصخور والأشجار. سمعت أغنيات الطيور، وصياح النوارس، وصفير الرياح. إنه المكان الذي تريد أن تعيش فيه.

"ولكن، كريستينا. سيكون من الصعب العيش بهذه الطريقة. مثلاً، لا توجد غسالة. سيكون عليك غسل شراشفك وكل شيء آخر باليدين."

نظرت كريستينا إلى المرأتين من أعلى صخرة. كانت قد اكتشفت البحر للتو في الأسفل.

هتفت: "هذا جميل."

"إنه جميل الآن. ولكن تخيلي فصل الشتاء،" قالت الاختصاصية الاجتماعية. "هل تدركين كم سيصبح معتماً بدون أضواء الشارع؟"

"نعم، ليس هذا مكاناً يصلح للذين يخافون من الظلام،" قالت المرأة من البلدة. ابتسمت كريستينا.

"أنا أحب الظلام،" قالت: "لطالما أحببت الظلام."

"ليس لديك سيارة، ولا رخصة سوق. إذا حدث شيء ما، من سيساعدك؟ المكان بعيد ميلاً على الأقل عن أقرب منزل مجاور."

لكن كريستينا تشبثت بعناد لم يسبق للاختصاصية الاجتماعية أن شهدت له مثيلاً من قبل. تذكرت كم كشفت كريستينا عن قدرة كبيرة في الأعمال المنزلية والأشياء العملية عندما كانت مريضة نهارية. كانت مريضة مرتبة وماهرة اليد. وكان الشيء الوحيد الذي لم تتمكن منه هو التواصل الاجتماعي. ربما تستطيع أن تعيش هنا طالما جاء الناس وتفقدوها من آن لآخر.

وهكذا، انتقلت كريستينا. كان الشيء الوحيد الذي أرادت أن تأخذه معها هو دراجتها. وقد نقلها والدها لها على سقف السيارة. واشترى لها أيضاً السرير والبطانيات والأدوات المنزلية وبعض الأشياء الأخرى التي شعر بأنها ينبغي أن تكون لديها.

لم تكن كريستينا قد شعرت بمثل هذه السعادة الغامرة منذ طفولتها المبكرة. شغلت جزءاً كبيراً من يومها بالمسائل العملية. قادت الدراجة كل المسافة الطويلة

t.me/ktabpdf مكتبة

إلى المتجر لتتسوق حاجياتها. كانت تشعل موقد الخشب. وفي عربة ذات عجلات كانت تدفع القطع الكبيرة من الخشب من أحد المراعي حيث كان مزارع قد قطع بعض أشجار البتولا ونشرها إلى قطع صغيرة. ثم تقسمها هي إلى أجزاء أصغر بفأس. بل إنها قطعت سريرها نفسه إلى قطع صغيرة وأحرقته. فضلت وضع فراش على الأرض ووضعت اللحاف والوسائد حولها مثل العش. وأحرقت لوحات حمال الميناء المثيرة للغثيان في اليوم الأول.

تجوّلت على الشواطئ في الجوار، عبر الصخور والمروج. وكثيراً ما وجدت أشياء جميلة وحملتها إلى المنزل: أصداف الحلزون، الريش، الأخشاب التي جرفها البحر. جمعت كنوزها أولاً على أفاريز النوافذ، وبعد ذلك عندما امتلأت الأفاريز، أصبحت تضعها على الطاولة الوحيدة، ولذلك اضطرت إلى الجلوس إلى منضدة المطبخ لتناول الطعام.

كانت تطهو وجباتها، وتغسل أطباقها وتنظف أرضية المشمع بفرشاة الغسيل. كانت تغسل غسيلها في الخارج في حوض بلاستيكي كبير اشترته من المخزن، ثم تنقله إلى المنزل بأن تقلبه رأساً على عقب فوق سرج الدراجة وناقل الأمتعة فيها وتدفعها مشياً إلى المنزل.

كان السيد نيلسون، المزارع، وأقرب جار لها، ينصب الشباك. وعندما يكون لديه الكثير من الأسماك، كان ينادي كريستينا عندما تمر به على دراجتها ويسمح لها بأن تأخذ ما تريد. وهي اعتادت أن تدفع له المقابل بوضع رغيف مخبوز حديثاً ملفوفاً في كيس على درجات شرفة منزله. كما استفادت من صندوق بريده كعنوان لرسائلها. ولأنها نادراً ما تلقت بريداً، فإن الأمر لم يستحق امتلاك صندوق بريد خاص بها.

لم تكن علاقاتها مع جيرانها أكثر تعقيداً من ذلك. لم يكن الناس هناك ثرثارين بشكل خاص، ويكتفون إذا أحنيت رأسك بالتحية وقلت بضع جمل قصيرة حول ما يجب أن يقال.

كانت تنفق كميات صغيرة جداً من المال. وكلما تجمع لديها مقدار من الدعم

المخصص لها كمعاقة ولم تستخدمه، وضعته في جرة داخل الدولاب.

عندما تذكرت ذلك الوقت الذي سارت فيه في أنحاء المدينة بأقنعة الحيوانات وأخافت الناس، شعرت بالخجل. كانت ما تزال تحتفظ في محفظتها بألبوم يضم صوراً لها في المحطة المركزية ترتدي فيها قناع الثعلب. رأت فيها عينيها -حزينتين، خائفتين- في مواجهة التهديد. كانت تلك الأقنعة بديلاً حزيناً فقط. لكنها كانت في أمس الحاجة إليها في ذلك الوقت. جاءوا إليها -الثعلب، والنسر والنمر- ومنحوها أرواحهم. وقد دُمرت الأقنعة، لكنها احتفظت بأرواحهم. أصبحت تلك الحيوانات تعيش في داخلها، وحيثما أرادت ذلك، في الكوخ، في المخزن أو على المروج -فإنها يمكن أن تصبح واحداً منهم وأن ترى بعيني الحيوان. ابتسمت عندما فكرت في ذلك، لأن هذه القدرة سرها هي وحدها.

في أوقات معينة تجولت ليلاً ونهاراً. كانت تنام حتى الواحدة بعد الظهر، وتصحو وتخرج لتتجول في الأنحاء ليلاً. تعقبت آثار الغزلان عبر المروج والتلال. واستطاعت أن تسمعها وهي تمشي أمامها في الظلام. كانت تريها الطريق. في بعض الأحيان كان الصمت يطبق وتضيّع الطريق. وكان الشيء الوحيد الذي تفعله هو أن تقف هادئة تماماً في الليل الأسود وتنتظر، وعندئذ تسمع أصوات الغزلان مرة أخرى. لقد عادت لتلتقطها.

امتدت آثار الغزلان مباشرة عبر المروج والحقول والتلال والغابات. كانت المنطقة كلها شبكة من مسارات الغزلان. أصبحت تعيش في وسط بلاد الغزلان... وبعد حين غمرتها الدهشة والسعادة حين أدركت أن لديها روح غزال في داخلها أيضاً، خفيفة راعشة.

في بعض الأحيان حاصرتها الظلال. استيقظت ذات صباح وأحسّت بأن الظلال هناك، داخل الكوخ، في التلال، في كل مكان. تنتشر في البداية رقيقة مثل الدخان الرمادي. ثم تصبح أكثر كثافة، أكثر قتامة. وتجيء أقرب، تزحف على بشرتها، تلتف حول عنقها وذراعيها. لكنها تعرف كيف تحاربها. لديها الدواء. وعندما تقترب الظلال كثيراً تزيد الجرعة من حبة واحدة في اليوم إلى ثلاث. كان

t.me/ktabpdf مكتبة

ذلك فعالاً بالكثير من المفارقة تقريباً. كان الدواء يزودها بنوع من الحصانة، برائحة لا تحبها الظلال. لم تكن تعجبها هذه الجرعة الكبيرة، لأنها تجعلها بطيئة، ولا تتمكن حركاتها من تعقب تفكيرها كما يجب. لكن الظلال كانت تختفي فعلاً وتستطيع هي أن تعود سريعاً إلى تناول جرعة أقل.

جاء والداها لرؤيتها. أجابت عن أسئلتهما الفضولية بمقاطع مفردة. جلسا أبعد ما يكون على حوافّ المقعدين، ووازنا فناجين القهوة على ركبهما وارتشفا بحذر كما لو أنها قد تحاول تسميمهما. نظرا في أنحاء الكوخ بخوف: العش المصنوع باللحاف والبطانيات على الأرض والكنوز المنشورة على أفاريز النوافذ والطاولة. وعندما أرادا معرفة ما حدث للسرير، هزت رأسها فقط ولم يقولا المزيد. لم يعودا يميلان إلى المجادلة، ولم يقدما المشورة حول ما ينبغي أو لا ينبغي القيام به. إنه عالمها هي، وحسب.

فجأة، أحبّتهما كريستينا أكثر من أي وقت مضى. أخذتهما إلى طاولة الكنوز. أرتهما جمجمة أيّل ميت، وعش طائر، وهيكلاً عظمياً هشاً لقارض صغير وسمحت لهما بحمل أشيائها. حملت أمها لُقيّات كريستينا الثمينة بأيدٍ مرتعشة.

"جميلة جداً،" همست بوقار. "أين وجدتِ كل هذا؟"

"هنا في الخارج. يستطيع المرء أن يجد الكثير هنا."

"رائع،" تمتم والدها وانحنى على قشرة بيضة نورس بحاضنة جافة في داخلها.

أخبرتهما كريستينا عن جميع الحيوانات التي عادة ما تراها بينما تتجول، الغزلان، والأرانب البرية وطيور آكل المحار والأسماك الهلامية. وغمرت الأبوين الدهشة. لم يكونا قد سمعا ابنتهما تتحدث مثل هذا الوقت الطويل أبداً من قبل.

لاحظت وجهيهما المبهورَين. للحظة قصيرة فكرت بأن تقول لهما إنها اكتسبت الآن روح الغزلان، لكنها رأت عندئذٍ وجهيهما يعبران عن السعادة، وليس الفهم. كانا راضيين بأنها استقرت وأنها تستمتع بوجودها هناك، لكن عالمها ظل غريباً، وكل ما قالته كان غير مفهوم بالنسبة لهما. توقفت كريستينا عن الكلام وغسلت أكواب القهوة. ثم رافقتهما عبر الحقول إلى سيارتهما.

اختبرت أول شتاء لها في الكوخ بعقل مفتوح. الحقول النائمة في الضباب. عويل صافرات التحذير من الضباب المعزولة. ظلال الطبيعة المتباينة الذهبية والبنية. الثلوج التي سقطت وسقطت ولم تتراكم أبداً. الصقيع الرقيق الذي لفّ المنحدرات لتبدو أشبه بحيوانات فروية هائلة. الجليد الذي تجمد في الخلجان الصغيرة ليلاً قبل أن يكسره الموج ويترتب عليه أن يتجمد مرة أخرى في الليلة التالية. رائحة دخان خشب البتولا المحترق في الهواء البارد.

عندما جاءت الاختصاصية الاجتماعية لتفقد أحوالها في البرد، قابلتها كريستينا في المراعي المغطاة بالصقيع، محمرة الخدين، في تنورة طويلة حتى الكاحل وزوج من الكنزات الصوفية، وقد لفت شالاً صوفياً حول رأسها. في الكوخ قدمت لها الخبز المخبوز حديثاً مع العسل من خلية نحل نيلسون، أمام النار. أخبرتها كريستينا بأنها على ما يرام وبأنها توقفت تماماً عن تناول دوائها.

بعد ذلك، أرتها كنوزها التي تغيّرت منذ زيارة الاختصاصية الاجتماعية الأخيرة. بدأت تصنع بعض الأشياء بها. أصبح لجمجمة الأيل الآن ريش بط ناعم حول مفاصل القرون وعين سوداء كبيرة مرسومة على الجبين... وثمة عظمة زُيّنت بصدفات الحلزون الصغيرة ورُسمَ عليها تصميم متعرج معقد.

"أعتقد أنك فنانة حقيقية، كريستينا،" قالت الاختصاصية الاجتماعية وابتسمت كريستينا.

اشترت زورق الكاياك في الربيع التالي.

t.me/ktabpdf مكتبة

أولريكا

t.me/ktabpdf مكتبة

كانت الساعة حوالي الثامنة ورصيف عائلة غاتمان ما يزال مختبئاً في ظل المنحدرات الشاهقة عندما ذهبنا، آن ماري وأنا، إلى الحفلة في الصباح الذي سبق ليلة منتصف الصيف. لكن أشعة الشمس كانت تعشي العيون هناك على سطح المياه. وفوق الخليج حلّقت نوارس البحر وهي تصيح. كان البحر هادئاً حتى عكس سطحه مشهد المنحدرات مثل مرآة.

وقفت ليز وخطيبها على الرصيف وهما يمرّران الأمتعة ليينس في القارب. وكان مارتن، صديق ينس، يتجول على حافة المياه بسروال قصير وقميص قصير الأكمام، ويرمي الحجارة الصغيرة في الماء. ألقينا آن ماري وأنا أشياءنا ليينس الذي رتّبها في أرضية القارب بين أكياس النوم والخيام وموقد المخيم.

"هل أستطيع أن آخذ غطسة قبل أن نقلع؟" صاح مارتن.

"كلا،" أجاب ينس، لكن مارتن كان قد غمس نفسه مسبقاً في الماء. ألقى بنفسه إلى الأمام وغاص وهو ما يزال يرتدي سرواله القصير وقميصه.

بعد لحظة، ظهر بجانب القارب وحاول الوصول إلى الحاجز الحديدي بسحب نفسه فوق المصدّات. كان محرك القارب يعمل مسبقاً وقد أوشك ينس المتبرم أن يرخي الحبل الخلفي بينما استعدت ليز لترخي الحبل الأمامي.

"توقف،" قال ينس. "اصعد على الرصيف واقفز إلى القارب إذا أردت أن تذهب معنا."

لكن مارتن لم يستسلم. تعلّق طويلاً بجوانب القارب حتى خارت قواه وتخلّى عن

t.me/ktabpdf مكتبة

المحاولة. سبح إلى الشاطئ والماء يقطر منه، ثم قفز إلى سطح القارب من الرصيف. كان يضحك، ويبدو أنه رأى مزحته عرضاً استباقياً لأنشطة المساء. أهدر عشر دقائق من وقتنا، والتي بدت غير مهمة -كان الوقت ما يزال مبكراً من اليوم، ولن تفتح المخازن في هالفكشامن حتى التاسعة- لكنه أدهشني بعد ذلك أن كل شيء كان ليحدث بشكل مختلف لو أننا انطلقنا قبل عشر دقائق.

بمجرد أن استقر مارتن على واحد من المقاعد حيث صنع الماء المتقطر من سرواله القصير بركة كبيرة، وأشار يينس لليز بأن تفلت الحبل، فقط في تلك اللحظة، طار شيء برتقالي صغير هابطاً الأدراج من المنحدر، واستمر في الركض على الرصيف ولم يتوقف حتى النهاية.

"انظروا إلى هذا، إنها تظن أنها ستأتي معنا." قال مارتن بابتسامة متكلفة.

"عودي إلى البيت، مايا"! صاحت آن ماري.

لكنها وقفت هناك فقط، مرتدية سترة نجاتها فوق أوفرهول بني من المخمل وقد شدّت جميع الأشرطة والأزرار بدقة وترتيب. كانت خصلات شعرها السوداء مشعثة وقد هرعت مباشرة من سريرها على الأرجح، دون أن تكون هناك فرصة لتمشيط شعرها. ثبّتت عينيها الداكنتين على آن ماري.

"اذهبي إلى المنزل"!

كلنا صرخنا فيها، كما لو أردنا أن نجعل صوتنا مسموعاً فوق ضجيج المحرك، ولوحنا بأيدينا بالطريقة التي يريد بها المرء طرد دبّور عنيد. لكن مايا وقفت هناك فقط.

"سوف أعيدها إلى فوق. انتظروني،" قالت آن ماري.

أطفأ يينس المحرك وقفزت آن ماري من القارب إلى الرصيف. أمسكت بمايا من يدها، وشرعت في سحبها على طول الرصيف نحو الدرجات المفضية إلى أعلى المنحدر. لكن مايا تشبّثت بعناد. جلست القرفصاء لتجعل نفسها ثقيلة قدر الإمكان ولم تتخذ خطوة واحدة في اتجاه آن ماري. سحبتها آن ماري بوصة بوصة

فوق الألواح الخشبية. كان ذلك صراعاً صامتاً، وكان الشيء الوحيد الذي يمكن أن تسمعه هو تنفس آن ماري الثقيل.

عثر مارتن لنفسه على سروال جينز جاف. ووجد كيساً من رقائق البطاطا، فتحه ومرره علينا.

"إنك تؤلمينها،" صرخت ليز بآن ماري. "سوف تصاب بشظايا من خشب الرصيف. احمليها"!

حاولت آن ماري أن تحملها، لكنها تلقت مباشرة صفعة قوية على وجهها وشدة قوية لشعرها. وبعد أن غضبت الآن، أفلتت مايا التي سقطت على الرصيف بصوت مكتوم.

"أوه، بحق الله، آن ماري"! انفجرت ليز بها. "اذهبي وأحضري ماما."

"ماما لن تستطيع أن توقفها على الإطلاق،" قال بينس. "إذا لم تستطع آن ماري ذلك، فلا يمكن لأحد آخر أن يفعل. إنها تريد أن تكون معك أنتِ يا آن ماري."

نهضت مايا ووقفت على نهاية الرصيف مرة أخرى. يبدو أنها آذت نفسها عندما أسقطتها آن ماري؛ قلصت شفتيها وضمتهما وفركت ساقها، لكنها لم تصدر أي صوت.

شرع مارتن في إلقاء رقائق البطاطا للنوارس.

"فتاة قوية، هذه البنت" وضحك.

"سوف نأخذها معنا. وإلا فإننا لن ننطلق أبداً،" قال بينس وتنهد.

"اصعدي وأخبري ماما."

فتحت آن ماري عينيها غير مصدقة، وترنّحت على الرصيف وهي تبدو منهكة تماماً وجاهزة للانهيار.

"وعودي،" صاح بينس.

هزت آن ماري كتفيها باستسلام وهرعت صاعدة الأدراج بخطوات عملاقة.

t.me/ktabpdf مكتبة

وسرعان ما عادت بعد فترة قصيرة.

"ماذا؟" سأل بينس.

"لا بأس." وحملت آن ماري مايا إلى القارب ثم قفزت بعدها ومعها الحبل.

بعد ذلك قالت كارين إنها لم تعطِ لها الإذن أبداً. كانت نائمة في السرير ولم يكن ذهنها صافياً عندما أيقظتها آن ماري. ولم تفهم ما قالته.

وفقاً لآن ماري، كانت كارين بالتأكيد راقدة في سريرها، لكنها كانت مستيقظة. لم تكن تنام أبداً بعمق، ولا بد من أنها استيقظت من ضجيج المحرك وأصوات الأولاد العالية. كان آكي نائماً في السرير المجاور، ولكن كارين كانت مستيقظة تماماً وأجابت على مضض، وإنما بوضوح كامل: "نعم، نعم، أعتقد أنها يجب أن تذهب، عندئذٍ."

جلست آن ماري على الأرضية ومايا في حضنها. شغل بينس المحرك مرة أخرى، وثبّت غيار الرجوع إلى الخلف، وبدورة واسعة وجه القارب خارجاً من الخليج.

توقفنا في هالفكشامن لشراء المؤن. كان الميناء ممتلئاً مع أنها التاسعة والنصف صباحاً فقط. كان معظم الحاضرين قد وصلوا في اليوم السابق. رست القوارب متلاصقة. وجلس الناس في قمرات القيادة في قواربهم، يتناولون إفطارهم أو استلقوا على أسطح القوارب يستحمون بالشمس، بينما يخطو الجيران من القارب المجاور فوق أجسادهم في طريقهم إلى الرصيف. لمعت كتلة من قناديل البحر التي علقت في المياه الزيتية بين القوارب. وصنعت إلى جانب القمامة الملقاة هناك نوعاً من الحساء الكثيف.

"يا له من مكان فظيع للإقامة،" قال ستيفان بازدراء.

"إنهم يحبون ذلك، ألا ترى؟ الناس يحبون أن يحتشدوا معاً مثل السردين،" قال مارتن.

"الناس بلهاء."

لم يكونا يشيران إلى نفسيهما على أنهما "أناس،" ولم يكن أي واحد منا يفعل في تلك الأيام.

لأنه من المستحيل أن يرسو القارب، أنزلَنا بينس على الدرجات بالقرب من خزان الغاز وقاد القارب مبتعداً في الماء ليعود فيلتقطنا بعد نصف ساعة. اشترينا الطعام والبيرة من المخزن، وملأنا البرميل بالديزل، واشترينا البوظة المثلجة من الكشك. فكرت آن ماري بشراء مصاصة لمايا، لكن مارتن اشترى لها مخروطاً كبيراً من البوظة بدلاً من ذلك.

t.me/ktabpdf مكتبة

"سوف تذوب قبل أن تأكل نصفها." احتجت آن ماري.

"لا يهم. يجب أن يحصل الأطفال على بوظة كبيرة الحجم،" قال مارتن.

ثم أخذ المخروط لنفسه عندما اكتفت مايا.

كانت الطوابير في المخزن طويلة جداً بحيث استغرق الشراء أكثر من نصف ساعة بكثير، واضطر بينس إلى الدوران فترة طويلة قبل أن نصبح مستعدين للمغادرة مرة أخرى.

لم نرَ أي شخص نعرفه في المخزن، لكن هناك قاربان كانا قد سبقانا ورسوا على الشاطئ في كانهولمن.

كانهولمن هي الأبعد بين مجموعة من الجزر والجزر الصخرية، على بعد حوالي ثلاثة أرباع الساعة بإبحار متمهل بالقوارب من هالفكشامن. وهي الجزيرة الوحيدة في المنطقة التي يمكن فيها نصب خيمة. أما البقية فمجرد صخور عارية. لكن في كانهولمن سطح مستو تماماً من العشب، حيث التربة عميقة بما يكفي لغرس الأوتاد. وفي كل أنحاء السطح المعشوشب، ثمة منحدرات مثل الجدران فناء. إنها مكان محمي وجيد جداً. لكن عليك أن تكون على معرفة بذلك مسبقاً لأنك لا تستطيع رؤيتها من البحر.

في المناطق الداخلية من الجزيرة الصغيرة، ثمة شاطئ صغير محاط بألواح حجرية رائعة ناعمة الاستدارة، حيث يمكنك الجلوس ومراقبة الشمس وهي تغوص في البحر. وتتكون بقية الجزيرة من الصخور، والشقوق، وبرك المياه الصغيرة والمروج والمستنقعات. إنها ليست جزيرة كبيرة، ويستغرق التجوال في كل أنحائها أقل من ساعة واحدة.

كانت خيمتان قد نصبتا هناك بالفعل، وجلس سكانهما على العشب في الخارج يشربون البيرة. نصبنا خيامنا. أخذت ليز وستيفان واحدة، ومارتن وبينس احدة، وأخذت آن ماري وأنا واحدة أخرى.

وصلت المزيد من القوارب، ونُصبت المزيد من الخيام حتى تكوّن مخيم صغير

كامل من الخيام الملونة التي يتسع كل منها لشخصين، وملأ السطح المعشوشب.

تناولنا وجبة بسيطة من الخبز المقطع بلا ترتيب بسكين جيب، مع الخوخ والبيرة. ثم ذهبنا آن ماري، ومايا وأنا للسباحة. واختفت ليز وستيفان في خيمتهما. وضع مارتن وبينس البيرة لتبرد على حافة المياه ثم اختفيا فوق الصخور واتجها إلى ساحل الجزيرة المواجه للبحر.

لم أكن أعرف أياً من الآخرين. لكن آن ماري تعرفهم بالاسم وتعرف أشكالهم بسبب إخوتها وأخواتها. تبادلت بضع كلمات مع بعضهم، وأراد الكثيرون من الأولاد التحدث معها. بدا ذلك مفهوماً. كانت آن ماري جميلة حقاً وهي تتجول بين الخيام بالبيكيني وتمسك بيد مايا. كانت لها ساقان نحيلتان طويلتان، وشعر طويل أشقر يتطاير في الريح، وبشرة بنية ناعمة.

أما أنا، فارتديت ذلك البكيني الوردي المروع. كنت قد اندفعت إلى حمامات الشمس خلال الأيام القليلة الماضية لأكتسب شيئاً من السمرة قبل منتصف الصيف، لكن النتيجة هي أن بشرتي ظلت بنفس اللون الوردي المغيظ مثل لون البيكيني. أدركت فجأة أنني مع كل هذا الوردي المندمج، ومع ذلك الوزن الزائد حول الخصر، ربما بدوت مثل خنزير صغير مسلوق. وتقافز ثدياي الثقيلان واهتزا كما لو أن لديهما حياة خاصة بهما، مثل خنزيرين صغيرين عصيّين على السيطرة، واللذين يتأرجحان في حمالات الجزء العلوي من البيكيني.

مررت يدي خلال شعري حتى لا يستقر بخمول فوق رأسي وشعرت فعلياً بأنه يصبح دهنياً على الرغم من أنني كنت قد غسلته في وقت متأخر من الليلة السابقة. والآن، سيُضاف إليه الملح من السباحة، وسيتحول هذه الليلة إلى خصلات لزجة، فكرت بحزن. حاولت إبقاء رأسي فوق سطح الماء، لكن ذلك كان مستحيلاً لأن آن ماري سبحت تحت الماء كل الوقت وظلت تسحب ساقيّ.

بعد السباحة، أرادت آن ماري أن نأخذ قيلولة. شعرت أنا أيضاً بحاجة ماسة للراحة. كنا قد استيقظنا في وقت مبكر، وكانت الشمس حارقة وشربنا البيرة. علقنا

t.me/ktabpdf مكتبة

البيكينيات لتجف على حبال الخيمة، وزحفنا إلى خيمتنا الحمراء ونشرنا مناشفنا فوق أكياس النوم، وبعد ذلك استلقينا بملابسنا الداخلية ومايا الصغيرة العارية بيننا.

كنت متعبة بشكل رهيب، وسقطت نائمة على الفور. استيقظت بعد نحو ساعة. كان نومي عميقاً وبلا أحلام. كنت ما أزال متعبة ولم أستيقظ تماماً. استلقيت هناك في نصف نوم ونظرت إلى الاثنتين الأخريين بجانبي، واللتين ما تزالان نائمتين. كان الجو حاراً وخانقاً، لكنني كنت قد اعتدته ولم أشعر بأي انزعاج.

أتذكر جيداً ذلك الوقت الذي استلقيت فيه هناك في الخيمة. نصف الظلام الدافئ، والقماش الأحمر الذي أعطى الأجساد النائمة توهجاً سحرياً، ورائحة العشب والعرق. كانت آن ماري النائمة على جنبها ملتفتة نحوي، فمها مفتوح قليلاً، وقد استقرت ذراعها المنحنية ويدها على منشفة. كانت أصابعها الطويلة المائلة قليلاً، جد مسترخية، أشبه بيد يمكنك أن ترسمها. وشفتاها، بلونهما الأحمر الوردي في الضوء الغريب، ومنحنيات جسدها الناعمة. شعرها الرطب المنسرح من جبينها إلى الوراء. ووجهها الحَيِيّ مثل فاكهة ليّنة وناضجة. كانت مايا راقدة إلى جوارها، أبعد قليلاً، رأسها بجانب سرة آن ماري. استلقت على ظهرها، وذراعاها ممدودتان على جانبيها، بالطريقة التي غالباً ما ينام بها الأطفال الصغار، عارية تماما، بينما ومضت بشرتها البنية الداكنة مثل الحرير. كنت أسمع أصوات الناس في الخارج، وعزف هارمونيكا بينس في مكان ما بعيد، وصراخ نوارس البحر. رفرف قماش الخيمة قليلاً. تنفست النائمتان بسلام إلى جانبي، مثل جنينين قابعين في الأمان الأحمر الذي يصنعه رحم أنثى.

استيقظت مايا أولاً. زحفت بسرعة إلى الفتحة واختفت في الخارج مثل رصاصة.

"يجب أن تتبول،" غمغمت آن ماري. "وأنا أيضاً. كم من الوقت تظنين أننا نمنا؟ كم الساعة؟ "

كانت الرابعة والثلث. نهضنا لنحتفل بمنتصف الصيف.

لم أكن أعرف ما يجب أن أتوقعه في الاحتفالات على جزيرة كانهولمن. كل

ما أتذكره هو أنني كنت مليئة بالتوقعات فحسب. وأنني خططت بعناية للملابس التي سأرتديها. (بمعنى أي سروال جينز بالٍ، أي قمص ناصلٍ قصير الأكمام، أي سترة فضفاضة). لم تكن لدي أي رغبات واضحة تجاه رجل بعينه أعيش معه حالة حب، أو ما شابه. لكنني أعتقد أنه كان لدي فعلاً نوع من الشعور المشتت المضحك بأن شيئاً ما سوف يحدث، وتخيّلت أنني سوف أكون أولريكا أخرى مختلفة في طريق عودتي إلى الديار.

ثمة شيء واحد كنت متأكدة منه، أنني سأكون مع آن ماري كل المساء، أنها وأنا سنكون قريبتين، وسنتقاسم الأسرار والمغامرات التي ستربط بيننا عندئذ. لكن هذا لم يحدث.

تنقلت آن ماري مثل سمكة في الماء بين كل الناس الجدد هناك. تحاضنت مع أي أحد ومع الجميع. كانت أثيرية محلقة يصعب الإمساك بها، تثرثر وتوزع النكات بلا كلل.

تورطت أنا نفسي في محادثة مع اثنين من الرجال الأكبر سناً. سألاني عن الكثير من الأشياء العميقة وتحدثت بذكاء قدر ما استطعت واستمتعت بانتباههما، حتى انتابني فجأة شعور رهيب بعدم الراحة عندما نظرت في وجهيهما ورأيت أنهما يستدرجاني طوال الوقت. توقفت في منتصف جملة وغادرت.

"كلا، كلا، انتظري. نريد أن نسمع عن ذلك،" هتفا، "كيف سينتهي ذلك؟ لقد نسيت بيرتك"!

جلست بجانب ليز وستيفان، لكن نظراتهما ظلت مخصصة لبعضهما فقط، ولذلك انتقلت إلى مجموعة صغيرة من الفتيات اللواتي يشوين السجق على الشاطئ. كن يتحدث ويضحكن، لكنني عندما جلست معهن، أصبح الجو مكبوتاً.

"هل أنتِ شقيقة ليز وإيفا؟" أرادت إحداهن أن تعرف.

"كلا، تلك آن ماري. أنا صديقة آن ماري. وأقيم معهم."

"فهمتُ،" قالت الفتاة وقد شعرت بأنها قد تكلمت بما فيه الكفاية معي. واصلت الفتيات حديثهن الممتع، وبدا أنهن لم يعدن يلاحظن وجودي بعد الآن.

t.me/ktabpdf مكتبة

اندفعن فجأة إلى السباحة وسألتني إحداهن إذا كنت أرغب في الذهاب معهن. لم أشعر بأن من الصواب اللحاق بهن. ربما هرعن هكذا مبتعدات بسرعة ليتخلصن مني فقط.

واصلت الجلوس هناك فترة من الوقت مع النار المشتعلة وراقبت الجمرات وهي تومض في الرماد. جاء رجل في حالة سكر شديد مترنحاً وانحنى فوقي بعيون عَكِرة.

"يا إلهي، كيف يمكنك أن تكوني حزينة بهذا المقدار،" قال، وهزّ رأسه وغادر.

حاولت التواصل مع آن ماري مرة أخرى. كانت تعبث بين الخيام، مخمورة، وإنما جميلة بشكل مذهل في قطعة من الجينز وقميص أبيض، عائمة على أمواج إعجاب واجتذاب الآخرين. كانت الثروة هي الكلمة التي خطرت في بالي وأنا أغرق في العشب عند جدار المنحدر، ونظرت إليها بإعجاب. كانت ثرية، تفيض بالجمال والثقة بالنفس. كانت مكتفية بذاتها، لا تحتاج إلى أي شخص آخر، ولي أنا أقل من الجميع.

شعرت وكأنني قشرة رقيقة حول ثقب أسود فارغ لكهف مظلم من الوحدة والقبح.

بجواري جلس زوج يتبادلان القبل.

كانت مايا تركض وهي ما تزال عارية، ولو أن المساء حل الآن. وكان أحد ما قد مشط لها شعرها المشعث، وفرقه وصنع لها ضفيرتين قصيرتين مرتبتين فوق أذنيها.

كان جدار الجرف ورائي قد جمع حرارة الشمس طوال اليوم، وأخذ ينث الدفء مثل حيوان كبير. وأنا استندت إليه وأغلقت عيني.

آه، يا آن ماري. يا آن ماري الذهبية، يا آن ماري الشبيهة بالعسل. أين أنت؟ هذه ليست آن ماري التي تخصني، إنها أخرى غريبة عني. عودي إليّ يا آن ماري، يا آن ماري التي مثل العسل!

"يا إلهي، إنك تبدين حزينة جداً."

كان ذلك الرجل مرة أخرى وأشحت بوجهي بعيداً... لكنه ما لبث أن واصل الكلام: "إنكِ على وشك البكاء أو شيء كهذا؟ هل انفصل عنكِ حبيبك؟ بحق

المسيح، إنك تبدين حزينة جداً. اللعنة، لم أر أحداً حزيناً هكذا أبداً."

مرة أخرى نهضت وغادرت. تجولت بين الصخور، في جميع أنحاء الجزيرة. وإذا كنت قد حاولت في السابق الانضمام إلى الجماعات، فقد فعلت العكس الآن. أردت أن أكون وحدي. وكلما رأيت أحداً، أو سمعت أصواتاً، كنت أعثر على طريق أخرى بسرعة.

على الصخور، توقفت لحظة ونظرت إلى البحر المفتوح والجزر الصخرية الصغيرة التي ارتسمت خطوطها الخارجية على صفحة السماء المسائية الحمراء. زعقت الطيور في مكان ما عبر المياه. وبين الصرخات سمعت النغمات الطويلة المهتزة من موسيقا البلوز الحزينة المنبعثة من هارمونيكا.

في زاوية بين بعض الصخور ذات المنحدرات المنحنية بنعومة بحيث يمكن الاستناد إليها، المخبأة عن العالم والمطلة على البحر وغروب الشمس، جلس بينس ومارتن وشخص آخر لم يسبق لي أن رأيته من قبل. وإلى جانبهم استقر صندوق مليء بزجاجات البيرة. عندما رآني بينس توقف لوهلة، ولوح لي لكي آتي ثم واصل العزف.

ذهبت وجلست دون كلمة واحدة. للمرة الأولى في مساء منتصف الصيف شعرت بأنني لست منجرفة ولا متجمدة ولا موضوعاً للسخرية. جلست هناك، نظرت إلى البحر الأحمر الذي يصبح أكثر شحوباً ورمادية بينما يعتم الشفق، واستمعت إلى ألحان الهارمونيكا المتموجة. وعلى الفور، أصبح حزني ممتعاً تقريباً.

حلقت الطيور فوقنا في دوائر مدوّمة بلا توقف، بعيدة في البداية، ثم أقرب وأقرب.

"هل تكون الطيور مستيقظة عادة في هذا الوقت من اليوم؟" سألت.

رفع بينس أنظاره وتوقف عن العزف.

"لا أعتقد ذلك."

"كلا، الأمر غريب نوعاً ما" اعترف مارتن. عادة ما تكون المنطقة صامتة تماماً في الليل، أليس كذلك؟ الطيور لا تزعق بهذه الطريقة في الليل، هل تفعل؟ "

t.me/ktabpdf مكتبة

"عادة ما تصمت الطيور عندما تغرب الشمس" قال الشخص الثالث بنبرة هادئة وفلسفية.

"إذن، لماذا تستمر في التحليق والصياح بهذه الطريقة؟" سأل مارتن.

"أي نوع من الطيور هي؟"

"نوارس الرنجة. خطاف البحر. وربما بعض الطيور الأخرى."

"من المدهش أن تعمل أنواع مختلفة منها معاً بهذا الشكل،" قال الرجل الثالث.

فجأة غاص واحد من طيور خطاف البحر هابطاً. اندفع قريباً جداً فوق رؤوسنا بحيث شعرنا بتيار الهواء الذي صنعه جناحاه، وهو يزعق في الوقت نفسه بـ"إي ي ي ي" تصم الآذان.

"يا يسوع المسيح،" تمتم مارتن.

"هناك شيء غريب بشأن الطيور هذه الليلة،" قلت.

"كلا، الغريب هو أننا هنا،" قال بينس. "هذه جزيرة الطيور. يحتمل كثيراً أن تكون لها أعشاش وفراخ في هذه الشقوق. إنها تحاول التخلص منا. لكنه سيترتب عليها أن تتحملنا حتى الصباح."

واصلنا الجلوس هناك وسرعان ما لفتنا سحابة كاملة من طيور خطاف البحر الزاعقة. لم تتعرض لنا بالأذى، وإنما طارت حول رؤوسنا فحسب، دارت حول بعضها، كل في مدار الخاص مثل الكواكب في نظام شمسي معقد. أسقط واحد منها كرة روث بيضاء على كتف مارتن. شرع بينس في الضحك وضحك بقيتنا أيضاً. جلسنا هناك وسط كل تلك الأجنحة المرفرفة، منحنين وأيدينا على رؤوسنا وضحكنا.

ندّت عن الشخص الثالث صرخة. طار طائر مرتفعاً منه. كان ذلك خطاف بحر عادياً، لكنه بدا من هذا القرب طائراً أكبر بكثير. كنس جناحاه هواء الليل نحونا في موجات، وللحظة قصيرة استطعنا أن نشم رائحته، رائحة فجة مختلطة من الأسماك والروث والريش.

"لقد نقر رأسي،" صرخ الرجل.

هربنا عبر الصخور إلى شق آخر. وتبعتنا الطيور واستمرت في تحليقها الدائري فوق رؤوسنا، لكنها أبقت على المسافة بيننا.

"أعتقد أننا كنا نجلس قرب عش ما،" قال بينس.. "كيف رأسك؟"

تفحصنا رأس الرجل، لكننا لم نجد فيه أي جرح.

"أعتقد أنني خِفتُ في الغالب،" غمغم.

جلست نوارس الرنجة على الصخور بالقرب منا. راقبتنا، لكنها لم تقترب.

"أترون كيف هي عيونها مثيرة للاشمئزاز؟" قال مارتن "نوع من الشره. اللعنة. إنها مثيرة للاشمئزاز، على ما أعتقد."

"ربما تفكر بالشي نفسه عنك،" قال بينس.

على أي حال، قام هو والرجل الذي نُقر في رأسه وغادرا. وبقيت أنا وبينس.

كانت ليلة منتصف الصيف خفيفة وهادئة بشكل غريب. لم تخيم العتمة الحالكة على البحر مطلقاً في واقع الأمر، وإنما امتد الليل أشبه بنهار غائم، وبدا سطح الماء مثل معدن غير شفاف.

قبل أن يذهب، كان مارتن يجلس بيني وبين بينس، وأصبحت هناك الآن مساحة في مكانه. محوناها شيئاً فشيئاً باقترابنا من بعضنا أثناء الحديث. جلس بينس وقد استراحت يده على ركبته المطوية. وعندما نظرت إلى تلك اليد المرتسمة على خلفية البحر، تذكرت يد آن ماري في الخيمة خلال قيلولتنا بعد الظهر... الأصابع الطويلة، والرسغ النحيل. كانت لهما بالضبط الأيدي نفسها.

نظرت إلى وجهه خلسة. كان ينظر بعيداً عبر البحر مأخوذاً بما يقول حتى إنه لم يلاحظني وأنا أرقبه. فقط عندما محا الشفق الرمادي كل التفاصيل المربكة، رأيت كم يشبه آن ماري. كان شعره داكناً بعض الشيء. أما بخلاف ذلك، فكل شيء هو نفسه: الحاجبان الغامقان، وعظام الخد، والفم رائع التشكيل.

التفتَ إلي والتقت نظراتها. وضع ذراعه حولي وسحبني أقرب، بينما يمسد ذراعي صعوداً وهبوطاً.

"هل تشعرين بالبرد؟" سأل.

t.me/ktabpdf مكتبة

"كلا،" كذبت.

"فيك قشعريرة. يبدو شعر ذراعيك منتصباً بوضوح."

"لا أشعر بذلك."

"سأذهب لأجلب كيس نومي، وسوف ندخل فيه. يمكن أن ننام هنا الليلة. ذلك أجمل بكثير من النوم في خيمة."

اختفى عبر الصخور وعاد بواحد من أكياس نوم عائلة غاتمان العسكرية الخضراء الثقيلة. سحبه من حقيبته، وفرشه على الصخور وفكر لوهلة أين يضعه. سحبه إلى هذه الجهة وتلك ليعثر على مكان حيث يكون سطح الصخور مستوياً أفضل ما يكون.

"أعتقد أن هذا سيكون جيداً، حسنا؟ ألا تظنين ذلك؟"

أفزعتني الرسمية في لهجته بعض الشيء. فتح السحّاب واستلقى ثم أشار لي لكي آتي أيضاً.

"ليست هناك مساحة كافية لي،" قلت.

"حاولي، دعينا نرى."

اضطررت إلى أن أكون قريبة جداً جداً منه. ساعدني بأن ضغطني إلى جسده بيد وأغلق السحاب وراء ظهري بالأخرى.

"أترين، ها أنت تدخلين،" قال بنغمة منتصرة.

كان كيس النوم دافئاً ومليئاً بالروائح. عبقَ برائحة الملح والتربة والحشائش وبقايا أخرى من المغامرات المختلفة. كان وجهه قريباً جداً من وجهي حتى بدا الأمر طبيعياً تماماً عندما قبلني.

كان كيس النوم مثل قوة خارجية ضغطت جسدينا على بعضهما بحزم. كان من المستحيل الابتعاد. الفم مقابل الفم. الصدر على الصدر. نبض قلبي بقوة بحيث بدا كائناً منفصلاً، حيواناً محبوساً في داخل جسدي. ملأ لسان بينس فمي كما لو أنه كان دائماً هناك. وبدت ساقه التي انزلقت بين ساقي وأنها تنتمي إلى هناك. تحلّلت حدود جسدينا. وأصبح كل منا جزءاً فقط من كتلة واحدة دافئة متدفقة

ملأت كيس النوم.

ثم فجأة سمعت صرخة قصيرة. فتحت عيني ورأيت نورس رنجة كبير يجلس على الصخرة فوق رأسينا مباشرة. كان بينس قد حل أزرار سروالي وبدأ بنزعه عني. جلس النورس على بعد أمتار قليلة منا وبدا من هذا القرب عملاقاً... كان ينظر إلينا، وفي الظلام استطعت أن أميز بوضوح عينيه اللتين بدتا غريبتين تماماً. لم يكن هناك فيهما أي شيء من تلك العتمة البنية المسالمة في عيون الكلب والحصان. لا شيء يشبه الغموض الأصفر المخضر في عيون القط، أو اللمعان الحي مثل اللؤلؤ الأسود في عيون الفأر والهامستر. كان التعبير في تلك العين المائية هو الجليد البارد، تعبير قد يبدو شريراً، لكنه شيء أبعد من الشر، وراء كل ما هو إنساني وكل ما هو مفهوم. نافذة مفتوحة على فضاءات فارغة مقفرة.

فتح النورس منقاره، وأدار رأسه إلى الأعلى وزعق مرة أخرى. دفعتني صرخته إلى النهوض، إلى نوع من التسلق للخروج من ذلك الجسد المشترك، وبدا كما لو أنني أقف بجانبه وأنظر إلى الزوج النائم في كيس النوم. بدوا لي سخيفين. ولم أرد أن تكون لي أي علاقة بهما.

"ما الأمر؟" سأل بينس وكأنه ينطق من حنجرتي أنا. "أهي الطيور مرة أخرى؟"

على حين غرة شعرت بأنني محمومة بشكل غير مريح ومحشورة في كيس النوم. عاد جسدي ليصبح لي مرة أخرى. أنزلت السحاب حتى أتمكن من الخروج. برّد هواء الليل الجزء السفلي العاري من جسدي فارتديت بسرعة لباسي الداخلي وسروال الجينز.

طار النورس وجلس على مسافة بضعة أقدام أبعد.

جلستُ هناك على الصخرة ونظرت عبر البحر.

"إنه الضوء يعود مرة أخرى،" قلت.

حل الهدوء تماماً الآن من جهة الخيام على الجانب الآخر من الجزيرة. ولم أدرك إلا الآن أننا كنا نسمع طوال الوقت أصواتاً تأتي من هناك: الضحك، المناداة، والموسيقى المنبعثة من مذياع ترانزستور. صمتت الطيور أيضاً.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان الفجر على وشك البزوغ، وجلست هناك وشاهدت كيف يتغير العالم ببطء، ليس من الظلام إلى النور، وإنما من الأسود والأبيض إلى الألوان، من المبهم إلى المشرق. استعاد البحر بريقه، وتحولت المنحدرات لتصبح وردية ومشمشية. طافت النوارس في قطيع كدر على سطح الماء بمناقيرها الحمراء بلون الدم، والتي أصبحت الآن مغلقة، خرساء.

أغفى بينس. زحفت إلى كيس النوم بجواره والتصقت بظهره ووضعت ذراعي حول خصره. وفي هذا العالم الذي يمتص الألوان من الجو، غلبني سلطان النوم.

استيقظت على أصوات ضحك وصراخ. كانت بضع فتيات يسبحن تحتنا عاريات. انداحت حلقات الماء مبتدئة من أجسادهن، وطوقتهن مثل عيون الثيران على سطح الماء الهادئ. نظرت إليهن بنعاس، ثم لا بد من أنني غفوت مرة أخرى لأن الفتيات كن قد اختفين وأصبح الطقس أكثر دفئاً عندما استيقظت ثانية. كان المكان الذي استلقينا فيه مستحماً بضوء الشمس وقد التصق جسدانا بالعرق.

في المخيم تسكع الناس ناعسين ومصدوعين من السكر. جلس مارتن والرجل الذي هاجمته الطيور خارج خيمة بينس، يتناولان الكعك المسطح ورقائق الفانيليا. جلس بينس معهما وأكل شيئاً من إفطارهما المثير للغثيان.

ذهبت لأبحث عن آن ماري. وجدتها في خيمتنا نائمة في الضوء الأحمر. كانت ترقد هناك على جنبها بالسراويل الداخلية فقط. بدت حلمات ثدييها صغيرة مثل براعم زهرة المرزبان. كان شعرها فوضى كاملة. والخيمة عبقت كلها برائحة البيرة والعرق والأنفاس الكريهة.

زحفت عائدة إلى الوراء، لكنني علقت في الفتحة وسحبت النسيج، فاستيقظَت.

"أين ذهبتِ؟" سألتني محدقة.

"نمت في الخارج. على الصخور، قريباً جداً من البحر. هل استيقظت مايا؟ "

"لا أعرف. أعتقد أنها مستيقظة." لبست آن ماري قميصاً قصير الأكمام وزحفت خارجة من الخيمة.

كان ستيفان جاثياً على ركبتيه خارج خيمته يغلي الماء لصنع الشاي. وعندما

رأتنا ليز وضعت أكياس الشاي في كوبين بلاستيكيين وأعطتهما لنا. بدت مستريحة ومنتعشة، وقد انسرح شعرها البني الكثيف المربوط على هيئة ذيل حصان على الجزء الخلفي من رقبتها. وبدا ستيفان منتعشاً كذلك. لم يعودا يشربان دون حساب مثل المراهقين. بعد أن التقيا، أصبحا يشربان مثل البالغين، كوبين أو ثلاثة أكواب من البيرة في الأمسية، لا أكثر.

"الماء جاهز تقريباً،" قالت. "يمكنكما أن تذهبا لإيقاظ مايا. إنني أبرّد عصير برتقال لها في الأسفل على الشاطئ."

"أما تزال نائمة"؟

فتحت آن ماري طية خيمة ليز وستيفان ونظرت في الداخل.

"إنها ليست هنا،" أعلنت. "لقد هربت مسبقاً."

استدارت ليز، حاملة إبريق الشاي الألمنيوم من مقبضه. نظرت إلى آن ماري وقد ضيقت عينيها متفكرة. كان لعينيها لون غير معتاد، بني مخضوضر، مثل الطحالب. قالت بعد لحظة:

"لماذا يجب أن تكون في خيمتنا؟ لقد نامت في خيمتكما، ألم تفعل؟ "

توقفت متفكرة مرة أخرى. كان الإبريق ينث البخار. شعرت ليز فجأة بأن المقبض يسخن فوضعت الوعاء على الأرض بعجلة. ونقلت آن أنظارها بيننا من واحدة إلى الأخرى، كما لو تبحث عن مساعدة.

"كلا،" قالت أخيراً. "كلا، لم تنم في خيمتنا."

"بينس" نادت ليز. "هل نامت مايا في خيمتك؟"

هز بينس كتفيه، وقد امتلأ فمه بالرقائق.

"هل فعلت؟" سأل، والتفت إلى مارتن.

"ليس بحسب علمي،" قال مارتن. "بيورن، هل رأيت تلك البنت الصغيرة السمراء"؟

كان بيورن هو الرجل الذي نقرت الطيور رأسه. هزّ كتفيه هو أيضاً. لم يبد صاحياً تماماً ولم يبد أنه يفهم ما نتحدث عنه.

t.me/ktabpdf مكتبة

"ولكن، أين نامت إذن؟ أين هي؟" سألت ليز وذهبت لتقوم بجولة سريعة بين الخيام ثم اتجهت إلى أعلى صخرة قريبة.

"آن ماري،" قال ستيفان بصوت هادئ. "فكري الآن. لقد نامت مايا معك طبعاً، ألم تفعل؟"

"لا أعتقد ذلك." خرج صوت آن ماري ضعيفاً ومتوتراً، كما لو أنها لم تعتد على الحديث.

"أولريكا. بالطبع نامت في خيمتكما؟ أليس كذلك؟"

"لا أعرف،" أجبت. "لم أنم هناك أنا نفسي. لقد نمت في الخارج."

عادت ليز منقطعة الأنفاس، دون مايا.

"حسناً،" قالت بعد أن استجمعت نفسها. "يجب أن نبحث عنها. أين رأيناها آخر مرة"؟

"كانت تركض هنا بين الخيام." قال ستيفان.

"هل رآها أحد في أي مكان آخر؟" سألت ليز.

لم يكن قد رآها أحد.

"أنا ألبستها أوفرهولها المخملي. كان ذلك في وقت متأخر جداً،" قالت آن ماري. "زحفنا إلى داخل الخيمة وألبستها الرداء ثم ركضَت خارجة مرة أخرى."

"دعونا نتحقق من كل الخيام. ثم نعود. اسألوا الجميع أين رأوها آخر مرة،" قالت ليز.

خلال بضع دقائق تغيرت الأجواء في المخيم وتحولت من التسكع الكسول إلى النشاط الكامل.

وسرعان ما تأكدت حقيقة أن مايا لم تكن في أي من الخيام.

الجميع تذكروا الطفلة وهي تركض بين الخيام. لكن أحداً لم يستطع أن يتذكر متى اختفت، يبدو أنها ظلت في الجوار طوال الليل، طالما الآخرون مستيقظين. لكن أحداً لا يعرف أي خيمة هي التي دخلتها لتنام.

جمعت ليز كل الذين على الشاطئ وأعطت التعليمات.

"سوف ننتشر في جميع أنحاء الجزيرة ونبحث عنها. تحققوا من كل الشقوق. لا تقلقوا إذا ناديتم عليها ولم تجب. مايا لا تجيب أبداً عندما يناديها أحد.

مشينا في جميع أنحاء الجزيرة ومشطناها جيئة وذهاباً، حوالي ثلاثين شخصاً. كان الصباح حاراً وهادئاً بلا ريح تماماً. بحثنا في كل شق، تحت كل شجيرة، وراء كل صخرة.

شيئاً فشيئاً تطور نوع من الشعور بالخطر. أصبحت حالة عدم اليقين لا تطاق وسرَّعنا بحثنا من أجل اختصار هذه الحالة. شرعنا في الركض، جبنا مستثارين مروعين ذلك المكان الذي بدت ألوانه الجميلة الآن قاسية لا ترحم بسبب الحرارة والذعر. ارتجّت الشمس في الصهد الأبيض، واشتعلت السماء زرقاء مثل لهب الغاز، وبدت شجيرات توت الغراب خضراء سامة، وانصبغ الخلنج بالأرجواني الليلكي كما في لوحة لإنجي شيولر. نز منا العرق. شربنا على عجل من زجاجات المشروبات الغازية الساخنة. خرجنا ودخلنا في الماء مرات ومرات لنبلل وجوهنا ونبترد، وواصلنا البحث بلا توقف.

بحثنا ساعة بعد ساعة حتى ترتب علينا أن نعترف بالحقيقة. نبشنا الجزيرة الصغيرة وقلبناها رأساً على عقب. ليس مرة واحدة، وإنما، عشر، عشرين مرة. لم تعد هناك المزيد من أماكن الاختباء. مايا لم تكن على الجزيرة.

واحداً تلو الآخر غصنا في الماء عند الشاطئ بجوار القوارب الراسية. نظرنا عبر البحر. ودون أن نقول كلمة واحدة، عرفنا جميعاً أن ذلك هو المكان الذي يجب أن تكون فيه.

في وقت ما خلال الليل لا بد من أن تكون قد هربت من الخيام. ربما انزلقت على صخرة وسقطت في الماء. ربما مشت بعيداً جداً. هل صرخت؟ لم يسبق لمايا أبداً أن طلبت المساعدة. كانت تصرخ عند الغضب، ومن حين لآخر بسبب الألم. لكن أحداً لم يسمعها أبداً تصرخ لأنها خائفة. كانت عادة ما تكزّ على أسنانها، وتناضل دون صوت. هل فعلت ذلك الآن، أيضاً؟ ماذا مع كل هؤلاء الفتيان

t.me/ktabpdf مكتبة

والبنات السكارى صاخبي الأفواه، وراديو الترانزستور الضاجّ، والطيور الصائحة. كلا، ما كنا لنسمعها.

ولم يكن أي منا أمها. لأنه لو كان واحد منا أمها، عندئذ، لكانت الأم، حتى لو أنها مخمورة، شبقة، سعيدة، حزينة أو غاضبة، ستفكر بها كل وقت، وتتساءل أين تكون. كانت غريزة الأمومة لديها ستدور حول نفسها باستمرار وبالتناوب، مثل هوائي رادار باحث، يسجل أدنى حركة للطفلة. تلك هي الطريقة التي تعمل بها الأمومة. وأنا أعرف ذلك الآن وقد أصبح لديّ أولاد أنا نفسي. إن الطفل يكون دائماً هناك، في زاوية عينيك، وأفكارك، ونومك. وحتى عندما تسترخي الأم وهي تعلم أن الطفل آمن في مكان آخر، فإن هذا الرادار لا يتوقف، وإنما يدور بالقدر نفسه. لا يمكنك وقف تشغيله. هذا هو الواقع الذي يسكن في قلب هذا النقص اللعين في الحرية.

لكننا كنا ما نزال أحراراً، بلا أطفال. كنا، مثل الشباب الآخرين، منشغلين تماماً بأنفسنا. بحبنا وخيباتنا، بتجاربنا التي اكتسبناها حديثاً، بموسيقانا، بأفخاذنا السمينة، بأثدائنا الصغيرة أو الكبيرة، بالبثور، والإطارات الاحتياطية، بكل تلك الأشياء التي ملأت عالمنا الفتيّ.

لم تكن ثمة رياح. في عرض البحر، قبعت القوارب ساكنة بلا حراك؛ أشرعتها راكدة، كما لو أنها مجمدة في الجليد. كان البحر سلساً، كتوماً، لا يشفّ عما يخبئه تحت سطحه المتألق.

قرابة الخامسة مساءً شرعنا في تفكيك الخيام بصمت. وواحداً بعد الآخر، انسربت زوارقنا خارجة من الشاطئ. كان قارب عائلة غانمان هو آخر ما يغادر. عدنا إلى الديار لكي نُخطر خفر السواحل. ولكن، هل هناك حقاً أي شيء يمكن أن يساعدنا حقاً؟

أتذكر أننا جلسنا أنا وآن ماري في القارب متقابلتين في الطريق إلى البيت. كانت تنظر عبر كتفي بعيداً في المدى. وأنا نظرت إلى الأرضية، إلى الألواح التي تقشّر طلاؤها وانتفخ بالفقاعات. جالت عيناي على خليط من الأقدام، وأكياس

البلاستيك، والخيام وأكياس النوم. وقريباً جداً من قدمي آن ماري، نصف مدفوعة تحت المقعد الطويل، رأيت سترة نجاة مايا البرتقالية... ولا بد من أن تكون آن ماري قد رأت نوعاً من رد الفعل في وجهي، وتعقبت نظرتي إلى أسفل. ثم على عجل وبلا تفكير، ركلت بقدمها سترة النجاة حتى اختفت تحت المقعد.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان ينبغي لي، بطبيعة الحال، أن أعود إلى دياري. لكن لم يكن هناك خلال الأيام القليلة الأولى أحد فكر ولو للحظة بحقيقة وجودي هناك. كل شيء كان فوضى كاملة. الطائرة المروحية التي تقعقع ذاهبة آيبة في السماء الزرقاء الفضية. رنين الهاتف. رجال خدمة الإنقاذ الذي يهزون رؤوسهم يائسين. الجيران الذين خرجوا في قواربهم الصغيرة وعادوا بتعبيرات الأسف. آن ماري التي رقدت على سريرها في غرفتنا المشتركة، ظهرها في اتجاهي ووجهها في الوسادة، مشلولة بالشعور بالذنب واليأس. حاولتُ أن أظل بعيدة عن الطريق وأن أستدعي أصغر قدر ممكن من الانتباه لنفسي.

كان كارين وأكي غاتمان معروفين جيداً كليهما. بل حتى مايا الصغيرة كانت معروفة إلى حد ما. عن طريق مقالات كارين في صحيفة "ديلي نيوز" والأفلام الوثائقية في التلفاز، أصبحت مايا نوعاً من الابنة بالتبني للبلاد بأسرها، وهو دور خفت مع ذلك شيئاً ما خلال العام الماضي.

ظل الصحفيون بعيدين في الأربع والعشرين ساعة الأولى. ذكرت الصحافة بالكاد نبأ اختفاء طفلة في الرابعة من العمر في جزيرة خارج هالفكشامن، ولم يأت ذكرها على الإطلاق في أخبار الإذاعة أو التلفاز.

في اليوم الثاني، قررت الصحف المحلية نشر أسماء الفتاة ووالديها. وبعد بضع ساعات ضجت الصحافة المسائية بالنشاط. صّوروا كارين واقفة على الرصيف، يدها تظلل وجهها، وهي تحدق في البعيد من فوق المياه، وتبدو أشبه بتمثال زوجة بحار في الانتظار. ظهرت هذه الصورة تحت العناوين الرئيسية في اليوم التالي.

وعرضت الصحيفة المنافسة صورة لليز وينس وهما يبكيان ويحضنان بعضهما. واحتلت الصفحتين الداخليتين المتقابلتين صورةٌ كبيرة لدمية دبّ ملقاة خارج منزل عائلة غاتمان وهو يحدق بعيون زجاجية مستديرة وذراعاه ممدودتان على نحو مثير للشفقة نحو السماء. ميّزت على الفور"برواملي،" دمية آن ماري القديمة. هكذا حصلت على تفسير للزيارة الغريبة التي قام بها رجل يحمل حقيبة كتف كبيرة، ظهر في المطبخ في اليوم السابق، وطلب أن يرى ألعاب مايا. وبما أن مايا لم تلعب أبداً بألعابها، فإنني لم أتمكن من مساعدته، لكنه تمكن بنفسه من العثور على الصندوق الذي يضم ألعاب الأولاد الأكبر سناً، وسأل بأدب جم عما إذا كان يمكنه استعارة بعض منها، وهو ما اعتقدت أنه ممكن. ويبدو أن برواملي كان ما يحتاجه المصور بالضبط. وها هو يرقد الآن هناك على الصفحتين الداخليتين للصحيفة، مستيقظاً بعد سنوات طويلة من النوم، ويمد يديه لفتاة صغيرة لم يسبق حتى أن نظرت إليه.

في اليوم الثالث تغيرت الأمور. لم يقل أحد ذلك، لكن الجميع أصبحوا يعرفون. لم يعد البحث يجري عن طفلة حية. أصبح يجري عن جثة.

ثم توقف حتى هذا البحث نفسه. كانت كاتهولمن هي الأبعد من جزر الأرخبيل نحو البحر المفتوح حيث التيارات قوية. اضطررنا إلى قبول حقيقة أننا لم نتمكن من العثور على الطفلة، لا ميتة ولا حية. لقد ذهبت، ببساطة.

انسحب أعضاء الأسرة كل إلى ركنه الخاص. آكي إلى كوخ الكتابة، لكنه لم يصدر من هناك أي صوت طباعة يمكن سماعه. من وقت لآخر كان يجيء إلى المطبخ ليأخذ زجاجة جديدة من النبيذ. وآوى والداه، تور وسيغريد، إلى غرفتهما في الطابق الثاني. وكارين جلست في كرسي السفينة على الرصيف ونظرت عبر البحر ساعة بعد ساعة. وأمضت ليز معظم وقتها مع ستيفان. واختفى ينس على دراجته وقضى كل وقته مع صديق في مكان ما. وآن ماري استلقت على سريرها.

مرة واحدة، مرة واحدة فقط، اتهمتنا كارين. كانت قد تألمت كثيراً بسبب مقال في صحيفة قليلة الإحساس، ولم تتمكن من ضبط نفسها قبل أن تتطاير الكلمات خارجة من بين شفتيها:

"كيف أمكنكم ذلك؟ كيف أمكنكم أن تنسوها"؟ قالت وهي تشهق بالبكاء.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان صباحاً باكراً بعد ليلة من دون نوم، جلسنا على الأدراج بأكواب الشاي في أيدينا، آن ماري، ويينس وأنا. كان الندى في كل مكان. وقفت هناك على الدرجة العليا ونحن حدقنا في وجهها الذي أصبح يكاد يصعب التعرف إليه تقريباً بعد عدة أيام من البكاء المستمر، متورماً، محمراً ومكتسياً بالتجاعيد... انتابني شعور رهيب وأنا أسمعها تفصح عن اتهامها بعد أن صمتت فترة طويلة. تجمعنا، حاولنا الاقتراب من بعضنا مثل الجراء المغمورة بالخزي. لف يينس، الذي يجلس بجواري، ذراعه حول كتفي وآن ماري التي تجلس على الدرجة الأخفض أسندت وجهها على ركبتي.

جاء أبي إلى الجزيرة. ركن سيارته تحت البطمة، وصعد الدرجات الخشبية وطرق الباب. كانت طرقاته حذرة ومتباعدة حتى أن أحداً لم يسمعها. كدت أوقعه حين صادف أنني فتحت الباب في طريقي إلى الخروج.

لم أميزه للوهلة الاولى. كانت ثلاثة أسابيع قد مرت منذ رأيته آخر مرة، والتي حدث فيها الكثير... كما أنني لم أكن مستعدة لرؤيته هناك على الأدراج أيضاً. لم يتمكن من إعلامنا بقدومه لأن عائلة غاتمان سحبت قابس الهاتف وكانوا يصلونه فقط من أجل محادثة كارين اليومية مع جماعة الإنقاذ. في البداية اعتقدتُ أنه مراسل صحفي أو باحث متطوع آخر. بدأت بإبعاده ببعض العبارات المهذبة، وإنما الباردة، التي تعلمتها خلال الأسبوع الماضي، لكنني عرفت عندئذ من هو. شعرت فجأة بالدوار. لقد أصبحت متوحدة مع عائلة غاتمان، حتى أنني عندما رأيت أبي نفسه لم أعرف حقاً، لوهلة، إلى أين أنتمي. عائلتي، والدي، والدتي، كوخنا الصيفي الصغير، ومنزلنا في غوتنبرغ، كلهم تلاشوا مني خلال الأسابيع القليلة الماضية.

"لم أتمكن من الوصول إليك بالهاتف. أفهم أنهم لا يرغبون في الرد. أعتقد أنك تريدين العودة إلى البيت. ليس من الصواب حقاً أن تكوني هنا بعد كل ما حدث.

كانت بقع كبيرة من العرق قد ارتسمت تحت ذراعيه على قميصه قصير الأكمام. رأيت كم كانت ذراعاه فاتحتان مقارنة بذراعي المسمرين. دعوته إلى الدخول وقدته مباشرة عبر المنزل إلى الشرفة على الجانب الآخر. طلبت منه أن

يجلس بينما أحضر العصير البارد من الثلاجة. جلسنا معاً تحت المظلة الصفراء وشربنا عصير برقوق السياج من محصول العام الماضي.

"لا بد من أن هذا رهيب بالنسبة لهم. ولكِ أيضاً،" قال أبي وهو يحرك عصيره بملعقة طويلة المقبض بينما تخشخش قطع الثلج في الكوب... "قرأتُ شيئاً قلتِه أنت، في الصحيفة."

"أنا؟" تساءلتُ مندهشة.

لم أكن أعرف أنني قلت أي شيء في الصحيفة. لكنني كنت قد تحدثت إلى الكثير من الصحفيين، ولذلك كان مفهوماً أن ينقل أحدهم شيئاً عني.

"نعم، قلتِ إن ذلك كان أسوأ يوم في حياتك، اليوم الذي كنتم تبحثون فيه عنها في الجزيرة."

"نعم،" قلت: "أعتقد أنه كان كذلك. كان كذلك."

"أنا أفهمك" قال أبي. "بالمناسبة، أين الآخرون؟ أليسوا في المنزل؟ "

فكرت في الأمر. خلال الأيام القليلة الماضية اعتدت أن أكون وحدي في كثير من الأحيان بينما أغلق الآخرون على أنفسهم أو اختفوا في الخارج. لم نعد نتناول وجبات الطعام معاً. كان كل منا يتناول ما يجده متاحاً من الطعام في المطبخ عندما يشعر بالحاجة.

"أعتقد أنهم يريدون أن يكونوا وحدهم،" قلت.

أطرق أبي وأخذ رشفة كبيرة من كوبه.

"هذه الأسرة في حداد" قال. "يجب أن لا تكوني هنا. سوف نحزم أشياءك وستودعينهم. ثم تغادرين."

"لا أدري،" تمتمت ونظرت إلى المظلة الصفراء محاولة التفكير. "لا يبدو ذلك صائباً. إنه يبدو كما لو أنني أهرب."

"تهربين؟" كرر أبي مندهشاً. "من ماذا؟"

من الذنب، كنت أفكر. أولاً هربت من المسؤولية. كلنا هربنا من المسؤولية. وقد ربطني ما حدث بهذه العائلة. أصبحت واحدة منهم الآن. نعم، لأول مرة أصبحت

t.me/ktabpdf مكتبة

حقاً عضواً في أسرة، وهو شيء لطالما أردت أن أكونه لوقت طويل جداً.

لم أجب. جلسنا متجاورَين بصمت في بقعة صغيرة من الظل تحت المظلة ونظرنا عبر الخليج، حيث تمر المراكب الشراعية من مختلف الأحجام. كان نسيم خفيف يلعب بأطراف المظلة، وعبر الباب المفتوح تنسمنا رائحة الحمضيات المنبعثة من إصيص إبرة الراعي على إفريز نافذة المطبخ.

"حسناً، يمكنك أيضاً حزم أغراضك، أولريكا. أود أن أقول بضع كلمات لآكي وكارين، لكنك إذا كنت تعتقدين أنها ليست فكرة جيدة... سأتصل بهما في وقت آخر. يمكنك أن تودعيهم، كما أعتقد. سوف أنتظرك في السيارة،" قال أبي، ونهض وذهب إلى الداخل.

بدا المنزل مظلماً تماماً بعد الجلوس في الشرفة المشمسة. كنت عمياء حتى أنني لم ألاحظ في البداية أن هناك شخصاً يقف في الممر بين المطبخ والردهة. شهقت بخوف عندما أمسك أحد ذراعي. ثم رأيت أنه آن ماري.

"لا تغادري. أرجوكِ لا تغادري. لا أعرف ماذا يمكن أن أفعل إذا غادرتِ،" همست.

أصبحت أراها بشكل أفضل الآن. لم يكن على وجهها أي ماكياج، كان شعرها فوضوياً وهي ترتدي السروال الداخلي وقميصاً ملطخاً قصير الأكمام فقط. بدت مثل بنت أصغر بكثير. ويبدو أنها وقفت هناك في الظلام واستمعت لما قلناه أنا وأبي من خلال باب الشرفة المفتوح. ألقيت بذراعيّ حولها وداعبت شعرها الطويل الفوضوي.

"سوف أبقى إذا كنتِ تريدين مني أن أبقى،" قلت.

تحرك أبي بحذر داخلاً إلى الردهة. رأيته من فوق كتف آن ماري في ضوء الخافت الذي تسرب من خلال الستائر. توترت عضلات عنقه وهو يتفحص ظفر إبهامه. ذهبت إليه.

"لا أستطيع المغادرة الآن،" قلت.

هز رأسه على عجل.

"كلا، بالطبع، إذا كنت تريدين ذلك. اتصلي إذا غيّرتِ رأيك."

التفتَ نحو آن ماري وحاول أن يجد شيئاً ليقوله. "أنا آسف على خسارتكم."

لم يكن أسفه حقيقياً ولم يكن أي شيء يتصل بالأمل صحيحاً أيضاً.

"إذا شكلت أولريكا أي عبء عليكم يمكنكم إرسالها إلى البيت. أرجوكِ أن تبلغي أحر أمنياتي لوالديكِ. إنني أفهم كم هذا صعب،" أضاف، وهو ما لم يكن، بطبيعة الحال، صحيحاً.

وقفنا آن ماري وأنا بجانب بعضنا في الممر المظلم، وسمعنا محرك السيارة وهو يدور قبل أن تغادر. وعندئذ صعدنا الأدراج إلى العلية معاً واستلقينا على سرير آن ماري غير المرتب وأذرعنا ملتفة حول بعضنا. وفي الغرفة الساخنة المغلقة غفونا، وبينما أغفو مباشرة شعرت بخد آن ماري على خدي وبشعرها الأشقر الذي خيم على جبهتي ووجهي.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان شهر يوليو حاراً جداً في ذلك العام. ظلت الستائر الضاربة إلى الصفرة منسدلة على جميع النوافذ. وتنقل سكان المنزل بين الغرف في شفق أصفر حلو، منسلين من جانب بعضهم دون كلام، مثل السمك في حوض قاتم. وكان بالوسع سماع قوارب المحركات من البحر.

لم يحدث شيء. توقفت خدمة الإنقاذ عن الاتصال. وفقدت الصحف الاهتمام. لقد ذهبت مايا. ليست ميتة. وليست على قيد الحياة. ذهبت ببساطة. كنا في فراغ. لم نستطع أن نحزن، ولا أن نسعد. أقفلنا على أنفسنا، عشنا بالحد الأدنى من النشاط، وأبقينا مشاعرنا حبيسة الداخل. ملأت رائحة إبرة الراعي الحامضة الطابق السفلي مختلطة برائحة بقايا الطعام المتعفن. تراكمت الأكواب والأطباق القذرة وعلب البيرة الفارغة وزجاجات المشروبات الغازية في كل مكان.

جلست كارين في الكرسي الهزاز مطوية الذراعين. على الحائط فوقها تعلقت صورة مكبرة بالأبيض والأسود لمايا وقد استقر طوق زهور منتصف الصيف على شعرها. حبس آكي نفسه في كوخ كتابته وشرب. أمضت ليزا معظم وقتها في منزل ستيفان. كانا يجيئان من وقت لآخر بسيارة والد ستيفان بلوازم البقالة من المخزن في هالفكشامن، بالأضلاع المشوية والدجاج والفراولة ولحم الخنزير والخضراوات للسلطة، والمواد الغذائية الجاهزة التي لا تحتاج إلى إعداد. اختفى بينس على دراجته وعاد في الليل أو في اليوم التالي.

بقي تور وسيغريد، ولدا آكي، معظم الوقت في الطابق الثاني. وعندما يهبطان الدرجات الصارّة في أوقات منتظمة ليصنعا وجباتهما، كانا دائماً معاً. وإذا حدث أن أتيت إلى المطبخ وهما هناك، كانا يدعوانني إلى تناول الطعام معهما، وهو ما

رفضته دائماً. كان الزوجان العجوزان هما الوحيدان اللذان يأكلان بشكل عادي. كانا يقشران البطاطا، ويخفقانها في الأواني، ويأكلان، ويغسلان الأطباق ويكنسان الأرض، ويفعلان كل هذا معاً وهما يتحدثان بأصوات منخفضة. ثم يصعدان الأدراج مرة أخرى ويغلقان الباب المفضي إلى غرفة نومهما بحذر. تكوّن لدي شعور بأن هذين الزوجين هما المسؤولان عن استقرار الأسرة.دون وجودهما الهادئ، كانت الأشياء كلها ستنحلّ، وتذوب، وتسقط في العبث.

في الحيز تحت الأدراج المفضية إلى العلية، وجدت آن ماري أكواماً من صحف قصص الرسوم القديمة، وجلبتها إلى غرفتنا. وأصبحت الآن تقضي أيامها مستلقية على سريرها بسروالها الداخلي وقميصها الملطخ قصير الأكمام، وتقرأ بلا توقف وقد انتشرت الصحف المصورة حولها على الفراش. كانت تزحف إلى داخل القصص كما لو أنها جحر واقٍ، وعندما تنتهي من إحداها، تُسقط التي انتهت بيد وتلتقط التالية باليد الأخرى حتى دون أن تنظر. خالطني شعور بأنها قرأتها جميعاً عدة مرات.

كنا قد دفعنا سريرينا معاً ليصنعا سريراً مزدوجاً. وفي الليل، شعرت بصفحات القصص المصورة وهي تلتصق بجسدي المتعرق. وفي بعض الأحيان، كانت آن ماري تزحف بالقرب مني وتتمسك بي بكرب.

في إحدى الليالي رقدنا في سريرنا دون كلام. كان الظلام قد بدأ بالحلول، لكن أحداً لم يعد يضيء المصابيح. كنا نبقي الشمس في الخارج خلال النهارات، وعندما يجيء الظلام، فإنه يكون موضع ترحيب وتوق... وعندما لم تعد آن ماري تستطيع رؤية الحروف في القصص المصورة، كانت تضع الصحف، وتغلق عينيها وتسمح لخطوط جسدها بأن تذوب في الغسق القاتم.

صرّت درجات العلية، وأتى طرق لطيف على الباب الذي انزلق منفتحاً على الفور، ووقف بينس هناك ولكنه لم يدخل على الفور، توقف للحظة في مدخل غرفة العلية المظلمة:

"أيمكنني أن أدخل؟" سأل بصوت خفيض.

"نعم، ادخل،" قالت آن ماري.

t.me/ktabpdf مكتبة

أغلق الباب بحذر، بلا صوت تقريباً، وجلس في واحد من المقعدين بجوار الجدار. أخرج الهارمونيكا وعزف مقطوعة من موسيقى البلوز. ناحت الهارمونيكا وانتحبت، في حوار ممتع مع الألم، في حين طرقت قدمه الإيقاع على ألواح الأرضية. استلقت آن ماري على وسادتها بنصف ابتسامة، عيناها مغلقتان، وجسدها ساكن، وذراعاها وساقاها ممدودتان وكأنها ميتة. كانت راحة يدها اليمنى حية فقط، توقع بلا قصد تقريباً على فخذها نفس الإيقاع الذي تطبعه قدم بينس.

بعد آخر نغمة مهتزة مطولة، وضع بينس الهارمونيكا على المكتب. لف سيجارة وأشعلها. جلس على حافة السرير، أخذ نفخة وأعطى السيجارة لآن ماري. رفعت رأسها عن وسادتها، وأخذت نفساً أيضاً قبل أن تعطيني السيجارة وعيناها تطرفان في الدخان المعطر.

"لن تشعري بأي شيء أول مرة،" قال لي بينس عندما ترددت. "يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن تعثري على تلك المشاعر في الداخل."

نقلت السيجارة إلى فمي وراقبتها وهي تتجول بيننا. في كل مرة يأخذ فيها أحد نفساً تلألأت زهرة السيجارة في الظلام مثل عين حمراء وامضة. وعندما وصلت إلى آن ماري وهزت رأسها اعتقدت أن من الأفضل لي أيضاً أن أهز رأسي أنا أيضاً، على الرغم من أنني لم أشعر بأي شيء.

"أليس من الغريب أننا العائلة نفسها قبل مجيء مايا؟" قالت آن ماري فجأة. "أعتقد أننا مختلفون تماماً، عائلة مختلفة تماماً. من النوع الذي تقرأ عنه أو تراه في الأفلام،" قالت.

"أعتقد أنكم كنتم دائماً من النوع الذي نقرأ عنه أو نراه في الأفلام،" قلت. "لكنه فيلم مختلف الآن."

فيلم أنا جزء منه، كنتُ أفكر.

كانت النافذة مفتوحة، والفراشات الليلية ترتطم بهدوء بالجزء الخارجي من الستارة. أصبحت السيجارة في يد بينس صغيرة جداً الآن بحيث لم يستطع أن يمسكها لفترة أطول. سحب النفس الأخير وأخمدها على نعل حذائه. ثم نزع حذاءه

وسترته ولف السترة كوسادة واستلقى بجوارنا في السرير. استلقينا هناك بصمت. ومن وقت لآخر، سمعنا قارب محركات يدوم هناك في البحر، مكتوما ورتيباً مثل نحلة عالقة متلعثمة.

"فكرت بتلك الليلة، أعني ليلة منتصف الصيف،" قال ينس بعد حين. "كان هناك شيء غريب في الطيور، ألا تعتقدان ذلك؟"

"إنها جزيرة الطيور بعد كل شيء،" قلت. "أعتقد أن الطيور ليست معتادة كثيراً على الناس. هل تعرفون ما إذا كان يُسمح لنا حقاً بالتخييم هناك؟"

"كلا، على الأرجح، لكنها مرة واحدة في السنة بعد كل شيء. إننا لا نمس أعشاشها أو أي شيء من هذا القبيل. كنت هناك من قبل ولم تكن الطيور تبدو مستاءة بأي شكل من الأشكال. كانت تطير مبتعدة فقط. لكن هناك شيئاً غريباً أصابها هذه المرة. بقيت هناك وظلت تراقبنا. بل إنها هاجمتنا."

"كان ذلك لأننا كنا على الصخور. وهو المكان حيث تقيم أعشاشها، قلت لي ذلك أنت نفسك." فسرت.

"كان الوضع شبيهاً تماماً في المخيم أيضاً،" قالت آن ماري. "لكننا لم نفكر في ذلك. كانت الطيور في كل مكان على الصخور فوقنا. أتذكّر الآن."

"ولكن، ألا تفعل الطيور ذلك دائماً؟" سألت... "أليست هناك طيور دائماً في الجوار؟ خطافات بحر تحلق في السماء، ونوارس تجلس على المنحدرات، وبط يسبح بجوار القوارب والأرصفة، إننا نراها دائماً حولنا، ألا نفعل؟"

"نعم، صحيح." قال ينس. "الطيور جواسيس رائعون. إنها دائماً هناك من حولك، لكنك لا تفكر أبداً بحقيقة أنها هناك. لذلك اتخذ أودين اثنين من الغربان كشافة."

تذكرت نورس الرنجة الذي جلس على الصخرة عندما كنا أنا وينس نرقد في كيس النوم. رأيته بكل وضوح أمامي ولم أكن متأكدة تماماً مما إذا كانت تلك ذاكرة أو أي شيء آخر. تصورت عينه الشاحبة الباردة كالجليد التي حدقت في وجهي، وزعيقه الذي جعلني أحس بأنني أرتفع. فجأة أدركت أن الذي يحدث الآن هو

t.me/ktabpdf مكتبة

الذي ما كنتُ أفكر فيه نفسه. شعرت بشكل ما بأنني أعلى قليلاً بطريقة غريبة ما.

"إنك تتسامى بطريقة ما،" قلت مندهشة.

"نعم، هذا هو الأمر، كما أعتقد،" ضحك يينس.

"هذا هو السبب في قول الناس إن مزاجهم عالٍ،" قالت آن ماري.

جلس ينس وعزف على هارمونيكاه مرة أخرى، ونحن استلقينا واستمعنا في الظلام. شعرت بالنغمات وهي تدخل أفكاري وتخرج منها مثل أداة من نوع ما وتفعل شيئاً بها، شيئاً ملموساً حتى يمكنك أن تلمسه تقريباً. وعند نقطة ما شعرت أن ثلاثتنا تحدثنا معاً، أننا أجرينا محادثة رائعة، وأردت أن أقول شيئاً مهماً، لكنني اكتشفت وأنا أبحث عن الكلمات أننا لم نكن نتحدث على الإطلاق. كانت الموسيقا فقط هي التي تتجول داخلة وخارجة مني. كانت آن ماري نائمة بجانبي ويينس قد غادر، لكن الموسيقا استمرت بالعيش في رأسي.

غفوت بدوري، وحلمت حلماً رائعاً بالأصفر والوردي. جلسنا آن ماري وأنا قريبتين من بعضنا بعضاً على مقدمة المركب وأرجلنا تتكئ على الحاجز. كنا نبحر في بحر مسائي بلا صوت، وقد تدلت أقدامنا في المياه الوردية الحمراء المندفعة.

أثناء الليل استيقظت ورأيت آن ماري نائمة، ويدها تحت خدها. كان مزاج الحلم ما يزال هناك. شعرت كما لو أننا نتحرك، منزلقتين إلى الأمام، مدفوعتين بقوة صامتة.

عندما استيقظت في المرة التالية، أصبح الضوء في الغرفة رمادياً. كان كل شيء حزيناً وساكناً تماماً.

~~في اليوم التالي عادت إيفا من الشرق الاوسط. جاءت إلى هذا البيت بستائره~~

في اليوم التالي عادت إيفا من الشرق الاوسط. جاءت إلى هذا البيت بستائره المسدلة. وقفت هناك وحقيبة ظهرها عند قدميها، مسفوعة، مليئة بالنمش وقد لفت شعرها البني بمنديل. كانت قد غادرت منزلاً كل نوافذه وأبوابه مفتوحة في الغالب، حيث السلم يصرّ دائماً تحت ثقل الناس المهرولين صعوداً وهبوطاً، وحيث يجيء الضيوف ويذهبون. لكنها عادت إلى منزل حيث كل شيء ساكن. حيث

يجلس الناس بلا حراك في الشفق المصفر مثل حشرات عصور ما قبل التاريخ المسجونة في عنبر. غادرت غرفتها هي وليز في حال جيدة وطازجة، بالزهور المقطوفة حديثاً والشراشف الزرقاء والبيضاء المنفرشة بسلاسة على الأسرّة، لكنها استقبلتها بجحيم متشابك من الأوراق القذرة، وكتب القصص المصورة، وعلب الكوكاكولا، والأكياس المليئة بورق الألمنيوم بالأضلاع المشوية نصف المأكولة المتعفنة. هذا ما فكرت فيه أولاً عندما وقفت هناك أسفل السلم تناديانا. استويت جالسة في السرير، نظرت إلى الفوضى الكاملة من حولي، وفكرت: "يا إلهي، لقد دمرنا غرفتها."

لكن إيفا لم تدخل الغرفة التي كانت ذات مرة لها هي ولليز. انتقلت إلى كوخ الضيوف. حملت إليه حقيبة ظهرها وبسطت كيس نومها على السرير، كما لو أنها ما تزال في الشرق الأوسط.

ثم حاولت أن تتحدث مع آكي. سمعتُ طرقاتها على باب كوخ كتابته لفترة طويلة. أما إذا كان لذلك علاقة بحقيقة أنه في حالة سكر شديد بحيث لم يرد أن يظهر نفسه لابنته، أو أنه كان نائماً فعلاً، فلا أعرف، ولكن آكي لم يفتح بابه. نظرت من نافذة غرفتنا في العلية، ورأيتها تقف هناك في الخارج ثم تستسلم، وتنهار على صخرة مسطحة وتشد العشب من التراب حولها بيأس، مثل غريبة في عائلتها نفسها. لا بد أنه بدا غريباً جداً أن تغادر لبضعة أسابيع وتعود لتجد كل شيء قد تغير. أن تجداً أختاً ذهبت وتجد واحدة أخرى هنا بدلاً منها.

لكنها تمتعت فعلاً بقدر كبير من القوة. كانت هي التي أعدت العشاء ودعتنا جميعاً لتناول وجبة على الشرفة. حدثتنا عن عملها في المهمة الإنسانية، عن الأعشاب الكبيرة في حقول القطن، وكيف أنها ذهبت مع صديقة إنجليزية في رحلات محليَة بركوب السيارات العابرة، واستطاعت فعلاً بدء نوع من الحوار حول الطاولة. لكنها دمرت كل شيء في ذلك المساء نفسه عندما اقترحت أننا ينبغي أن نذهب جميعاً إلى كانهولمن ونقيم نصباً تذكارياً لمايا. لم يرد أحد أن يشارك في أي شيء من هذا القبيل. غادر آكي الغرفة وتظاهرت كارين بأنها لم تسمع شيئاً.

واصلنا تدخين السجائر كل الصيف، بينس، وآن ماري وأنا. ليست لدي أي

t.me/ktabpdf مكتبة

فكرة من أين حصل يينس عليها. كنا دائماً ثلاثتنا فقط ولم نسمح لأحد آخر بالدخول.

كان يوم الجمعة، الرابع من أغسطس، عندما عثروا على مايا.

كان رولف وأوللا ماينسون وابنهما الأكبر رين يبحرون في قاربهم لينصبوا شبكة صيد. كانت الأمسية هادئة وجميلة. غادروا قبل الثامنة فقط، وربما مروا في الثامنة والربع بجوار شاطئ المحار للمرة الأولى. لم يلاحظوا أي شيء عندئذٍ، لكنهم كانوا ينظرون أماماً في الغالب إلى الخليج الصغير التالي حيث سيلقون شبكتهم. ربما كانوا يخوضون في محادثة مرحة. وربما يكون ضوء الشمس ساقطاً أيضاً بطريقة مختلفة، وهو يتغير بسرعة كبيرة في ذلك الوقت قبيل الغروب. نصبوا شبكتهم في مكانهم المعتاد، وكان فقط في طريق عودتهم إلى المنزل عندما مروا ثانية بشاطئ المحار، ورأوها.

مباشرة بعد نهاية الشاطئ، حيث يغوص المنحدر عمودياً تقريباً في الماء، وقفت الطفلة على حافة. ولو أن آخر شعاعات الشمس لم تسقط بالضبط هناك، فإنهم ربما لم يكونوا ليروها. كانت ستذوب، ببشرتها الداكنة، وشعرها الأسود ورداؤها البني، في جدار المنحدر.

كانت أوللا ماجنوسون هي التي اكتشفتها. فكرت للوهلة الأولى بأنها ارتكبت خطأ.

"بعد كل شيء، لا يمكن لأحد، لأي شخص، طفلاً كان أو راشداً أن يقف هناك،" قالت عندما وصفت ردة فعلها الأولى فيما بعد.

من موقعها في القارب، بدا من المستحيل تماماً أن يقف أحدٌ هناك. بدت الهاوية منحدرة بانسيابية جدار، ولم تكن تستطيع أن ترى أي مكان يمكن للفتاة أن تقف عليه، وبدت كما لو أنها معلقة أمام الهاوية. لكنها عندما أخبرت زوجها، قاد القارب أقرب واكتشفوا أن الفتاة تقف على حافة ضيقة، واسعة بما يكفي لتتسع لقدميها فقط. لم يكن هناك أشخاص آخرون في الجوار، لا على الشاطئ ولا على الصخور ولا في قارب.

"كان من المروّع رؤية مثل هذه الطفلة الصغيرة في مثل هذا الوضع الخطير. خطوة واحدة في الاتجاه الخاطئ، حركة مفاجئة واحدة وكانت ستسقط مباشرة في البحر. نعم، كنا مستعدين لذلك، للقفز في الماء لمنعها من الغرق، تحدثنا عن ذلك ونحن جالسون هناك في القارب، حيث ظننا أنها ستسقط في أي لحظة،" قالت أوللا.

لكن الطفلة لم تسقط. وقفت هناك ساكنة، هادئة تماماً، بطريقة نادراً ما يفعلها الأطفال الصغار. اتكأت على جدار الجرف ونظرت إلى الأسرة في القارب.

أطفأ رولف المحرك، ووقف القارب هناك متمايلاً بجانب جدار الهاوية. صرخ الثلاثة في القارب لإعلام الوالدَين بالخطر في حال كانوا على مسافة السمع. لكن لم يجئ أحد، وهكذا فهموا أنه سيكون عليهم هم أن ينزِلوا الطفلة من هناك.

عندئذ فقط أدركوا استحالة الوضع. لم تكن هناك أي وسيلة للوصول إلى حيث تقف الطفلة. كان المنحدر حاداً تحتها وفوقها على حد سواء. كيف بحق السماء تمكنت من الوصول إلى هناك؟ ربما سقطت عن الحافة وهبطت بطريقة لا تصدق على تلك البسطة الصغيرة؟ بدا ذلك مستحيلاً لأن البسطة كانت صغيرة جداً.

هبط ابنهما، رين، على اليابسة. قفز في المياه الضحلة بالقرب من ضفاف المحار، ثم هرع عبر الشاطئ، ثم من خلال غابة برقوق السياج وإلى فوق الصخور. اقترب بحذر بالغ من الحافة، فحص الجدار الحاد الذي يفصله عن الفتاة الصغيرة تحته وأدرك أن الحافة لم يكن من الممكن الوصول إليها، تماماً مثلما بدت من الماء.

في هذه الأثناء، كان رولف وأوللا قد أوقفا قارباً ماراً أكبر وفيه جهاز اتصال لاسلكي على متنه. وصلت جماعة الإنقاذ بسرعة، لكن الوصول إلى الطفلة ظل صعباً حتى عليهم، وكانت ما تزال تقف على تلك الحافة عندما حل الظلام.

تجمع أسطول كامل من قوارب النزهات الصغيرة والكبيرة أمام شاطئ المحار، وألقت مراسيها أو تجولت وهي تراقب الدراما التي تتكشف على حافة الهاوية. انعكست أضواؤها في الماء الأسود. وهدرت محركاتها وأثارت الدوامات والأمواج في سطح الماء الهادئ. نادى الناس على بعضهم وعلى الطفلة التي وقفت هناك كما لو

t.me/ktabpdf مكتبة

أنها شُلّت وانضغطت على جدار الجرف بفعل كشافات البحث القوية.

على قمة الجرف تجمع حشد كبير من الناس. انتشرت الإشاعة عن العثور على طفلة في شاطئ المحار بسرعة. وقفتُ هناك في الأعلى مع عائلة غاتمان وحشد من الآخرين في نباتات الخلنج. في ومضات المصابيح اليدوية ميّزت وجوهاً كثيرة. كان الناس الذين تراهم عادة حول سارية منتصف الصيف وفي ساحات الرقص في الهواء الطلق وفي احتفالات يوليو في قاعة المدرسة. المجموعة ذاتها غير المتجانسة بحمق من ضيوف الصيف والمقيمين هناك طوال العام، وقد اتحدت لليلة واحدة بالشعور نفسه بالاجتماع والتوقع والاحتفال. كان ذلك غرائبياً.

حبس الجميع أنفاسهم عندما تمكنوا في النهاية من إنزال رجل إطفاء إلى الحافة الصغيرة، ثم سحبوه والفتاة بين ذراعيه إلى أعلى المنحدر. وعندما ساعدوهما في اعتلاء الحافة ثارت عاصفة من الابتهاج بين الناس الواقفين على الجرف، على الشاطئ، وفي القوارب في الأسفل.

عانقت كارين مايا وهي تبكي وتهتز، ثم حملتها على بعد ذراعيها أمامها لتنظر في وجهها. نظرت طويلاً إلى الطفلة كما لو أنها لا تصدق عينيها. تحققت المعجزة التي صلت من أجلها. عادت ابنتها إليها من بين الأموات، صحيحة وسليمة. مرّرت يديها على الجسد الصغير، على الوجه الغامق، واليدين، والشعر كما لو أن ما تشهده عيناها لم يكن كافياً وإنما عليها أيضاً أن تقنع نفسها باللمس بيديها.

"أهي أنتِ، يا مايا؟" سألتْ مرة بعد مرة.

وكانت مايا بالتأكيد. لم يكن ثمة شك في ذلك. كانت هي هي نفسها. وربما كان ذلك بالضبط هو الذي جعل كارين متشككة. إذا اختفى طفل على جزيرة صغيرة عند مشارف أرخبيل، ثم وجدوه مرة أخرى فوق حافة مستحيلة على اليابسة بعد ستة أسابيع، فإنك تتوقع أن ترى نوعاً من التغيير في الطفل. سوف يكون الطفل قذراً، جائعاً، مجروحاً، مصدوماً، وسيكون كل شيء ممكناً إلا أن يكون كما هو بلا تغيير على الإطلاق.

وسط كل تلك الفوضى من رجال الإطفاء، والشرطة، وضيوف الصيف

والمقيمين، والمحركات الصاخبة، والأصوات الصارخة ومصابيح اليد الغامرة، وقفت مايا، هادئة صامتة. كانت ترتدي الأوفرهول المخملي البني القصير نفسه الذي ارتدته عندما اختفت. كان نظيفاً تماماً، بلا أي بقع. كانت حافية القدمين، تماماً كما كانت عندما اختفت. كان شعرها ممشّطاً ومفروقاً في ضفيرتين على أذنيها. كان الشعر على الجزء الخلفي من رأسها مُشعثاً إلى حد ما بفعل الاتكاء على جدار الجرف، لكن المفرق كان مستقيماً. لم تصبح أنحف، لم تكن فيها قروح ولا إصابات في أي مكان. بدت بالضبط بالهيئة التي كانت عليها عندما رأيناها آخر مرة.

على الرغم من أن كارين صلّت وابتهلت من أجل هذا بالضبط -"رب أعد لي طفلتي، سليمة لم يمسسها شيء"- فإن عقلها لم يكن قادراً على تصديق أن دعاءها قد أجيب كما هو. واصلت يدها الحركة المتحسسة على جسد مايا. فتحت السحاب وأنزلت رداء مايا لتبحث عن الإصابات المحتملة. فركت يدي مايا وحدّقت عميقاً في عينيها السوداوين. بحثت وبحثت عن شيء لا يكون كما ينبغي أن يكون، عن علامة لم تكن هناك من قبل.

وأخيراً، عثرت على شيء في الحقيقة. مباشرة فوق حبات الكرز الأحمر لعقدة الضفيرة اليسرى، استقرت ريشة صغيرة ناعمة بلون الثلج. كان هذا كل شيء.

تجمّعنا في المطبخ من أجل العثور بسرعة على شيء لتأكله مايا. كانت رقائق الجبن، وكعك الشوكولاته، واللبن الرائب، ونصف علبة من البوظة، هي كل ما وجدناه. أعدت كارين لها المائدة وجلس بقيتنا حول الطاولة لنشاهدها وهي تأكل. تذوقت مايا كل شيء بطاعة، لكنها لم تكن تبدو جائعة. حملها آكي، وأخذها إلى غرفة النوم ووضعها في سرير كارين.

واصلنا أنا وأبناء عائلة غاتمان الجلوس والتحدث حول طاولة المطبخ ساعة أخرى أو نحو ذلك. كان الأمر كله محيراً. لم نستطع ببساطة أن نصدق الأمر. حقيقة أنها قد عادت. اعترفت آن ماري بأنها صلت لله كل مساء، ولذلك تشعر

t.me/ktabpdf مكتبة

الآن بأن هذا دليل على أن الله موجود حقاً، وأنه يسمع صلوات الناس.

كان الفجر قد بزغ تقريباً عندما ذهبنا للنوم أخيراً. وكنت على وشك دخول غرفة العلية والزحف إلى السرير بجوار آن ماري عندما سمعت باب الشرفة المفتوح في الطابق السفلي يصطفق في هواء النسيم الصباحي. نزلت لأغلقه.

كانت الطيور قد بدأت حفلها الصباحي، وتلوّنت الصخور على الجانب الآخر من الخليج بالوردي. وفي طريق عودتي مشيت عبر غرفة المعيشة. كان باب غرفة آكي وكارين مفتوحاً. كانا راقدين في السرير المزدوج ومايا بينهما. وكانا قد سحبا اللحاف ذي رسوم الماريميكو الكبيرة إلى الأعلى ولفاه حول أجسادهم.. رأيت الجسدين الراشدَين يتنفسان بهدوء في نومهما، لكنني رأيت في ضوء الفجر بياض عيون مايا يلمع في وجهها الغامق على الوسادة. كانت تستلقي هناك، مستيقظة، ساكنة وصامتة تنظر مباشرة إلى الغرفة.

عندما عدت إلى غرفة العلية وجدت أن آن ماري قد فصلت سريرينا بحيث عادا يقفان مرة أخرى عند الجدارين المتقابلين.

بعد بضع ساعات نهض تور وسيغريد. كانا هما أول من يستيقظ في المنزل عادة، ويعدان إفطارهما ويتناولانه في الشرفة. كانا نائمين خلال اضطرابات الليل ولم يفكر أحد في إيقاظهما، ولذلك لم تكن لديهما أدنى فكرة عن عودة مايا.

يمكنني أن أتخيل جلوسهما هناك في ضوء الشمس الصباحية تحت المظلة الصفراء، تور، مرتدياً قبعة القش، وسيغريد في واحد من فساتينها المنسوجة الفسيحة. وبينما ما يزال بقيتنا مستغرقين في النوم، كانا يحركان شايهما، ويكسران قمم بيضهما المسلوق نصف الناضج، وينثران الأنشوجة على طبق. كسر تور قطعاً من الخبز وألقى بها من درابزين الشرفة على صخرة مسطحة حيث تلتقطها النوارس. لم تحب سيغريد أن يفعل ذلك، ولذلك حاول أن لا يفعل. ولكنه استمر في ذلك كلما سرح ذهنه قليلاً.

"هل جلبتَ الصحيفة؟" أرادت سيغريد أن تعرف.

اعتاد تور المشي إلى صندوق البريد بينما تعد سيغريد الإفطار. أصبحت تلك

مهمة جديدة أضافها إلى عاداته الأخرى منذ اختفت مايا. قبل ذلك كانت مايا هي التي تركض خارجة من البيت لتجلب الصحيفة.

"كلا، أتريدين أن أجلبها؟"

نهض، لكن سيغريد وضعت يدها على ذراعه.

"اجلس. يمكنك أن تحضرها فيما بعد."

في تلك اللحظة خرجت مايا إلى الشرفة والصحيفة في يدها. وضعتها على الطاولة بجانب كوب شاي تور ونظرت في وجهه بعينيها الغريبتين الخاليتين من التعبير.

نظر تور إليها بدوره. بذل محاولة مرتجفة للنهوض لكن ساقيه خذلتاه، فغرق مرة أخرى في مقعده ثقيلاً أخرق. حاول جاهداً أن يتمسك بحافة الطاولة حتى أن كوبه انقلب وانسكب الشاي على الصحيفة وعلى سرواله البرمودا القصير وساقيه المليئتين بالعروق الزرقاء. خافت مايا وركضت عائدة إلى المنزل وصعدت الأدراج إلى العلية.

عندما استيقظتُ، رأيتها تجلس منحنية على أسفل سرير آن ماري. كانت تقفز صعوداً وهبوطاً بعض الشيء لتوقظ آن ماري، وعندما نجحت في ذلك قفزت بسرعة إلى الأرض ووقفت منتظرة.

سمعتُ سيغريد وكاترين تتحدثان بأصوات منخفضة نشطة في ردهة الطابق السفلي... بقي تور جالساً في مقعده على الشرفة، وعندما خرجنا كان قد انهار وانكب رأسه على الطاولة. كانت قبعة القش قد سقطت عن رأسه واتكأ وجهه على الصحيفة المبتلة. كانت عيناه مفتوحتين، لكن التعبير فيهما غريبٌ، ولم يجب عندما تحدثنا إليه.

اتصلت كارين وطلبت سيارة إسعاف. ورافقه آكي وسيغريد إلى المستشفى في أوديفالا. وعند الغداء اتصل آكي وقال إن تور سيبقى في المستشفى. لقد أصيب بسكتة دماغية.

لامت كارين نفسها على عدم تهيئة تور وسيغريد. لكننا عندما أُبلِغنا في وقت

t.me/ktabpdf مكتبة

متأخر من المساء عن فتاة صغيرة تقف على حافة الجرف، لم يعتقد أحد حقاً أنها يمكن أن تكون مايا. لم ترد كارين وآكي إثارة توقعات زائفة عند العجوزَين. وعندما عدنا بمايا كان الليل قد انتصف وكنا كلنا حائرين ومتعبين تماماً. اعتقدنا أن مايا ستكون متعبة بالمقدار نفسه وأنها ستنام طالما بقينا نائمين. نسينا أن حاجتها من النوم ضئيلة، وأنها كانت دائماً، مهما بقيت مستيقظة في الليل، تستيقظ عند الفجر وتنهض وتركض إلى الخارج. أتذكّر بياض عينيها الساطع في ظلام أول الفجر واعتقادي أنها لم تنم طوال الليل على الأرجح، وإنما استلقت هناك فقط بين جسدي كارين وآكي، دون حراك وفي الانتظار حتى سمعت صرير الأدراج تحت خطوات الجدين.

بعد بضعة أيام نُقل تور إلى مستشفى كارولينسكا وعادت سيغريد إلى شقتهما في فالهالفاغن حتى تتمكن من زيارته كل يوم. أصيب جانبه الأيمن بالشلل وفقد القدرة على الكلام. كان الطبيب الذي يعتني به ابن صديق لهما. وفي حديث طويل مع آكي أوضح أن تور ربما يتعافى. ولكن نظراً لحقيقة أنه في الثانية والثمانين من عمره، فإن الفرص ليست جيدة جداً.

لم تتحول عودة مايا إلى مادة للصحف بالطريقة التي يتوقعها المرء. كان كارين وآكي قد تعلما من الغزو الأول وقت اختفاء مايا. جربت كارين، التي عملت خلال حياتها كلها للصحف، للمرة الأولى، أساليب عمل مختلفة جداً من صحافة المساء. هذه المرة كانت مستعدة. أُبقيَت البوابات المفضية إلى المنزل مغلقة. وفُصل سلك الهاتف، وأُجبر كل فرد في الأسرة على الوعد بعدم التحدث مع الصحفيين.

بدا رجال الشرطة موجزين جداً في تعليقاتهم. كانت معلوماتهم مختصرة جداً ودراماتيكية بحيث لم تصلح لتكون مادة للصفحة الأولى أو للصفحتين الداخليتين المتقابلتين. ظهرت بعض المواد فقط في الصفحات الداخلية، وقالت إنه تم العثور على مايا ثانية، في حالة جيدة، وإن البحث عنها قد توقف... لم يكن في المقالات أي شيء عنها أو عن كيفية العثور عليها.

بطريقة ما، أقصت هذه الأخبار بعض الدراما المتصلة بالاختفاء. أعتقد أن الناس نظروا إلى الأمر كما لو أن الصحف بالغت في البداية، كما لو أنه لم يكن هناك اختفاء حقيقي على الإطلاق، وإنما نوع من النزاع على الوصاية فحسب، شجار عائلي يتضمن طفلة.

واستمر الصيف. قام طبيب بفحص مايا ووجد أنها لم تتعرض إلى أي أذى أو تحرش جنسي. وهي ظلت صامتة، لا يمكن الوصول إليها، مراوغة ومنضمة في هذا المزيج الغريب. ظلت بالضبط كما كانت دائماً. وربما أكثر حزناً بعض الشيء، وأكثر تأملاً.

في البداية، أمضت كارين الكثير من الوقت معها. جلست على الأريكة الزرقاء والبيضاء في غرفة المعيشة ومايا تقف أمامها. طرحت كارين عليها الأسئلة، واستها، مرّرت يدها على خديها، عانقتها. ووقفت مايا ساكنة. سمحت لها بأن تعانقها وانتظرت بتعبير فارغ ضجر على وجهها. وعندما تتعب كارين وتعتدل في جلستها بتنهيدة وابتسامة، ركضت مايا إلى الخارج أو إلى الأعلى حيث علّيّة آن ماري.

"كيف يمكن أن أساعدها عندما لا أعرف ماذا حدث لها؟" كانت كارين تقول.

جلسنا في المطبخ نشرب الشاي بعد أن وضعت كارين مايا في سرير غرفتها هي وآكي.

"إنها لا تحتاج إلى مواساة،" قال بينس. "لم ترد مايا أبداً أن يواسيها أحد."

"كانت في منزل أحدٍ ما، هذا واضح، بعد كل شيء،" تابعت كارين. "أحد أطعمها، ومشط لها شعرها وغسل ملابسها."

"أحدٍ وضعها على حافة الصخر على ارتفاع خمسة وأربعين قدماً من سطح الماء وتركها هناك،" قال آكي. "أحدٍ مجنون. كل الصحف نشرت صورتها على الصفحة الأولى. ولا بد من أن يكون هذا الشخص قد علم أننا نبحث عنها."

"أياً يكن، فقد بذل لها، هو أو هي، رعاية جيدة،" تمتمت كارين.

t.me/ktabpdf مكتبة

أزالت غطاء إبريق الشاي الدافئ المبطن وأعادت ملء أكوابنا. وبينما تسكب الشاي، وجدت ليز قطعة مطوية من الورق ملقاة على طاولة. لم يكن أحد منا قد رآها من قبل لأن إبريق الشاي كان يقف عليها.

"لم أعثر على حصيرة الفلين،" قالت إيفا معتذرة.

فردت ليز الورقة الملطخة بالشاي وتفحصتها وتغضن جبينها. انحنت كارين في اتجاهها وعدلت وضع نظارتها على أنفها.

"إنه شيء رسمته مايا،" قالت كارين. "إنها ما تزال ترسم. أعتقد أنها علامة صحية. جلست هناك على الدرجات اليوم ظلت ترسم لفترة طويلة. ممم. إنها الرسومات الصغيرة كالمعتاد."

انحنيا كلنا على الطاولة لنرى الرسم الذي تمسكه ليز في ضوء المصباح.

"ما هذا؟" تساءلت.

"إنها طيور،" قال بينس وأشار. "ألا ترون؟ منقار. أجنحة. طيور طائرة."

"غريب جداً. انتظروا، دعونا نرى إذا كانت أوراق أخرى ما تزال ملقاة على الدرجات."

ذهبت كارين إلى الدرجات وعادت وذراعاها ممتلئتان بكرات الورق المجعدة.

"لقد وجدتها. لقد جعّدتها ووضعتها بين الدرابزين والجدار."

أزاحت كارين إبريق الشاي ووضعت كرات الورق على الطاولة وفردتها. كانت كلها الشيء نفسه. الأشكال الصغيرة نفسها للطيور، بطول نصف بوصة إلى بوصة، في صفوف تتجول بانحراف صاعدة من أسفل يسار الورقة إلى يمين أعلاها. في بعض الأحيان غادرت صفوفها، وأصبحت أكثر ازدحاماً وتجمعت في مجموعة متشابكة من الأجنحة والمناقير المفتوحة.

"انتظروا" قالت كارين. "هناك المزيد من الورق تحت سريرها."

ذهبت إلى غرفة النوم وعادت بحزمة من صحائف الورق المغبرة.

"ورق آلتي الكاتبة. كيف حصلت عليه؟" تساءل آكي.

نشرتها كارين على الطاولة تحت المصباح. كانت كل ورقة مغطاة بالأشكال المرسومة بالحبر نفسها. طيور تقف، طيور تجلس وطيور تحلق. طيور تـدوّمُ في قطعان. طيور بالآلاف.

t.me/ktabpdf مكتبة

كريستينا

t.me/ktabpdf مكتبة

كان يوماً في نهاية أبريل. تمدّد البحر ساكناً سلساً. وكانت في الخارج تجمع الكنوز. مشت ببطء على طول حافة المياه وقد تعلقت سلتها على ذراعها. لم يكن فيها شيء.

عندما بدأت جمع كنوزها قبل عام، كانت تملأ السلة بسرعة. رأت الكثير مما هو جميل ورائع والتقطت كل شيء. لكنها أصبحت الآن أكثر انتقائية. قلّبت صدَفة ولم تلتقطها. حركت بطرف حذائها مخلب سرطان بحر كبير. كلا، ليست كل الأشياء رائعة. ثمة أشياء كثيرة تكون جميلة فقط حيث هي على الشاطئ، لكنها تصبح رتيبة وغير مثيرة للاهتمام تماماً في كوخها.

بحثت عن أشياء ما تزال تضم روح الحيوان أو النبات. يكون لتلك الأشياء صوت. وعندما تحملها في يدها وتقلبها، فإنها يمكن، في لحظات معينة، أن تتحدث إليها. حتى الحجارة يمكن أن تكون لها روح، حتى أنها يمكن أن تتكلم، وهو الشيء الذي اكتشفته مؤخراً فقط. كانت أصوات الأشياء خافتة تتمتم وتتوغل عميقاً في الروح، بحيث يجب أن يكون المرء خالياً تماماً من الأفكار والمشاعر حتى يدركها.

لم تعد للكائنات التي تجمعها حياة خاصة بها. لقد أصبحت بقايا، ذكريات. ولم تعد لها سوى أصواتها فقط. وقد أرادت هذه الأصوات من كريستينا أن تفعل شيئاً بالأشياء. أرادت منها أن تنضم إليها، أن ترسمها لتقيم لها صلات جديدة. وهي صنعت منها كائنات حيواتها الجديدة؛ سلميةً، سريةً ومركزةً. الكائنات أحبتها لأنها خالقتها، وهي أحبت الكائنات لأنها إبداعاتها.

لكن كل شيء صامت هذا اليوم، وسلتها فارغة. وصلت إلى الصخرة في نهاية

t.me/ktabpdf مكتبة

الشاطئ. جلست على حجر محاط بالأعشاب البحرية ونظرت إلى الجُزر. انتابها شعور بالأسف لأنها لا تستطيع الوصول إليها. كانت تلك شواطئ وصخوراً لم تكن قد زارتها أبداً، أشياءَ تتحدث لكنها لا تستطيع أن تسمعها. ووراء تلك الجزر، كما تخيلت، ثمةَ البحر المفتوح.

في تلك اللحظة تماماً، جاء صبي يجدف في زورق كاياك. ظهر فجأة من وراء الصخور، بصمت مطلق، كما لو أنه ليس بشرياً. يمكنك دائماً أن تسمع البشر المقتربين. أن تسمع خطواتهم، أصواتهم، تنفسهم، وحفيف ملابسهم. لن يساعدهم التسلل لأن الأشياء المحيطة بهم تسلّمهم وتكشفهم. الطيور على الأشجار، أو في العشب. كل شيء في الطبيعة يتغير عند وصول إنسان. لكن هذا الفتى ظهر ببساطة كما يظهر شكل جديد على لوحة فجأة، وهناك شيء غير واقعي تقريباً بشأنه.

كان قادماً نحو الشاطئ. جدف بقوة وانساب على الماء قاطعاً خطاً مستقيماً في سطح الماء، والماء ضاعف صورته. ضرب أسفل زورق الكاياك قاع اليابسة، وقفز الفتى خارجاً منه وجرّه على الشاطئ. جلسَت هادئةً تماماً وسط أعشاب البحر حتى أنه لم يرها. ونظرت إلى هذه التحفة البيضاء النحيلة، وافتتنت. مجرد صدفة فارغة، جراب حبة بازلاء فارغ؛ يمكن الانتقال عبر الماء في شيء بالغ البساطة.

بمجرد أن قفز من الزورق أصبح إنساناً. داست قدماه الرمال، ومسح العرق عن جبينه وشخر. لكن وصوله الصامت جعله خاصاً. لم تشعر بخوف منه ولا نفور.

تحدّثت إليه فاكتشفها وقفز. ربما كان يبلغ سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً. كان يرتدي سترة نجاة حمراء.

سألته عن الزورق. إذا كان من الصعب التجديف به، إذا كانت زوارق الكاياك مكلفة وأين يمكن شراؤها.

أجاب أن الأمر ليس صعباً جداً إذا تعلّم الواحد كيف يجدف، وأنها يمكن أن تشتري هذا القارب إذا كانت مهتمة. قال إنه ذاهب في رحلة ويحتاج المال.

"بكم هو؟" سألت.

قلّب وجهه كما لو أنه يركّز في عملية حسابية صعبة. ثم ألقى يديه في حركة مفتوحة واقترح مبلغاً.

طارت كريستينا ناهضة عن الحجر مثل البرق واندفعت راكضة على طول الشاطئ. تركت السلة.

"انتظرني هنا،" هتفت من فوق كتفها.

بعد خمس دقائق عادت بالمبلغ الذي طلبه. أخبرها كيف تجدف وشرحت له كيف يصل إلى محطة الحافلات. أخذ المال وسار مبتعداً عبر الصخور. وبعد أن مشى مسافة قصيرة، عاد وخلع سترة النجاة وأعطاها لها. ضحكا كلاهما، مندهشين من مدى سهولة الصفقة.

تبيّن أن التجديف أكثر صعوبة مما ظنّت. كان مجرد الجلوس بثبات في المقعد مستحيلاً تقريباً في البداية. سقطت في الماء المثلج مراراً وتكراراً وقررت تأجيل التمرين حتى يونيو. لكن جاءت بعد ذلك، فجأة، موجة حر وبدأت حرارة الماء ترتفع ببطء. تمرنت في الخليج.

عندما جاء الصيف أخذت تقوم برحلات أطول. غيرت إيقاع أيامها ونهضت عند الفجر. جدفت بالقارب وبقيت على مقربة من الساحل، على مقربة من المنحدرات. أمسكت بالطبيعة ساهية وفاجأتها على حين غرة بطريقة لم تفعلها من قبل أبداً. ظهرت قريباً جداً من طائر مالك الحزين الذي يجلس على رف جرف كل صباح. مد رقبته الشبيهة بالثعبان ونظر إليها بدهشة، وقبل أن يتمكن من الخوف والفرار، كانت قد ذهبت. بدت غير واقعية بالنسبة لمالك الحزين، تماماً مثلما بدا لها الصبي في تلك المرة. وفاجأت الناس أيضاً، الناس الذين وضعوا زوارقهم في خلجان صغيرة يتعذر الوصول إليها واعتقدوا أنهم وحدهم في العالم. يستحمون بالشمس عراة تماماً، يتبولون، ويمارسون الحب.

في أحد الأيام شاهدت حيوان المنك يسبح على بعد بضعة أقدام من الزورق. نظر إليها بانحراف بعيون سوداء لامعة. توقّفت عن التجديف وسافرا فترة قصيرة

t.me/ktabpdf مكتبة

على هذا النحو، جنباً إلى جنب، وأبقى المنك عينيه عليها كل الوقت وهو يسبح إلى الأمام مباشرة بمخالبه المدومة. وفجأة ذهب، كما لو أنه امّحى.

أصبحت تذهب بالزورق إلى المتجر بدلاً من الدراجة. وتكدّس الأشياء التي تشتريها تحت الدكة بجوار قدميها، بما أنه لم يكن في الزورق حيز للبضائع.

سافرت صعوداً وهبوطاً على طول الساحل وعثرت على شواطئ جديدة، ومروج جديدة، وصخور جديدة. وفي طريقها عائدة إلى البيت، كثيراً ما حملت المزيد من الكنوز. سترة النجاة تركتها في المنزل. استخدمتها في المرات القليلة الأولى لأن الصبي كان يرتديها وهو يجدف، لكنها شعرت الآن بأنها تريد أن تفعل ذلك بطريقتها الخاصة. مرات عديدة تخيلت وضعاً يدور فيه الزورق حول نفسه في دوائر، وتسقط هي في الماء وتفقده. لم تفزعها الفكرة. أن تناضل ضد الأمواج والبرد، وتصاب بالانهاك وتغرق في نهاية المطاف، كلا، لم تكن خائفة من ذلك. ستكون تلك طريقة جيدة للموت، ربما الأفضل.

غادرت الشاطئ وعبرت المياه إلى الجزر الأقرب. دارت حولها ورأت من جانب الجزر الآخر البحر المفتوح حيث يلتقي البحر بالسماء. واستطاعت أن ترى في البعيد جزراً صغيرة وصخوراً.

ذات يوم صيفي هادئ، بينما تهتز الحرارة فوق البحر ولا يكدر حتى أدنى نسيم سطح الماء، ارتدت البكيني وغادرت. جدفت إلى الجزر، تجاوزتها وواصلت مباشرة إلى جزر الصخور الصغيرة. وعند مسافة ليست بالقليلة صار بوسعها أن تسمع فعلياً زعيق الطيور هناك. وعندما وصلت وجدت أن من السهل تسلق اليابسة، وفوق الصخور المنحدرة.

أصبحت الجزر الصخرية الصغيرة مكانها المفضل، حتى ولو أنه لم يكن ثمة الكثير من الأيام الهادئة بحيث تستطيع أن تحمل نفسها إلى هناك. لم يكن هناك أي بشر على الإطلاق، وإنما الطيور فقط هي التي بنت أعشاشها هناك. عثرت على كميات كبيرة من الريش الناعم الذي جمعته في أكياس. وعندما تعود إلى المنزل بعد تلك الرحلات، اضطرت دائماً إلى غسل الزورق من عبث الطيور.

انتهى الصيف وجاء سبتمبر عاصفاً، لكن بداية أكتوبر شهدت بعض الأيام الصافية التي استرخى فيها البحر مثل الزجاج القاتم ونشرت الشمس شعاعات ذهبية على الماء، وإنما بلا دفء. استفادت من تلك الأيام أيضاً بقدر ما استطاعت. نهضت في الفجر، حملت بعض الشطائر وجدفت خارجة إلى البحر.

عاشت سعادة كأنها من عالم آخر. استمتعت بنصف جسدها الأسفل الضيق مثل الحربة، بالقرب من البحر، وبإيقاع المجاديف. لم تعد تتصور الوقت الذي كانت فيه بلا زورق، عندما سارت دائماً بأقدام ثقيلة على الأرض الصلبة. شعرت مسبقاً بالقلق من الشتاء الذي سيحرمها من هذه الطريقة الجديدة في التجوال. أم أنها قد تستطيع الاستمرار في التجديف؟ بعد كل شيء، استخدم الأسكيمو هذه الطريقة للتجوال في المناخ القطبي. مضى الشتاء الماضي بلا ثلج وربما يكون هذا الشتاء مثله أيضاً.

لكن عواصف الخريف وصلت بعد الأيام الصافية. وعندما انتهت، كان الجو شديد البرودة وماطراً وغير مضياف، حتى أنها قامت ببضع رحلات قصيرة فقط إلى أقرب الشواطئ قبل أن تحمل زورقها إلى البيت، وتضعه فوق زوج من جذوع الأشجار بجوار الحائط في الكوخ، وتغطيه بقماشة من القنّب.

بدلاً من التجديف، منحتها أيام الشتاء الكثير من الوقت لترتب مجموعتها. بدا كوخها أكثر شبهاً بورشة تضم مخزناً من الأشياء التي يجب العمل عليها.

كانت كل مساحة الجدار مشغولة بالرفوف التي صنعتها. على بعضها احتفظت بلقياتها. مرتبة في صناديق، تكدست العظام، والأسنان والقرون من مختلف الحيوانات. قطع الفراء من الأرانب، والصوف من الأغنام وشعر الخيل. كانت ثمة أصداف من الرخويات وبلح البحر. وأسماك نجم البحر المجففة وقنافذ البحر. ومخالب ودروع من المحار. قشر البيض. وكان هناك أيضاً قطع من الأخشاب الطافية، والأغصان، والجذور، والجوزات، والحجارة. نباتات مجففة، وفطر، وخنافس وفراشات ميتة. أعشاش طيور ودبابير.

كل هذه الأشياء استقرت في أماكنها وهي أبقتها في حالة جيدة.

t.me/ktabpdf مكتبة

شرعت أيضاً في القيام برحلات إلى البلدة لشراء اللوازم. علب صغيرة من الطلاء: أسود، أحمر، فضي وذهبي من متجر الهوايات. ضفائر وأطراف من مخزن الغزل. أسلاك نحاسية من محل الأدوات. أشرطة جلدية من محل الأحذية ورقاقات ألمنيوم من البقالة. كل هذه الأشياء حفظتها في صناديق وعلب كرتون مختلفة.

على رفوف أخرى وقفت إبداعاتها النهائية. أشكال غريبة تعطي انطباعاً مروعاً بالموت والفساد، بينما تنبض في الوقت نفسه بنوع من الحياة الباطنية التي لا يمكن بلوغها.

عند النافذة استقرت القطع الوحيدة التي لم تحرقها من الأثاث: المنضدة والكرسي. هناك جلست تعمل في الأمسيات المظلمة، ثم زحفت إلى عشها المنسوج من البطانيات والوسائد المفرودة على الأرض. وقبل أن تغفو، كانت تفكر بالزورق الذي يتخذ سريره قريباً جداً من فراشها. هناك نام ملفوفاً بقماشته عند الجانب الآخر من جدار الكوخ وقاسمها أحلام الصيف والبحر والطيور.

أولريكا

t.me/ktabpdf مكتبة

عندما عادت مايا، كان أسبوعان فقط قد تبقيا لانتهاء عطلة الصيف، أسبوعان قبل أن يأتي أبي ليأخذني إلى منزلنا في غوتنبرغ، أسبوعان حتى أبدأ المدرسة الثانوية في مدرسة جديدة تماماً وبأصدقاء جدد. سوف تعود عائلة غاتمان إلى ستوكهولم. لقد عادت مايا وسوف يعود كل شيء إلى ما كان عليه من قبل.

لكن الأمر لم يكن كذلك. ثمة شيء تغير. بدا أفراد العائلة الذين كانوا يعاملون مايا في السابق كمركز للعائلة وأنهم يسلكون طرقاً التفافية للدوران حولها. أصبحوا ينظرون إليها بعيون يعوزها اليقين، ويلمسونها بطريقة جديدة أكثر حذراً، على الرغم من حقيقة أنها عادت بالضبط كما كانت. في بعض الأحيان كنت أشعر بأن هذا الافتقار إلى التغيير بالتحديد، هذه اللامبالاة الخارقة وعدم القابلية للقهر، هي التي استراحت غير مرئية مثل جرة زجاجية حولها وفصلتها بشكل حتمي عن بقية أفراد العائلة.

واصلت اللحاق بنا أنا وآن ماري أينما نذهب، وتولد لدي شعور بأن آن ماري أصبحت أكثر ضيقاً بها وأكثر وداً تجاهها، بالتزامن، مما كانت من قبل. سمحت لها بأن تأتي معنا دائماً تقريباً، وعندما تريد منها فعلاً أن تتركنا بسلام، لم تعد تستخدم الأوامر القصيرة، وإنما عبارات التحفيز الطويلة المطنبة.

في إحدى الأمسيات كنتُ شاهدة على لحاق مايا بآكي في طريقه من سيارته إلى كوخ كتابته ومعه كيس مليء بزجاجات نبيذ الفينو تنتو التي اشتراها من البلدة. سارت خلفه على مقربة. وعندما وقف، وقفت هي أيضاً. نظرا إلى بعضهما بلا أي كلمة. واصل السير أسرع الآن وهي تبعته. وعند الجزء الأخير الأقرب إلى الكوخ

t.me/ktabpdf مكتبة

ركض والكيس الثقيل بين ذراعيه. تمكن من فتح الباب بكوعه. وقبل أن ينسلّ إلى الداخل ويغلق الباب نظر من فوق كتفه. استطعت أن ألتقط لمحة صغيرة فقط من التعبير المرتسم على وجهه. كان خائفاً من مايا.

قدمت لها كارين الطعام والرعاية، لكنها تخلت عن تعبيراتها العقيمة عن الحنان. أصبح التمسيد السريع على شعرها الأسود اللامع هو أقرب ما تصل إليه من العناق.

في السابق، كثيراً ما أجلس بقيتنا مايا في أحضانهم ونحن نجلس ونتحدث في غرفة المعيشة في الأمسيات. كانت تجلس هناك بلا احتجاج، وتستند إلى الصدر كما لو أنه ظهر كرسي مريح، وتنتقل طواعية إلى حضن شخص آخر عندما يضطر الذي يحملها إلى النهوض. الآن أصبحت تجلس وحدها على الأريكة الزرقاء والبيضاء محاطة بدائرة صغيرة من الفراغ.

كانت أشبه بحيوان صغير أعيد إلى أمه بعد أن لمسته يد الإنسان. كنا ننأى بأنفسنا عنها كما لو أنها تبعث رائحة من جنس غريب.

حصلت على نظارات شمسية بإطار بلاستيكي وردي اشتراها لها بينس من محطة وقود. كانت من نوع رديء بطبيعة الحال، وسقطت إحدى الزجاجتين فوراً وكان من المستحيل إعادة وضعها في الإطار مرة أخرى. لكن مايا أحبت النظارات وارتدتها كل الوقت بغض النظر عن الطقس، في الداخل والخارج على حد سواء. بدت غريبة فيها وقد تغطت عينها اليمنى بالعدسة الداكنة ولمعت عينها اليسرى ببياضها النقيض داخل الإطار الوردي الفاتح.

إذا كانت مايا قد تضايقت من جفاء الأسرة، فقد كشفت عن ذلك فقط بالقدر نفسه الذي تكشف به عن أي شعور آخر. كانت تجلس هناك في زاوية الأريكة مرتدية نظارتها الشمسية ذات العين الواحدة وترسم أشكالاً صغيرة مجنحة.

عندما قلت إن مايا لم تتغير، لم أكن مصيبة تماماً. في حقيقة الأمر، كان هناك تغيير، تغيير كنتُ قد نسيته تقريباً. ربما لم يكن شيئاً جديداً، ربما كان شيئاً حدث أننا اكتشفناه عندئذٍ فقط، لكننا رأيناه للمرة الأولى بعد بضعة أيام من عودتها.

كنا في الأسفل عند الشاطئ، نسبح، آن ماري وبينس وأنا. وجلست مايا عارية في الرمل مع دلوها ومجرفتها بينما بقيتنا يغوصون، واحداً بعد الآخر من الرصيف، ثم نتراشق بالماء ونتحدث. من وقت لآخر كنا نختلس نظرة إلى الشاطئ للاطمئنان على مايا. فجأة، اسقطت مجرفتها، وركضت عبر الشاطئ، ثم إلى الرصيف وقفزت. هبطت ناثرة الرذاذ في الماء العميق على بعد بضعة أقدام منا، واختفت للحظة ثم ظهر رأسها الأسود على السطح. ركلت وتخبّطت بخرق في الماء العميق بجوارنا خارجة إلى الشاطئ، مشت وجلست القرفصاء وواصلت الحفر والماء يقطر من ضفيرتيها. حدث الأمر كله بسرعة كبيرة حتى أنه لم يكن لدينا الوقت لنتصرف.

"لقد قفزت من الرصيف. لقد سبحت." قلتُ مندهشة.

لم يكن أحد قد رأى مايا تسبح من قبل أبداً.

"لقد سبحت وسبحت. بل إنها ركلت وتخبّطت بالأحرى،" قال بينس.

بينما كنا نقف على الحافة ونناقش المسألة، نهضت مايا، ركضت إلى نهاية الرصيف، وقبل أن يتمكن أحد من إيقافها، فعلت ذلك مرة أخرى. قفزت من الرصيف، وسبحت عائدة بطريقتها الغريبة إلى الشاطئ. وبعد ذلك أصبحت تفعل هذا في كل مرة نذهب فيها إلى الشاطئ، ونحن اعتدنا على ذلك.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان الوقت عصراً ودافئاً. استلقينا آن ماري وأنا في سريرينا نتحدث. كانت غرفتنا في العلية قد عادت نظيفة مرة أخرى وأصبح في الإناء على المكتب زهور طازجة. وجلس السريران في مكانهما الطبيعي.

كان شعر آن ماري الطويل مغسولاً حديثاً ومسرحاً ومتدلياً على كتفيها العاريين مثل ستارة من الحرير. عادت مسفوعة البشرة مرة أخرى، وتلألأت شفتاها بملمع الشفاه وتضوعت منها رائحة طازجة باردة من مزيل العرق. كان من المستحيل تقريباً تخيل أنها تعلقت بي قبل بضعة أسابيع فقط، غير مغتسلة وشعرها متعقد، ونشجت على رقبتي طوال ليالٍ.

ذهبت القصص المصورة. اعتقدتُ أن كارين تخلصت منها لأنها أصبحت شديدة القذارة وبالية بحيث لا يستطيع أحد آخر أن يستمتع بها، كما أنها ليست من نوع الأدب الذي توافق عليه العائلة. كانت تقبع مدفونة في زاويتها المعتمة تحت الدرجات، وتُستخرج فقط عندما لا يستطيع أحد أن يتعامل مع شيء أكثر تعقيداً، مثلما يكون الحال عندما يمرض طفل أو في الأوقات المطيرة. ما يزال بوسعي تذكر المغامرات التي فيها. الصور المرسومة بالأسود والأبيض ذات السطوح قوية الظلال والمنظورات المدهشة. الرجال بأفكاكهم الزاويّة العريضة والنساء كبيرات الصدور. ظلال البنايات الشاهقة على الأزقة الخلفية المعتمة وظلام الأدغال. عالم مظلم. لم أقرأ أبداً هذا النوع من الصحف، لا من قبل ولا من بعد. وكلما رأيتها الآن، فإنني أربطها دائماً بوقت اختفاء مايا.

كان ذلك آخر أسبوع لي في منزل عائلة غاتمان. اتصلت أمي بي مؤخراً لتعلمني

بأنني قُبلت في المدرسة الثانوية التي أطمح إليها، مدرسة في وسط البلدة حيث يمكنني قضاء فترات الغداء في مقهى في الميدان. كنتُ أخبر آن ماري عن كم كنت سعيدة بأنني قُبلت في تلك المدرسة.

"هل قبلوكِ في المدرسة التي تريدينها؟" سألتُ.

"نعم،" قالت. "لكنني لن ألتحق بها."

"أين ستذهبين؟"

"لا مكان. سوف آخذ إجازة تفرغ."

"ماذا تقصدين؟ هل ستبقين في المنزل"؟

"كلا، ربما آخذ عملاً مكتبياً."

في تلك الأيام كنا ما نزال "نأخذ" أعمالاً مكتبية.

"أو ربما أذهب إلى بلد آخر."

"إلى أين؟" تساءلتُ مندهشة تماماً.

"لا أعرف. ربما الشرق الأوسط. أعمل في شيء تطوعي مثل إيفا."

"لكنها ذهبت هناك خلال عطلة الصيف فقط."

"يمكنكِ أن تعملي هناك لسنة كاملة إذا أردتِ. ربما نذهب معاً. أو أنني سأذهب إلى إنجلترا أو فرنسا وأقيم عند عائلة. لم أقرر بعد."

"وماذا عن كارين وآكي، هل سيتركانك تفعلين؟"

"لن يوقفاني. يا للروعة، لا أرغب في الذهاب إلى المدرسة فحسب. بالتأكيد ليس إلى فرع العلوم مثل بينس. يبدو ذلك مروعاً. لا شيء سوى الحشو، والحشو، والحشو. لكن بقيت له سنة واحدة فقط، ولهذا سيواصل، كما أعتقد."

"أعتقد أن العمل المكتبي فكرة جيدة،" قلت متفكرة.

لم أكن أنا نفسي أستطيع أن أفكر بشيء كهذا أبداً. أن أؤجل الدراسة وأبدأ المدرسة الثانوية بعد سنة، أن أكون أكبر بسنة من كل الآخرين. سوف ستبدو كما لو أنك متخلف نوعاً ما. كنتُ مستعجلة. أردت أن أحصّل التعليم سريعاً. المدرسة الثانوية ثم الجامعة. كنت أتوق للجامعة. لم أتخيل تضييع وقتي في إجازة تفرغ. لم أرد

t.me/ktabpdf مكتبة

أن أخرج إلى العالم سوى خلال العطلات فقط.

"لكننا سنرى بعضنا بعضاً في الصيف المقبل، أليس كذلك؟" قلتُ.

"إذا كنتُ هنا."

"ألن تكوني هنا في الصيف القادم؟"

"كيف يفترض بي أن أعرف؟ ربما سأكون في الجانب الآخر من العالم. في أستراليا أو في مكان ما."

"ألم تتحدثي الآن فقط عن إنجلترا أو فرنسا؟ والشرق الأوسط؟" قلت مرتبكة.

"لا أعرف يا أولريكا. لا أعرف على الإطلاق. لن يُحدث ذلك أي فرق. أريد فقط أن أبتعد عن هنا ببساطة. لقد تعبت من كل شيء."

"لكن تانجيفيك هي أفضل مكان على وجه الأرض، وليس لأحد منزل جميل كمنزلكم."

"انسي ذلك."

آلمني ازدراؤها. كنتُ قد أُغرِمت بهذا المنزل.

ذات يوم، خلال الوقت الذي اختفت فيه مايا، مشيت وحيدة إلى كوخنا الصيفي. لم أكن قد ذهبت إلى هناك كل فترة الصيف.

كانت العائلة من بوراس قد تركت علامتها في المكان. وضعوا بركة بلاستيكية كبيرة مملوءة بالماء في المرجة، واشتروا أثاث حديقة جديداً تماماً وزرعوا حديقة خضار صغيرة في الحقيقة. على الطاولة ميزت القارورة الإسبانية الكبيرة التي تقف عادة في زاوية الغرفة الرئيسة وفيها بعض الجزر الأبيض المجفف. الآن أصبحت حوضاً مملوءاً بماء مخضوض وبعض الأعشاب البحرية ويسبح فيها حيوان من نوع ما.

رأيت المرأة من بوراس، التي كانت حاملاً بوضوح، جاثية على أربع في المسطح الأخضر وقد تعلقت بطنها الكبيرة فوق قمم ثمار الجزر. كانت منشغلة كثيراً حتى أنها لم تلحظني وأنا أقف هناك عند السياج.

سمعت أصوات أولاد، ثم ظهر ولدان صغيران من حول زاوية البيت. كان أحدهما يقود بينما جلس الآخر في عربة أبي القديمة ذات العجلات، قبل أن يطرحه

السائق منها بجوار البركة وهو يضحك.

تذكرت كم كان من الصعب على والديّ أن يجعلا شيئاً ينمو في تلك الأرض. تذكرت المساحات الفارغة المختفية تحت الأرض، التي ابتلعت حملاً إثر الآخر من التربة. ثم تأتي هذه العائلة وتزرع الخضراوات وتستخدم عربة أبي كلعبة. ربما ينتمون إلى جنس آخر أكثر خصوبة. أو ربما تكون الحقيقة ببساطة هي أن المساحات الفارغة تحت الصخور امتلأت أخيراً وأنهم جاؤوا تماماً في الوقت المناسب. خلال أقل من شهرين جعلت هذه العائلة من منزلنا بيتها أكثر مما فعلنا نحن في أي وقت. لم أستطع تخيل أننا سنعود إلى هناك أبداً.

وتبين أن حدسي صحيح. أمضى أبي المزيد من الوقت في العمل، وبعد أن اشترينا منزلاً في البلدة له حديقة، لم يعتقد والداي أننا نحتاج فعلاً إلى كوخ صيفي بعد الآن. وفي الشتاء التالي باعا الكوخ للعائلة من بوراس.

لكنني لم أكن أعرف بطبيعة الحال أي شيء عن ذلك عندما وقفتُ هناك خارج السياج. اختبرت فقط خليطاً غريباً من المشاعر. بحزن على شيء ما مفقود على الرغم من حقيقة أنني لم أمتلكه في الحقيقة قط. وبنوع من التأكيد على شيء كنتُ أعرفه دائماً: أنني لا أنتمي إلى هنا، ليس هذا مكاني.

استدرتُ عائدة إلى منزل عائلة غاتمان. وعندما رأيت المنزل البنيّ على التلة بين أشجار السنديان، امتلأ صدري بدفء العودة إلى البيت.

"يمكننا دائماً أن نكتب لبعضنا،" قلت لآن ماري.

"نعم، بالطبع، أنت تعرفين عني وعن كتابة الرسائل. لكننا سنبقى على اتصال. هذا أكيد."

يا له من تعبير مثير للاشمئزاز، "نبقى على اتصال." نظرت إلى آن ماري وهي مستلقية هناك في سريرها. كانت متمددة على بطنها وقد وضعت يديها تحت ذقنها وهي تبتسم لمسند الرأس. لكنها كانت ترى شيئاً آخر. شيئاً لم أستطع أن أراه بالتأكيد. لقد تخلّت عني بالفعل.

من الخارج سمعت صوت سيارة تتوقف. كانا ليز وستيفان اللذان جاءا من

t.me/ktabpdf مكتبة

البلدة في سيارة والد ستيفان. كانا في البلدة يبحثان عن مكان يعيشان فيه وتمكنا من العثور على شقة من غرفة واحدة في بيت سوف يُهدم قريباً في غوتنبرغ. ذلك ما كنتَ تفعله في تلك الأيام. كنت تذهب إلى البلدة وتحصل لنفسك على شقة أو على عمل مكتبي. كانت تلك شققاً بائسة، مملة، وأعمالاً قذرة، لكنه كان من السهل الحصول عليها. كانا يبحثان الآن عن أثاث وأدوات منزلية، ووعدتهما سيغريد بإعطائهما خزانة أدراجها هي وتور.

صعدت ليز إلى الطابق الثاني وألقت التحية على عجل. كانا مستعجلين للعودة إلى البلدة، حيث يترتب عليهما أن يأخذا مفتاحاً أو يتركاه في مكان ما. كان خداها متورّدين، وعيناها مشرقتين. وعندما أفكر في ذلك الآن، أدرك أنها كان يجب أن تكون حاملاً مسبقاً عندئذٍ، حتى لو لم تكن هي نفسها تعلم ذلك.

استلقينا آن ماري وأنا في سريرينا وسمعناهما وهما يناضلان لتحريك خزانة الأدراج على الأرضية في الأسفل. وعندما استطاعا إنزالها أخيراً عن أدراج البيت، جاء آكي من كوخ كتابته ليساعدهما. كان عارياً من الخصر إلى الأعلى وكان سرواله الخاكي القصير قذراً بشكل مقزز. راقبناهم من شباكنا المفتوح وضحكت آن ماري. كان آكي مخموراً تماماً بحيث لم يقدم أي مساعدة. وقف في طريقهما وتعلق بقطعة الأثاث الثقيلة أصلًا واختبر ستيفان وليز وقتاً عصيباً وهما يحاولان إيصالها إلى السيارة. وبجهد مشترك تمكنا من وضعها فوق السيارة وربطها. وفي كل ذلك الوقت ظل آكي يتسكع حولهما ويهذي مخموراً. وبمجرد أن انتهيا قفزا إلى السيارة، وصفقا الأبواب ولوحا بطريقة محمومة وغادرا.

في تلك اللحظة نفسها انحنى آكي على السيارة ليقول شيئاً من خلال النافذة المفتوحة، فألقِيَ به إلى الجانب وتدحرج على الأرض.

لم يتوقف ستيفان وليز. ربما لم تتسن لهما الفرصة ليلاحظا ما حدث، وربما لم يأبها فحسب.

نهض آكي على قدميه ببطء، قذراً والدم ينزف من سحجات على ذراعيه. وقف ساكناً هناك لحظة واستند إلى جذع شجرة بلوط. ثم نظر حوله، واكتشف

كوخ كتابته وتوجه إليه بخطواته المتعثرة.

ضحكت آن ماري بصوت عال. سمعها آكي وتوقف على الممر. استدار ونظر في كل الاتجاهات لكنه لم يتمكن من اكتشاف من هو الذي ضحك على ما يبدو. ولذلك واصل المسير والتجأ إلى كوخه.

بعد بضعة أيام جاء أبي وأخذني. كانت عائلةً جد مفككة هي التي ودعتني. جاء صديق ليزور آكي قبل بضعة أيام، وغادرا معاً إلى غوتنبرغ ليذهبا إلى البار وما يزال آكي غائباً منذئذٍ. وكانت سيغريد تقيم مع تور في المستشفى. كانت إيفا تبحث عن شقة في ستوكهولم وكانت ليز قد انتقلت بالفعل. كانت كارين وبينس وآن ماري فقط هم الذين ودّعوني بالعناق في الخارج.

كانت مايا تجلس على الدرجات. نظرت إليّ بعينها اليمنى غير المغطاة وانحنيت عليها.

"وداعاً يا مايا، آمل أن أراكِ مرة أخرى قريباً،" قلت وقبّلتها على خدها.

حدقت بي كما لو أنني عضضتها، وركضت داخلة إلى المنزل.

t.me/ktabpdf مكتبة

عدنا إلى البيت في غوتنبرغ والتحقت بالمدرسة الثانوية. استمتعتُ بالمدرسة. أخيراً بدأتُ أتعلم شيئاً مهماً. ذهب المتخلفون ومثيرو الشغب واستطاع المعلمون تخصيص وقتهم للتعليم بدلاً من الحفاظ على النظام. أصبح لديّ أصدقاء أكثر مما كان لديّ في أي وقت مضى.

في نوفمبر وصلتني صورة بطاقة بريدية من آن ماري. كانت في كاليفورنيا تعمل مقيمة في منزل عائلة سويدية. لم تكتب أي عنوان فلم أتمكن من إرسال أي رد. وبعد شهر وصلتني بطاقة في عيد الميلاد. كانت قد غادرت العائلة السويدية وأصبحت تعمل في مصبغة للملابس في تكساس. وبعد ذلك لم أسمع عنها أي شيء آخر.

لعدة سنوات بعد ذلك، استخدمتُ نوع المسكارا نفسه الذي استخدمته آن ماري. ليس لأنني اعتقدت أن بوسعي امتلاك رموشها الطويلة الغامقة بشكل طبيعي، وإنما كنوع من التأكيد على شعورنا بالوحدة. وارتديت أيضاً بلوزة كنت قد ورثتها منها، شيئاً صغيراً من القطن الرقيق. بدت البلوزة أفضل ما يكون عندما تكون مغسولة حديثاً لأنها تنكمش وتصبح ضيقة عندئذ. كانت حمراء نبيذية، وهو لون لم يوجد أبداً من قبل في خزانة ملابسي، لكنه كان لوناً ترتديه آن ماري كثيراً. لبست تلك البلوزة قدر ما أمكنني ذلك. وفي الشتاء، عندما يصبح البرد قارساً في مدرستنا القديمة، كنت أرتديها مباشرة على جلدي تحت واحدة من ستراتي المحبوكة والفانيلا السميكة.

كما قلت، استمتعت بالمدرسة كثيراً ولذلك لم أفكر بآن ماري بالمقدار نفسه

كما كنت أفعل في الشتاءات السابقة. تحرك حنيني إليها مبتعداً عن الطريق، وأصبح أقل وضوحاً. كنت أرتديه كما أرتدي البلوزة الحمراء النبيذية، قريباً من جلدي، تحت كل شيء آخر.

عندما اقترب الصيف، اقترح أبي أن نذهب إلى مايوركا. كانت تلك هي المرة الأولى التي شعر فيها أنه يستطيع إنفاق النقود في رحلة خارجية. عمل بكثافة لسنتين، في أيام الأسبوع والعطل على حد سواء، بلا يوم واحد من الراحة الحقيقية. والآن أنهى أطروحته حول أمراض اللثة، وحصل على العمل الذي طالما أراده منذ وقت طويل وقرر أن يقضي عطلة من عدة أسابيع يستريح فيها على أمجاده.

كانت مشاعري إزاء الذهاب إلى مايوركا مختلطة. كنت مسرورة جداً بأنني أستطيع الذهاب إلى بلد أجنبي وأن أكون قادرة على أن أختبر فعلاً واحداً من تلك الأماكن الغريبة التي رأيت صورها في كتيبات السفر. لكنني لم أرد أن أغادر في حال اتصلت آن ماري وذهبت هناك إلى تانجيفيك. لم أكن قد سمعت أي شيء منها باستثناء بطاقتي الصور. لم أكن أعرف إذا كانت قد عادت إلى السويد أم أنها ما تزال في أميركا. كنت أستطيع بطبيعة الحال أن أرفع سماعة الهاتف وأتصل بستوكهولم لأسأل. لكنه كان لدينا ميثاق غير مكتوب بأن لا نتصل ببعضنا هاتفياً قط. وإذا كانت قد عادت وأرادت أن تلتقيني، فإنها ينبغي، بعد كل شيء، أن تكون هي الطرف الذي يتصل. كانت مكالمة الهاتف المستحيلة أو الرسالة تلك هي ما كنت أنتظره، والسبب في افتقاري للحماس عندما اقترح أبي الرحلة. وقد قرأ أفكاري.

"إذا كانت عائلة غاتمان هي التي تفكرين بها، فلا تتوقعي الكثير. آكي وكارين يحصلان على طلاق. يبدو أنه يعيش هنا في غوتنبرغ مع امرأة ما. لن يذهبوا إلى تانجيفيك هذا الصيف على الأغلب. وأشك في أن أياً من كارين أو آكي يرغب في ذلك بالطريقة التي عليها الأمور، ولا تريد سيغريد أن تكون هناك وحدها الآن بعد أن رحل تور."

كان تور قد توفي خلال الشتاء، وقد قرأنا عن ذلك في الصحيفة. كما قرأنا أن ستيفان وليز أنجبا طفلاً. وبالإضافة إلى البطاقتين البريديتين، كانت تلك هي

t.me/ktabpdf مكتبة

الأخبار الوحيدة التي سمعتها عن عائلة غاتمان. كانت قصة الطلاق معلومة احتفظ بها أبي سراً. (ثم، من أين عرف عنها؟ ومن أين سمع عن امرأة آكي؟ من غير العادي بالتأكيد أن يعرف أبي هذا النوع من الثرثرة).

"أتصور أنهم سيبيعون ذلك البيت الكبير. يمكنهم أن يحصلوا على أي مبلغ مقابله، بالإضافة إلى الشاطئ والرصيف وكل شيء. أو يمكنهم تأجيره بطبيعة الحال.

وهكذا ذهبت إلى مايوركا، في رحلة سياحية جماعية، مع أمي وأبي. ذهبتُ إلى المراقص مع شقيقتين سمينتين من فالون، وسار في أذيالي سرب من الأولاد الإسبان الجميلين كلما سرت على الشاطئ. حسّن ذلك ثقتي بنفسي بشكل كبير، حتى اكتشفت أن الفتاتين السمينتين من فالون كانتا موضوعاً للنوع نفسه من الانتباه.. وحتى أمي، في قبعة الشمس السخيفة ولباس البحر من قماش البشكير والزهور الكبيرة عليه، حظيت بمعجب بنصف سنّها، والذي هتف بأشياء سارة بالإسبانية كلما سرنا في الممشى بجانب المقهى حيث يجلس عادة.

ذات مساء عندما كنا والداي وأنا نجلس في مطعم صغير فيه رقص فلامنغو سمعتهما يناقشان اختفاء مايا. أدرت مقعدي باتجاه الراقصين وجلست وظهري لأمي وأبي. كانت الأوركسترا تعزف وغنى عازفو الغيتار بصخب، ولذلك لم يعتقد والداي بأنني أسمع حوارهما على ما يبدو. لكنهما اضطرا حتى يسمعا بعضهما أن يرفعا صوتيهما وكان لديهما ما يكفي من المشروب بحيث لم يدركا كم كان صوتهما عالياً. على أي حال، سمعت أمي تقول إن اختفاء مايا كان غريباً وأن الأغرب منه هو وجود القليل جداً في الصحافة عنها عندما وجدوها. تمتم أبي بشيء واستطعت أن أرى من زاوية عيني أنه ينظر في اتجاهي. واصلت التحديق في راقصي الفلامنغو كما لو أنني مستغرقة تماماً في رقصهم الأحمق بينما كنت أحاول سماع ما سيجيب به أبي. قدم نظرية مدهشة، فقال إن آكي وكارين كانا يخططان مسبقاً للطلاق آنذاك، وأن اختفاء مايا جاء نتيجة لنوع من النزاع على الوصاية، أن آكي أخفاها مع حبيبته في غوتنبرغ، أو أن كارين أخفتها عند صديقة ما.

كان ذلك مجنوناً جداً حتى اضطررت إلى السيطرة على نفسي بمنتهى الجهد فلا أستدير وأضحك بصوت عالٍ. قبل اختفاء مايا كان زواج آكي وكاري رائعاً تماماً ومليئاً بالانسجام والمودة، بقدر ما أعرف بخبرتي المتواضعة. كان الحزن بسبب اختفاء مايا عميقاً جداً عند كليهما حتى استحالت عليهما النجاة منه. وإلى جانب ذلك، لا بد من أن يكون أبي قد نسي الطريقة التي وجدوها بها على تلك الحافة المستحيلة بجوار شاطئ المحار. هل كان أي منهما يستطيع أن يرتب عرضاً بتلك الخطورة؟ ولأي سبب؟

لم يكن عليّ أن أقول أي شيء لأن أمي أعربت عن الاعتراضات نفسها. لكنني أدركت من المواقف المنفصلة التي سمعتها أن أبي لم يصدق تماماً تلك القصة عن الحافة. كان قد سمعها فقط مني وشعر بكل وضوح بأنني أضفيت شيئاً من المبالغة المسرحية على الأمر كله.

أن لا يصدقك الآخرون هو أمر مهين بطبيعة الحال، لكنه لم يزعجني كثيراً. كانت تلك قصة يصعب تصديقها، كما ينبغي الاعتراف. عليك أن تختبرها كلها، بالحزن، والذنب، والأمسية الغريبة على الصخرة عندما رُفعت مايا على يد فريق الإنقاذ. كنتُ جزءاً منها، ولم يكن أبي وأمي كذلك. ولذلك أغفر لهما.

كانت تلك هي المرة الوحيدة التي سمعتهما يذكران فيها اختفاء مايا.

t.me/ktabpdf مكتبة

كريستينا

t.me/ktabpdf مكتبة

تدفع كريستينا الزورق إلى الماء. تتبعه بحذر على الصخرة المسطحة المنحدرة المغطاة بالطحالب الزلقة الحمراء الصدئة. تضع الحقيبة المملوءة بالريش الناعم على المقعد ثم تدفعها إلى زاوية تحت مقدمة الزورق. تصعد إلى الزورق هي نفسها وتدفع بالمجداف. تتبعها سحابة الطيور بعض الوقت. تبدو الجوانب السفلية من أجسادها البيضاء برتقالية بفعل شمس ليست مرئية بعد. البحر يتلألأ. العالم لم يعد رمادياً. تقترب من مجموعة من الجزر الأكبر، وعندما تصل أولاها تنهض الشمس. تغوص بضعة طيور من خطافات البحر هابطة نحوها وقد فتحت مناقيرها الحمراء عن آخرها وكأنما هي سمكة يمكن أن تبتلعها الطيور.

تتعقب خطوط الجزيرة الصغيرة. في داخل الجزيرة بجوار الخليج ترى معسكراً كاملاً من الخيام الملونة، حمراء وزرقاء وبرتقالية. شكلها قبيح. تكره هذا النوع من الألوان المتوهجة. على الشاطئ قوارب مسحوبة، ورماد نار مخيم، وعلب بيرة فارغة ومناشف ملطخة بالرمال.

تجلس ساكنة هناك وسط ماء الخليج بينما ينجرف زورقها ببطء في الماء الهادئ، وتتأمل المشهد. كثيراً ما جاءت هنا إلى اليابسة في هذه الجزيرة. لها شاطئ صغير يسهل عليه سحب الزورق الصغير. وهناك الكثير من أعشاش الطيور وكثيراً ما جمعت الريش وقشر البيض من هنا.

ترى قماش إحدى الخيام يتحرك. يزحف شيء ما خارجاً من الفتحة. هل هو كلب؟ كلا، إنه يقف الآن. إنها طفلة. بنت صغيرة ذات شعر غامق وضفائر سوداء مشعثة. تحدق بنصف إغماضة في ضوء الصباح ثم تركض إلى الشاطئ. بخرق تفتح

t.me/ktabpdf مكتبة

سحاب أوفرهولها وتنزله. تجلس القرفصاء وتتبول في الرمل. تقبع كريستينا ساكنة في الخليج وتنظر إلى ظهرها المنحني العاري.

تقف البنت الصغيرة وترتجف. الصباح شديد البرودة. والشاطئ قابع في الظل. لم تكتشف الزورق. ببعض الصعوبة تتمكن من قلب الأوفرهول. تنفضه من الرمال وترتديه مرة أخرى. تبدو وكأنها تريد أن تفعل كل شيء بنفسها حتى ولو أنها صغيرة جداً. لم توقظ أياً من الراشدين في الخيمة ولم تطلب مساعدة من أحد.

تجرف الأمواج الزورق أبعد إلى داخل الخليج. ترى كريستينا البنت الصغيرة أفضل الآن. الأوفرهول البني الناعم، وشعرها الأسود الناعم الأشعث الذي بدا مثل لِبدة.

تشعر كريستينا بشيء يتحرك داخلها. مثل عويل، أو توق مبحوح، يندفع عواء صامت تماماً خارجاً منها. لكنه مجرد شعور وحسب. تجلس ساكنة تماماً بينما تضرب الأمواج جوانب الزورق بنعومة.

ومع ذلك، لا بد من أن تكون الصغيرة قد سمعت الصوت. تتوقف في طريق عودتها إلى الخيمة، تستدير وترى كريستينا. تظلل عينيها بيدها. ضوء الشمس المنخفضة يعشيها. ببطء تشرع في السير عائدة في اتجاه الشاطئ.

تشعر كريستينا بأن شيئاً ينسحب من جسدها الذي أضناه الشوق، مثلما يُنتزع محتوى محارة برتقالي وردي من صدفته. ذلك الشيء الناعم الذي بلا شكل، ذلك المركز الصغير الصلب —القلب– الجزء الوحيد المتماسك بما يكفي لتمرير صنارة عبره. تقف الطفلة على الشاطئ وتراقبها بثبات.

"بمجرد أن تقول أي شيء سوف أذهب،" تفكر كريستينا، "بمجرد أن تقول لي مرحباً أو تنادي والديها من الخيمة."

لكن البنت الصغيرة لا تصدر أي صوت. احمرّ ماء الخليج بنور الشمس المشرقة حديثاً ورسمت الأمواج شبكة من الظلال الراقصة على جانب الزورق الأبيض.

الزورق يتأرجح ويقترب. تنظر كريستينا والبنت إلى بعضهما. والماء يتلألأ بينهما.

البنت الصغيرة ترفع ساقي الأوفرهول وتخوض داخلة في الماء... تحرك كريستينا المجداف بنعومة في الماء وتنزلق مسافة صغيرة جداً إلى الداخل. الآن أصبحتا متجاورتين تماماً.

البنت الصغيرة كامدة وبنية اللون وقد أحاطت خرزات حمراء فاتحة بضفيرتيها المشعثتين. ما الذي يمكن أن تفعله هذه الحيوانة الصغيرة البنية في هذا المكان، مع الناس في تلك الخيام المتوهجة؟ لا يبدو أنها تأبه لشأنهم أبداً، لا تنظر إلى الوراء، لا تناديهم. كلا، إنها لا تنتمي إلى هناك.

القطرات تنزلق على نصل المجداف، ترتجف وتسقط في الماء. البنت الصغيرة تمرر يدها على الزورق وتنظر إلى كريستينا. لوهلة تتساءل كريستينا كيف تسحبها إلى القارب دون أن تجعل الزورق ينقلب. أين ستجلس؟ ثمة متسع لشخص واحد على المقعد. تهبط إلى الماء، تلتقط الطفلة الصغيرة، وبذراعيها حول عنقها، تتسلق عائدة بها إلى القارب وتجلس. البنت الصغيرة تسترخي وتتعقب حركاتها بهدوء حتى تنجح في مهمة الموازنة الصعبة. تجلس الصغيرة في حضن كريستينا ووجهها إليها، وقد التفت ساقاها حول خصر كريستينا. هناك متسع لشخص واحد فقط، وها شخص واحد فقط. كائن مفرد كبير. تجلسان هناك، صدراً إلى صدر وينبض قلباهما كل مقابل الآخر.

تجدف كريستينا خارجة من الخليج. وعندما تدور حول الجرف الناتئ تستدير وتنظر في اتجاه اليابسة.

الخيام الملونة ترقد هادئة نائمة.

لم يرهما أحد

t.me/ktabpdf مكتبة

أولريكا

t.me/ktabpdf مكتبة

كان صباح سبت. لم يكن يفترض بي أن أمرّ لأحضر الولدين قبل عصر الاثنين. ترتيباتنا الاعتيادية هي أن يوصلهما أندرس إلى المدرسة صباح الاثنين، ثم أُقلّهما أنا من المركز الترفيهي بعد الظهر.

استيقظت مبكراً، وكان أول شعور صادفته حالما فتحت عينيّ هو المفاجأة. عادة ما أستيقظ مبكراً وحدي بلا مساعدة المنبه. وقد نسيت أن أسدل الستائر في الليلة الفائتة وسقط شعاع مائل إلى الحمرة من شمس أشرقت حديثاً على أبواب خزانتي البيضاء.

عندئذ تذكرت زيارة حانة ميكي في الليلة الماضية، وأدركت أنني شربت من الكحول أكثر مما ينبغي، وأن ذلك هو السبب في استيقاظي مبكراً جداً، وليس النوافذ غير مسدلة الستائر.

عادة ما أنام، مثل الآخرين، حتى وقت متأخر بعد هذا النوع من الأمسيات. وإنما يكون نومي خفيفاً جداً بحيث أصحو من وقت لآخر أثناء الليل، ثم أكف عن محاولة معاودة النوم عند شروق الشمس وأنهض، كاملة اليقظة ومليئة بالطاقة. أقوم بالتنظيف، أهرول، أذهب إلى السباحة وأخدع الجميع، بمن فيهم أنا نفسي. وبحلول الرابعة أو الخامسة عصراً، أنهار وأنام مثل جثة هامدة أربعاً وعشرين ساعة. الآن أجدني مستيقظة تماماً لأنني لم أستغرق في النوم فعلياً. كانت الحفلة ما تزال مستمرة في داخل جسدي، ولم تكن أحلام الليلة من نوع الأحلام حسنة التوجيه التي يصنعها النوم العميق، وإنما مجرد سياقات غير منتظمة، متقطعة وسريعة، مثل إعلانات عن منتجات مختلفة كلياً.

t.me/ktabpdf مكتبة

أخذت حماماً سريعاً وتناولت فطوري، شريحة من خبز القمح المحمص قليلاً مع جبن القريش المنزلي، والبندورة والريحان، وعصير البرتقال والقهوة. من الشارع سمعت صوت محرك شاحنة قديمة ثقيلة، وشعرت فجأةً كما لو أنني في بلد آخر، وأنني صحوت باكراً لأنني في طريقي لارتياد مكان ما.

ولِمَ لا؟ لماذا لا أكون في طريقي إلى مكان آخر؟ سيارتي في الشارع مليئةٌ بالوقود، وليس عليّ أن أعود حتى عصر الاثنين. وأستطيع أن أتدبر أمر القيادة إلى كوبنهاغن، وحتى أبعد.

لكنني لم أرد الذهاب إلى كوبنهاغن. غسلت حملاً من الملابس في غرفة الغسيل، وأخذت جولة طويلةً مشياً حول الحديقة العامة وأنا أنتظره. صنعت لنفسي غداءً جيداً بينما الغسيل يجف. وفي الوقت الذي أخرجت فيه الغسيل الجاف من الغسالة، كنت قد عرفت أين أريد أن أذهب.

جعلتني سياقات الحلم المخمور الذي رأيته خلال الليل أرى المكان. كنت قد ذهبت إليه مؤخراً مع الولدين، لكنّه ظهر في حلمي مرة مختلفة. البيت الذي وجدناه فارغاً ومهجوراً قبل أسبوع، كان في حلمي مشغولاً بالناس الذين عاشوا هناك ذات مرة.

غمرني فجأةً توق طاغٍ لا يقاوم إلى النظر كرّةً أخرى عبر نافذة الشرفة، وأن أمسح بعيني خزائن المطبخ الزرقاء، والأرائك المقلمة، واللوحة ذات السفينة، ومصباح الظل، والكرسي الهزاز الأبيض بحشيته الشرقية. بدا وكأنني لم أر ما يكفي في المرة الماضية. لم أكتف. أردت أن أراه مرة أخرى، بدون الأولاد، بهدوء وسلام.

كان الطريق السريع لي وحدي تقريباً فقُدت بسرعة، كما لو أن البيت قد يختفي إذا وصلته متأخرةً. ركنت سيارتي تحت شجرة البلوط الكبيرة. كان الطقس معتدلاً، والأشجار ما تزال خضراء، لكن يمكن تخمين أنه الخريف. جعل الهواء الصافي والظلال الحادة المحيط مميزاً بطريقة سريالية تقريباً.

هذه المرة لم أر سيارةً مصطفة في الجوار أيضاً.

صعدت الدرجات المتخذة من الجذوع. درت حول المنزل وعلى الدرجات إلى الشرفة. وقفت ساكنة بعض الوقت وظهري إلى حائط المنزل لأتمتع بالمشهد عبر الخليج، مندهشةً قليلاً من كونه خلاباً، وهي حقيقة يبدو أنني لم أقدرها جيداً عندما كنت صغيرة.

لم يكن النظر من خلال النافذة خبرة مربكة بالمقدار نفسه هذه المرة لأنني كنت مستعدة. وبينما وقفت هناك وأنفي على زجاج النافذة مثل طفل على زجاج متجر للألعاب. فكرت فجأة بالصَّدَفة.

لا أعرف من أين جاءت تلك الرائحة، ذلك الضوع من أعشاب البحر المتعفنة المحبوسة في البحر والسمك القديم، والإسفلت، رطبة قاتمة، لكن هذه هي الطريقة التي بدت عليها الرائحة دائماً تحت الشرفة. كانت رائحتها هكذا عندما زحفنا آن ماري وأنا على الصخور هنا في أول صيفٍ لعبنا فيه معاً، ورأيت وجهها مقلماً بالضوء الساطع الذي نفذ عبر الشقوق في الأرضية. هكذا كانت الرائحة عندما كنا نختبئ لنتجسس على شقيقتيها الكبريين وصديقيهما، وبين فترة وأخرى عندما توجَّب الزحف إلى هناك للبحث عن سكين أو قلم رصاصٍ سقط بين الألواح. أو في مرة كل فترة طويلة عندما تجد المنزل مغلقاً ويتعين عليك أن تجلب المفتاح من تلك الصدفة الكبيرة تحت الشرفة وتقطع كل الطريق إلى الأساسات الحجرية. وما تزال الرائحة كذلك الآن أيضاً عندما ركعت على أَربعِي على الصخرة الرطبة الباردة وحاولت أن أكيِّفَ عيني على الظلام في الأسفل هناك.

رأيت بعض أطواق الشباك، ومجرفة أصداف وقفصاً لصيد السرطانات. من هذه الأشياء انبعثت رائحة السمك القديم، بطبيعة الحال. وهناك، مغطاةً بطبقة مخضرة رقيقة من الطحالب، وإنما متماسكة غير متضررة وما تزال قطعة واحدة، استقرت الصدفة الكبيرة في مكانها المعتاد. جاءت في الأصل من ساحل أجنبي ما، على الأغلب. التقطتها وهززتها بحذر. سمعت صوت خشخشة أجوف، ومن داخلها الباطني الصوفي المبطن باللؤلؤ انزلق مفتاح إلى يدي.

t.me/ktabpdf مكتبة

بدا أن المفتاح لم يستخدم منذ فترة طويلة. ترتب عليّ أن أكشط طبقة من الصدأ قبل أن أتمكن من وضعه في قفل الباب الأمامي. لكن بمجرد أن أصبح هناك، دار بسهولة. وعندما وضعت يدي على مقبض الباب، توقفت لحظة وأنصتّ. كان كل شيءٍ صامتاً تماماً. لا صوت محرك من سيارة ولا من قارب. لا خطوات أو أصواتاً من داخل المنزل. دفعت المقبض إلى الأسفل ودخلت.

كان شعوراً فائقاً محلقاً مثل الحلم صاحبني وأنا أتجول في هذه الغرف التي بدت بالضبط كما كانت قبل أربعةٍ وعشرين عاماً. طفت الذكريات صاعدة من عبق كل شيء. بعضها قوي جداً حتى أنني اضطررت إلى الدفاع عن نفسي؛ هاجمتني الأشياء بمجموعة كاملة من الأحداث، والأصوات، والمشاعر المدومة. وثمة أخريات أضعف، غير محسوسات تقريباً، بحيث أرسلن قشعريرة خفيفة فقط في مكان ما عميق في داخلي.

بعد فترة قصيرة غادرني الشعور باللاواقعية. اكتشفت أن بعض الأشياء تغيرت فعلاً. اختفت قطعة أثاث أو اثنتين، لكنني لم أستطع أن أعرف أيها حقاً، كما أن كل تلك الأشياء الصغيرة التي تنتشر سريعاً في مكان يعيش فيه أناس، كانت قد ذهبت هي الأخرى. أصبحت الغرف مؤثثة بطريقة أقل كثافة، وأصبح هناك المزيد من الحيز وأدركت أن ذلك هو الذي أعطى المنزل شخصيته الشبيهة بالحلم.

لم يكن أي شيء مفقوداً من غرف سيغريد وتور سوى خزانة الأدراج الكبيرة التي أنزلها ليز وستيفان على الأدراج في تلك المرة، ولوحة أتذكر أنها كانت أثمن كثيراً من أن تُعلق على جدار منزل صيفي فارغ.

الوكر الصغير في العلية، الذي كان ذات مرة غرفة آن ماري، أصبح مليئاً بالقمامة. لكن غرفة الفتاتين الكبيرتين، الغرفة التي أصبحت لي ولآن ماري في ذلك الصيف الأخير، ظلت تماماً كما هي. بهتت ألوان المفارش ذات الزخارف البيضاء والزرقاء بفعل الشمس. نزعت غطاء السرير المحاذي للجدار البعيد، الذي كان لآن

ماري. تحت المفرش، كان الفراش المصنوع من غطاء مريح أبيض وملاءات من النوع الذي يستخدم في الفنادق. هل كان موجوداً مسبقاً آنذاك؟ لم أستطع أن أتذكر. على أي حال، بدا الفراش جديداً تماماً، مشرقاً، أبيض ناعماً كأن أحداً لم يستخدمه مطلقاً.

عندما وقفت هناك بجوار السرير، أدركت فجأةً كم أنا متعبة إلى حد رهيب. نظرت في ساعتي، و...نعم، كانت تشير فعلاً إلى الخامسة إلا عشر دقائق، بالضبط الوقت نفسه الذي عادة ما أضطر فيه إلى دفع ثمن الوقت الذي أمضيته مستيقظةً واقترضته بالدّين. ومثل غولديوكس في بيت الدببة الثلاثة، انسللت إلى السرير غير المألوف. لاحظت أن وعاء أصداف المحار ما يزال معلقاً في النافذة وأغلقت عينيّ.

قبل أن أستغرق في النوم، رأيت آن ماري وفمها المملوء بالكرز. كان فمها الجميل عابساً، بصقت ثلاث بذور وضحكت. وطفت ظلال خضراء على جبينها ووجنتيها.

t.me/ktabpdf مكتبة

كريستينا

t.me/ktabpdf مكتبة

بدت الفتاة الصغيرة مدركة لكونها تعيق حركات كريستينا. ضغطت نفسها على كريستينا. أسندت وجهها إلى عنقها وجعلت نفسها مسطحة وصغيرة قدر الإمكان. في البداية شعرت كريستينا بأن عضلاتها مشدودة، لكنها سرعان ما استرخت وتبعت إيقاع المجذاف، متأرجحة من جهة إلى أخرى. أصبحت سترة كريسيتنيا دافئة ورطبة من تنفس الصغيرة الهادئ. نظرت كريستينا إلى وجهها تحت الشعر الأسود. كانت عيناها مغمضتين، وفمها مفتوحاً قليلاً. أغفت الفتاة الصغيرة على صدرها.

وبينما تسير عائدة من الشاطئ والطفلة بين ذراعيها، نظرت في وجهها. ينبغي أن تنظر إليها عن قرب حتى تلاحظ تقاطيعها، كانت شديدة السمرة. وكان أنفها منحوتاً جيداً، وحاجباها كثيفين. كم يمكن أن تكون سِنُّها؟ عامان؟ ربما ثلاثة؟

كانت الشمس عالية في السماء الآن، لكن داخل الكوخ كان ظليلاً وبارداً. كانت كل النوافذ مغطاة بالبطانيات. أحبت كريستينا لمعان الشمس على الماء واللعبة التي تلعبها أوراق الشجر مع الضوء، لكنها لم تكن تحب الشمس داخل الكوخ. كان العمل بأشيائها أفضل في الظلام أو تحت ضوء المصباح. كانت الشمس تؤثر في سطوحها بطريقة ما، فتبدو مغلقة، وكأنها تحمي نفسها خلف غشاء.

وضعت كريستينا الصغيرةَ بحذر بين البطانيات على الأرض واستلقت بجوارها. عبقت البنت برائحة الشمس والملح. كان الليل ما يزال مخيماً عندما نهضت كريستينا. أدركت الآن كم هي متعبة بعد التجذيف كل هذه المسافة الطويلة. غطت في النوم وقد غمرت وجهها في شعر الفتاة.

t.me/ktabpdf مكتبة

خلال نومها، ظلّت واعية كل الوقت لقرب الصغيرة منها. أنفاسها، وعبير شعرها، وبشرتها الناعمة.

عندما استيقظت، كان اليوم قد انتصف. سطعت الشمس مشرقة ونفذت من الشقوق بين البطانيات، راسمة خطوطاً بيضاء على الأرضية. أزت ذبابة عالقة بين إحدى البطانيات والنافذة. كان المكان دافئاً وقد التصقت ذراع كريستينا المتعرقة بكتف الصغيرة.

كانت جائعة. وبينما واصلت الصغيرة نومها، أعدت بعض الطعام من عجة البيض، والفطر المشوي، والطماطم، وبعض الجبن والخبز. أدارت المقعد بحيث أصبح ظهرها للمائدة، وجلست وطبقها في حضنها. أكلت وهي تنظر إلى الصغيرة.

استيقظت الصغيرة. لمع بياض عينيها في الظلام داخل الكوخ. استلقت لفترة طويلة هناك ساكنة تماماً، وعيناها مثبتتان مباشرة إلى الأمام. ثم جلست، وحكت شعرها الأشعث ونظرت إلى كريستينا.

توقفت شوكة كريستينا في منتصف المسافة بين طبقها وفمها. جلست ساكنة تماماً، كما تفعل دائماً كلما لمحها غزال. ما الذي ستفعله الصغيرة؟ هل ستشرع في البكاء؟ كلا. قفزت من الفراش، خطت بضع خطوات حول الغرفة. كانت تعابيرها مندهشة، متسائلة.

وضعت كريستينا شوكتها وطبقها على المائدة ببطء. أشارت بيدها للطفلة لتأتي وأرتها المقلاة والعجة فيها. نظرت الفتاة إلى المقلاة، لكنها لم تأت. تجولت في أرجاء الكوخ بخطى وئيدة حذرة. توقفت ونظرت طويلاً إلى إبداعات كريستينا. تفحصت كلا منها على حدة. في بعض الأحيان مدت يدها وكأنها تريد أن تلمس إحداها، لكن أصابعها توقفت في الهواء كما لو أن شيئاً ردعها، فتراجعت بإجلال.

بعد نصف ساعة، بدا وأنها أنهت فحصها، ذهبت إلى كريستينا التي وقفت وقدمت لها الكرسي الوحيد. بدت الصغيرة وكأنها لم تلاحظه. رفعت طبق البيض المخفوق الذي أصبح بارداً الآن والخضراوات التي سكبتها كريستينا لها، وحملته

إلى كومة البطانيات، وجلست هناك وبدأت تأكل وهي تنظر كل الوقت إلى مصنوعات كريستينا.

أشارت الساعة على الجدار فوق الثلاجة إلى الثالثة إلا ربعاً. فكرت كريستينا بزورق الكاياك. لم تكن قد سحبته كل المسافة اللازمة، وإنما دفعته قليلاً فقط لأنها تحمل الصغيرة بين ذراعيها. سوف يعلو المد في غضون ساعات وربما يحمل الزورق معه إلى البحر. عليها الذهاب للعناية بأمره.

"ابقي هنا،" قالت للصغيرة. "يجب أن أذهب لأسحب الزورق إلى الشاطئ. سأعود سريعاً."

تذكرت أن لديها كيساً من الخوخ في الثلاجة. وضعت الثمرات في طبق على الأرض بجانب الصغيرة.

"كلي شيئاً،" قالت.

لم تجب الصغيرة وقررت كريستينا أنها لا تفهم السويدية.

"سأعود حالاً،" كررت، آملةً أن يمنع الخوخ الفتاة الصغيرة من المغادرة.

ركضت إلى الشاطئ، وسحبت الزورق مسافة آمنة عن الماء، واندفعت عائدة إلى الكوخ.

وجدت الصغيرة جالسة حيث تركتها. كانت تأكل خوخة وقد سال عصيرها على ذقنها.

لاحظت كريستينا وهي تمسح وجه الصغيرة بمنديل ورقي أن يديها ترتجفان. كانت متقطعة الأنفاس بسبب جريها من الشاطئ. كانت شديدة القلق من احتمال فقدان الزورق، وعندما كانت بعيدة، قلقت من احتمال فقدان الصغيرة.

جلبت كريستينا مشطاً، وأرخت الرباط المطاطي بالخرز الأحمر بلطف، وبدأت بتمشيط شعر الصغيرة. استغرقها ذلك وقتاً طويلاً لأن شعرها كان متشابكاً جداً، وخشيت كريستينا أن تسحبه بقوة. شيئاً فشيئاً ومن الأسفل إلى الأعلى حلّت العقد ولم يصدر عن الصغيرة أي صوت احتجاج. ثم فرقت شعرها، وصنعت لها

t.me/ktabpdf مكتبة

بمساعدة أربطة الخرز ضفيرتين مرتفعتين.

كيف ستتمكن من الاحتفاظ بها؟

كانت مهتمة بوضوح بمصنوعات كريستينا. أرتها كريستينا محتويات صناديقها. وضعت في يد الصغيرة قشرة بيضة، وجعلتها تحملها. أخبرتها بأنها جلبتها من جزيرة صخرية صغيرة بعيدة في عرض البحر.

"يمكنك أن تعيديها إلى مكانها الآن. كلا، في الواقع، لماذا لا تضعيها على الرف. أريد أن أنظر إليها لبرهة. أترين العش والزغب الصوفي فيه؟ ضعيها هناك، على الصوف."

فعلت الصغيرة ما طُلب منها تماماً وأدركت كريستينا أنها تفهم السويدية. جلست إلى المائدة وبدأت تعمل تاركةً الصغيرة تتفحص الصناديق بنفسها. لم يسبق أن سمحت لأحد بأن يفعل ذلك أبداً. التقطت الصغيرة بحذر قطعاً من العظام، وأصداف البحر وقشور البيض، وحملتها في راحة يدها ونظرت إليها لوقت طويل. أدركت كريستينا أن الصغيرة تستطيع أن تسمع أصواتها أيضاً.

قضتا بقية اليوم على هذا النحو، كلٌ مستغرقة في أفكارها الخاصة. في الخارج كانت الشمس مشرقة والمكان يعج بضجيج الناس. هدرت قوارب المحركات من البحر، ومن مكان ما في السماء فوقهما، جاء هدير طائرة عمودية تطوف.

انتظرتا حتى الغسق قبل مغادرة الكوخ. سارت كريستينا في آثار الغزلان وتبعتها الصغيرة على الأعقاب. وجدتا حيوانات رشيقة ترعى في الأشجار. وقفتا بصمت في الليل الصيفي الرمادي القاتم حتى لاحظتهما الغزلان، وأدارت رؤوسها الجميلة البهية في اتجاههما واختفت راكضة بقفزات طويلة.

انتصف الليل عندما استدارتا عائدتين إلى بطانياتهما على الأرض. أغفت البنت الصغيرة على الفور. وبقيت كريستينا مستيقظة تنظر إليها.

ظلت الاثنتان معاً طوال اليوم؛ من شروق الشمس إلى غروبها. بقيت الطفلة في الكوخ وانتظرت عندما ذهبت كريستينا للعناية بالزورق. استمعت عندما حدثتها كريستينا عن كنوزها في الصناديق، وبدا أنها فهمت كل شيء قالته. جلست في

حجرها في الزورق وتبعتها عن قرب على طريق الغزلان. أكلت بعضاً من طعامها. سمحت لكريستينا بتمشيط شعرها. حضنتها وتعلقت بها في سريرها من البطانيات. نظرت إلى كريستينا بعينيها السوداوين الكبيرتين. ضحكت. لكنها لم تقل كلمة واحدة —لم تقل كلمة واحدة طوال اليوم.

t.me/ktabpdf مكتبة

في الأيام القليلة التالية ظلتا في المنزل. كان الطقس جميلاً والبحر هادئاً، لكن هناك الكثير من الضجيج في الخارج. طافت القوارب الآلية حول الجزر. وهتف ركابها وصرخوا على بعضهم بعضاً. وأحدثت الطائرة العمودية التي حلقت منخفضة دوياً يصم الآذان وأثارت سطح البحر الهادئ وحولته إلى تموجات متلألئة.

بدلت كريستينا الليل بالنهار، كما كانت تفعل في أوقات معينة. عندما تتوسط الشمس العالية كبد السماء، كانتا تغفوان فوق كومة البطانيات القديمة. وعندما تشرع الشمس في الهبوط تنهضان. كانت كريستينا تصنع الطعام وتتسكع في الكوخ، وعند الغسق تخرجان. تجولتا على طول الشواطئ وعبر الصخور. كان الليل الصيفي خفيفاً بما يكفي. جدفتا إلى مسافات قصيرة داخل المخاضة، لكن على الرحلات الطويلة إلى البحر المفتوح أن تنتظر. وبعد أن تتعبا من تجوالاتهما الليلية كانا تجلسان مستندتين إلى بعضهما على إحدى الصخور وتراقبان السماء وهي تصبح وردية وجديدة. وعندما توقظ شعاعات الشمس الأولى الطيور في شجرات البلوط العتيقة حول الكوخ، كانتا تنسحبان إلى الكوخ المعتم وتجلسان على كومة البطانيات مثل حيوانين ليليّين قانعين في جحرهما.

بعد بضعة أيام هدأ الخارج مرة أخرى. عادت ضوضاء المحركات القادمة من الخليج إلى سابق عهدها. كان الطقس ما يزال صافياً وهادئاً. عبأت كريستينا الحقائب بالطعام، ومبكراً قبل شروق الشمس، أخرجتا الزورق من الخليج، وعبرتا بجوار الجزر حتى انداح البحر أمامهما مفتوحاً، شاسعاً وحراً، لكنه حتى هنا، هادئ. هادئ حد الغرابة. كما لو أنهما تبحران في بحر سارجاسو الواسع البعيد وليس في ساحل السويد الغربي الغاصب. تحركت البنت مع حركتها وهي تجدف، وانضغط

فمها الصامت على صدر كريستينا الخافق، والرأس الأسود الذي حد من رؤيتها؛ العبء الذي سيكون عليها أن تنوء بحمله دائماً منذ الآن وصاعداً.

كانت قد اعتادته أصلاً. كلما تدحرجت الطفلة بعيداً عنها في نومها، استيقظت كريستينا وتحسست المكان باحثة عنها وهي غير واعية لما تفعله. ثم تغفو ثانية عندما تصل إلى جسد الصغيرة الدافئ.

مرتا بطيور بط العيدَر نائمة على الصخور المنبسطة، منطوية مثل قطط بنية في ظلمة أول الفجر، ثم وصلتا أبعد الجزر الصخرية الصغيرة، تلك الجزيرة الصغيرة جداً بحيث لا ترسو عليها أي قوارب على الإطلاق. بالنسبة لركاب القوارب، كانت مجرد بضع صخور شائكة مشرئبّة إلى الأعلى ومحاطة بصخور غادرة غير مرئية تحت الماء، في مكان ضحل مخيف يجدر تجنبه. بعد فترة طويلة من الهدوء والشمس، أصبح مستوى الماء منخفضاً الآن وأصبحت الكثير من الصخور مرئية فوق سطح الماء.

سمحت كريستينا للزورق بأن يمسح ببطء رؤوس غابات أعشاب البحر المتماوجة. تعلقت الصغيرة بذراعها وهي تنظر إلى عالم ما تحت الماء في الأسفل. فجأة رأت شيئاً، سمكة أو سرطاناً، وانفجرت بالضحك وألقت بنفسها إلى الجانب لترى بشكل أفضل.

شعرت كريستينا بالتوتر في جسد الصغيرة وبذراعيها اللتين تعانقانها عندما انقلب الزورق. بعد لحظة أصبحت تحت الماء. أرخت الصغيرة قبضتها. رأت كريستينا أعشاب البحر تحتها، كان عمق الماء ثلاثة أقدام واستطاعت أن تقف. لكن القاع كان زلقاً وغير مستو. انزلقت قدماها وسقطت تحت الماء مرة أخرى وأخرى وابتلعت الكثير منه. استمرت في تحسس الماء بحثاً عن الصغيرة في مكان ما بجوارها.

عندما استطاعت أن تقف أخيراً على قدميها لم تكن البنت هناك. سبحت تحت الماء وعيناها مفتوحتان. لكنها لم تر في هذه الغابات من الأعشاب البحرية الصفراء الخردلية... سبحت عائدة إلى السطح.

ثم رأتها. كانت تسبح وهي تركل بقدميها بعنف في اتجاه الجزيرة الصخرية. وعندما وصلت هناك زحفت بحذر فوق سطح الصخرة الزلق.

t.me/ktabpdf مكتبة

تبعتها كريستينا بالزورق. رفعته لتفرغه من الماء ثم جعلته يغرق هابطاً بين حجرين عند حافة الماء.

كانت الصغيرة تجلس على الصخرة، مبتلة ولامعة مثل حيوان المينك. هزت شعرها وتطايرت منه قطرات الماء في كل اتجاه. خلعت أوفرهولها المخملي ولباسها الداخلي. عصرتهما كريستينا وفردتهما على الصخرة ليجفا في الشمس. من الجيد معرفة أن البنت الصغيرة تستطيع السباحة.

هكذا، ذهبتا لاستكشاف الجزيرة. طارت الطيور حولهما في دوائر، بطبيعة الحال، لكنها كانت أقل عدائية من المعتاد. لم تقم بذلك الغوص مفتوحة المناقير، على النحو الذي أفزع كريستينا كثيراً في البداية. الآن بدت الطيور فضولية أكثر من كونها مهددة. دارت تقريباً حول البنت الصغيرة واستعدت كريستينا لمواجهتها في حال خافت البنت.

لكن الصغيرة لم تُبدِ أي علامة على الخوف. على العكس، بدت مستمتعة بها. وقفت وسط الطيور المدومة عارية تماماً. لمع الجلد الداكن والريش الأبيض معاً في الشمس. مدت يديها لتلمس الأجنحة البيضاء وضحكت كلما مسحت الطيور أصابعها.

ركضت على سطح الصخرة المدور، وتبعتها الطيور. ركضت في دوائر، في حركات متعرجة، أسرع، أبطأ، وهي تشرق بالضحك، والطيور تبعتها كل الوقت. بدوا وكأنهم يلعبون لعبة ما، الطيور وهي.

عندما تناولتا طعامهما المنقوع بالماء، رمت الصغيرة الفتات والتقطتها الطيور في الهواء. وضعت قطعة من الخبز على رأسها. هبط نورس، أكل بعض الخبز ثم بقي جالساً هناك وقد وضع قدميه الحمراوين في الشعر الأسود. أغلق عينيه الزجاجيتين، وبدلاً من الزعيق أطلق صوتاً مدغدغاً معتدلاً. جلست الصغيرة ساكنة بعينين مغلقتين وابتسامة داخلية.

لم يسبق لكريستينا أبداً أن رأت الطيور تتصرف هكذا. كان ذلك صعب التصديق.

حتى هذه اللحظة لم تفكر حقاً بالسبب في أن هذه العلاقة مع الصغيرة كانت بالغة السرية. كان شعوراً حملته منذ البداية الأولى عندما رأت البنت تزحف خارجة من الخيمة وتجلس القرفصاء وتبول في الرمال. لم تكن الصغيرة ببساطة جزءاً من الناس في الخيام. لم تكن لها صلة بالناس في القوارب والمحلات، أولئك الصناديق الصاخبة الثرثارة كبيرة الأفواه، الذين يُجبر المرء على مقابلتهم من وقت لوقت ليحضر الطعام والضروريات الأخرى. كلا، إنها جزء من العالَم الآخر. الغزلان، الطيور، الأصداف، قطع العظام. ومع أن أي شكوك لم تكن قد ساورتها في ذلك أبداً، فإنها أصبحت متيقنة تماماً عندما رأت النورس يجلس على شعر الصغيرة.

بخلاف ذلك، شكلت حقيقة كونها بكماء إشارة جيدة مثل بقية الإشارات. حقيقة أنها أحجمت عن الكلام. أنها توجه خطابها إلى شيء آخر.

تجنبت كريستينا التحدث بكلماتها الخاصة. لم يكن ذلك ضرورياً على الأغلب أيضاً. تبادلتا النظرات، لمستا الأشياء المختلفة وجسدي بعضهما. لم يكن صعباً أن تفهم كل منهما الأخرى. عندما نادتا بعضهما بعضاً كانتا تستخدمان أصواتاً ضارية. كانت البنت الصغيرة هي التي بدأت ذلك. كلما وجدت شيئاً جميلاً تريد أن تريه لكريستينا، أصدرت صوتاً شبيهاً بصوت السناجب، نوعاً من الطقطقة باللسان. بدا ذلك مثيراً، بهيجاً ومحرضاً. حاولت كريستينا تقليدها وعانت في ذلك، لم تستطع أن تفهم كيف تفعل الصغيرة ذلك. لكنها وجدت تنويعها الخاص والبنت الصغيرة فهمتها.

عرفت كريستينا أن العالم الصامت والعالم المتكلم ينبغي أن يظلا منفصلين.

t.me/ktabpdf مكتبة

لذلك نادراً ما كشفت عن إبداعاتها لأحد. كان العالم الصامت يختفي بسهولة كلما دنا العالَم المتكلم. كل ما هو جزء من العالَم الصامت تنبغي حمايته.

لذلك تركت البنت الصغيرة في البيت كلما ركبت الدراجة أو جدّفت بالزورق إلى المخزن. كانت تعرف كيف تعامل النساء الأطفال أحياناً عند صندوق النقد. كن يعانقنهم، يتحسسن شعرهم، ويغمرنهم بالحلوى. سوف تكره طفلتها الصغيرة السمراء ذلك. سوف تُطرح أسئلة تتطلب الإجابة. ربما يترتب عليها أن تجلس أمام مكتب أحد ما. ربما تشرع العاملة الاجتماعية في القدوم ثانية. سوف يفحصونها مرة أخرى. كلا، سوف تبقي البنت الصغيرة لنفسها فقط.

قبل أن تغادر إلى المخزن كانت تريها وقت عودتها على الساعة المعلقة على الحائط، لكن الصغيرة كانت أصغر كثيراً من أن تفهم بطبيعة الحال. كانت كريستينا تسرع قدر الإمكان ويساورها القلق دائماً من احتمال حدوث شيء. كانت تدحرج حجراً كبيراً إلى فتحة البئر وتخبئ السكاكين والأدوات الحادة والكبريت. لكن الشيء الوحيد الذي حدث دائماً هو أن الصغيرة تغفو. عندما تعود كريستينا، كانت تجد البنت نائمة بسلام على البطانيات وقد رقدت بجوارها بعض تحفها المستلة من الصناديق. لكن الصغيرة وجدت قلم رصاص في أحد الايام. وعندما عادت كريستينا من المخزن وجدتها جالسة على البطانيات وتخربش على الحائط. رأت كريستينا أن ذلك كان طيوراً صغيرة جداً جداً. تركتها كريستينا على هواها. وعندما أدركت الصغيرة أن كريستينا لم تغضب واصلت الرسم. ومن وقت لآخر، عندما تعمل كريستينا على إبداعاتها، أو تكون في الخارج، عثرت الصغيرة على القلم ورسمت الطيور على الحائط.

كانت للصغيرة علاقة شديدة الغرابة مع الطيور بشكل خاص. بالطريقة نفسها التي تمكنت بها كريستينا من الاتصال مع الغزلان في العتمة، وأن تقترب من الأرانب دون أن تخيفها، بل حتى أن تجتذب الثعالب التي عادة ما تكون شديدة الخوف. لكن الصغيرة بدت أقرب إلى الطيور. عندما وصلت إلى الجزر الصخرية القصيّة دارت الطيور أسراباً حولها وظهرت ريح من السعادة والمرح في صرخاتها، وهو ما لم

تسمعه كريستينا أبداً عندما تكون هناك وحدها.

كانت الفتاة تستطيع أن تجعل الطيور تجلس على ذراعيها الممدودتين ويديها. حملتها قريباً من وجهها، وأخرجت الأصوات من بين شفتيها، أصواتاً غريبة جداً لم تستطع كريستينا أن تفهم كيف يمكن لكائن بشري أن يصنعها، أصواتاً بدا أنها لا تتكون في فمها، وإنما في مكان أبعد في الأسفل، في حنجرتها، صدرها، في مكان ما عميق داخلها، ثم تندفع خارجة منها مثل نفَس. وكان الطير القريب منها يستمع، يجلس ساكناً وقد أحنى رأسه إلى الجانب وضيّق عينيه مثل قطرات سوداء.

غسلت كريستينا أوفرهول الصغيرة مع ملابسها الخاصة في حوض الغسيل الكبير وعلقتها على الحبل بين شجرة التفاح ورماد الجبل. وقد استمر الطقس الدافئ المشمس وجفت ملابسهما دائماً في الوقت المناسب للقيام بمسيرة على القدمين أو رحلة بالزورق في الغسق. حتى أنها كانت تحمم الصغيرة في حوض الغسيل. أقدامها، بشكل خاص، كانت تتسخ كثيراً. خلال كل ذلك الوقت لم يكن لها أي حذاء. كانت عارية القدمين عندما زحفت خارجة من الخيمة. فكرت كريستينا بشراء حذاء لها لكنها لم تكن لديها أدنى فكرة عن القياس. وبدا أن الصغيرة تتدبر أمرها جيداً وهي حافية القدمين فأجّلت المشكلة حتى الخريف.

أحست كريستينا بأنها تعيش في دوامة متصاعدة من السعادة. بدا الأمر مخيفاً تقريباً. كيف سينتهي؟ بدأ الأمر عندما حصلت على الكوخ هناك. وعندما اكتشفت الأصوات التي تصدر عن الأشياء وشرعت في خلق كائناتها الخاصة ارتفعت الدوامة أعلى. ثم جاء الزورق وارتفعت أعلى. والآن، جاءت البنت الصغيرة! أصبحت تصعد أعلى وأعلى في داخل برج من الزجاج والضوء.

ثم، ذات صباح شعرت بشيء. بتيار من البرد، بظل. كان ما يزال بعيداً، لكنه يقترب. كان ذلك خبرة مألوفة تماماً وغير مريحة. في بداية حياتها في الكوخ طاردتها الظلال كثيراً. كانت ما تزال تحتفظ بدوائها وتعرف أنه فعال. إنه يجعل الظلال تذهب. لكنها كرهت تناوله. إنه يخدّر حواسّها، ويدمّر غرائزها. كان يحميها من الظلال لكنه يفصلها عن الطبيعة في الوقت نفسه، عن أحلامها الليلية، عن

t.me/ktabpdf مكتبة

الأصوات الهامسة التي تصدر عن الأصداف والريش.

أخيراً اضطرت إلى تناوله. لم ترد أن تغامر بأن تصبح كائناً شبحياً مرة أخرى، يحبس نفسه داخل نفسه ويخفي وجهه وراء الأقنعة. لم ترد أن تراها الصغيرة على هذا النحو.

كان الوقت فجراً. وهما تجدفان إلى الخليج. رسم النسيم الخفيف أشكالاً غامضة على سطح الماء. نسيم فقط، ليس ريحاً حقيقية، ولكنه كافٍ ليمنع المرء من التجديف خارجاً إلى البحر المفتوح بالزورق.

تعقّبتا خط الساحل. امتد المرج عبر الصخور وبقع نبات الخلنج، مفصولاً هنا وهناك بوديان بدت وكأن كل خصوبة الأرض قد تركزت فيها. ملأتها خضرة شبيهة بالأدغال وانبجست تيجان الأشجار من بين الصخور الرمادية كما لو أن الضغط أصبح هائلاً هناك في الأسفل حتى يغلي الغطاء النباتي وينسكب.

أصبح الساحل أكثر انحداراً. ولون الصخور أصبح أغمق. نهضت جدران الجروف السامقة العمودية من المخاضة الرمادية مثل جدران قلعة غول عصيّة لا تُقهر. أحنت الطفلة رأسها إلى الوراء ونظرت إلى الأعلى. تعلقت بذراع كريستينا وأعاقت تجديفها. تركت كريستينا التجديف ونظرت إلى الأعلى هي أيضاً. كان الصخر عروقاً سوداء وبيضاء نافرة هنا وهناك. جلس نورسان على رف عالٍ. نتَّ جدار الجرف شعوراً بالبرد.

أعادت كريستينا الصغيرة إلى مكانها وواصلت التجديف. ثمة جرف هائل يشبه المكعب بجوار الصخرة الكبيرة جعلها تنحرف بالقارب. خلفه ظهر شاطئ صغير. هبطتا إلى اليابسة وسحبتا الزورق. منه أخرجت كريستينا سلتين. أصبحت للصغيرة سلتها الخاصة الآن. وبسلتيهما معلقتين في ذراعيهما بدأتا تجوالهما الباحث.

لم تتذكر كريستينا أنها جاءت أبداً إلى هذه الأرض من قبل. إنها مكان كانت لتتذكره لو أنها شاهدته، بالجدار الأسود العمودي. تكدست الصخور الهندسية ذات الحواف الحادة بجواره على طول الساحل كيفما اتفق، بعضها عند النهاية، كما لو أنها توقفت عن التدحرج فجأة. بدا كما لو أنها نوع مختلف من الصخور

عن الجدار الأسود بجوارها. لكن سطحاً كبيراً أحمر مائلاً إلى البني في الأعلى في الأعلى كشف أين التصقت هذه الجلاميد قبل أن تنهار. كان جرحاً لما يندمل بعد.

نظرت كريستينا حولها في اليابسة. غطت عروق العشبة الفضية الكثير من التربة ونشر الكرنب البحري أوراقه الشبيهة بالمطاط المغموس في الضباب القاتم. وملأت أصداف المحار التي قذفها البحر رمل الشاطئ أقرب إلى الماء.

حاولت الصغيرة أن تزحف خلال جدار الخضرة السميك الذي غطى مدخل الشق. اختفت في الحيز الضيق بين اثنتين من أشجار العرعر. علّقت سلتها وتمسّكت بها الأجمة بغرابة، فتراجعت الصغيرة وسحبتها حتى أدخلتها في الشق معها.

مشت كريستينا عبر الشاطئ. أزّ الذباب فوق أعشاب البحر السوداء التي جففتها الشمس.

عادت الطفلة مع سلتها. تفقدتها كريستينا، ووجدتها ما تزال فارغة. التقطت الصغيرة صدفة محار، حملتها بيدها، استمعت إليها، ووزنتها كما رأت كريستينا تفعل من قبل. وإنما لا شيء. لم يكن هناك شيء يقول أي شيء هذا الصباح. استسلمت، ورمت السلة وتسلقت برشاقة بضع صخور. ثم أخذت نفسها هابطة الجهة الأخرى واختفت. تبعتها كريستينا لترى أين ذهبت. سمعت ضحك الصغيرة المكتوم مثل نقيق الطيور تحت الحجارة، والصوت المطقطق ينطلق عالياً مستثاراً.

كانت سلتاهما ما تزالان فارغتين عندما جدفتا عائدتين، لكن كريستينا عرفت أنهما حققتا أكثر اكتشافات هذا الصيف أهمية.

أصبح لديهما الآن ملاذ جديد، مكان رائع لهما وحدهما، محمي من الشمس والناس. وبعد أن تجدفا إلى الجزر الصخرية البعيدة، أصبحتا تجدفان عادة إلى هذا المكان. في بعض الأحيان كانتا تهبطان إلى اليابسة وتتسلقان عبر الصخور.

كانتا تزحفان داخل الممر الطبيعي تحت الصخرة الكبيرة صاعدتين إلى نهاية الممر حيث امتد حيّز مستو. هناك صنعتا لنفسيهما سريراً من السرخس وريش بط العيَدر الناعم وأصبح مخبأهما.

بدا الوجود هناك أشبه بالوجود في عالَم لهما وحدهما. كان للجدار الصخري لون بني محمر دافئ مثل الذهب القديم. وانساب ضوء الشمس صافياً عبر الفجوات

t.me/ktabpdf مكتبة

بين الصخور.

كان الانحدار حاداً في الممر والسقف منخفضاً جداً في أحد الأماكن حتى اضطرت كريستينا إلى الزحف على يديها وركبتيها. لم تكن رشيقة ولا قوية عندما تأخذ دواءها. وعندما سقطت أخيراً على السرير الندي بجوار الصغيرة كان الإنهاك قد نال منها وكانت يداها وقدماها مسحوجتين نازفتين.

عادة ما استلقتا هناك، تلعبان وتمرحان بالطريقة البكماء التي طورتاها. كانتا تقرصان وتدغدغان بعضهما بلطف وتنفخان على جلد بعضهما بعضاً. وفي الفتحة بين الصخرتين رأتا جدار الجرف الأسود وهو يهوي إلى البحر. في بعض الأحيان لم تكونا تتنقلان طويلاً وإنما تجلسان لمراقبة النوارس وهي تحط على رفوف الجرف الضيقة.

بعد فترة كانتا عادة ما تنعسان. كانت كريستينا تلفّ ذراعها حول الصغيرة وتغرقان في النوم على صوت رُشاش الأمواج والنوارس الزاعقة. تنامان بضع ساعات، قريبتين من بعضهما، وعندما تشرع الشمس في الهبوط تعودان إلى البيت مرة أخرى.

أولريكا

t.me/ktabpdf مكتبة

حلمت بأني أقف في شرفة منزل عائلة غاتمان. كنت أنظر إلى الداخل عبر النافذة. كان البرد قارساً في الخارج. وفي الداخل، أشعّ المصباح المعلق على مائدة الطعام، ورأيت في دائرة ضوئه الدافئة أندرس وأوسي يتناولان الطعام مع جوناثان وماكس وهيدا الصغيرة. كانت هيدا تجلس على كرسي عالٍ وأوسي تطعمها كسراً من شريحة خبز سميكة. وكان أندرس يجلس إلى جانبها الآخر. وجلس الولدان وظهراهما إلي. كانت هناك رائحة خبز مخبوز تواً تتضوع على طول المسافة إلى الشرفة.

طرقت النافذة، لكن لا يبدو أنهم سمعوني. ثم شعرت كما لو أن الأرض تهتزّ، وخلفي كانت خطوات ثقيلة تقترب. طرقت أقوى وأقوى على النافذة.

وقف أندرس. انحنى على الطاولة ونظر إليّ باستغراب. وضعت أوسي يدها حول ساعده وقبضت عليها بإحكام، ووضعت يدها الأخرى على عين هيدا وكأنها تريد أن تحميها من رؤية مشهد فظيع مُرتقب. أصبحت الخطوات الثقيلة خلفي مباشرةً على أرضية الشرفة الخشبية. استدار الولدان نحوي. نظرا إليّ أولاً ثم إلى شيء ورائي، خائفَين مندهشيَن. أغلقت عيني وتمسكت بقوة بحافة النافذة.

عندما استيقظت، انقضى بعض الوقت قبل أن أدرك أين أنا. كان الأمر مثل الخروج من حلم فقط ليجد المرء نفسه في حلم آخر.

كانت الظلمة حالكة ونافذة الغرفة في المكان الخطأ. رأيت السرير الآخر بجوار الجدار المقابل وتذكرت أنني في منزل عائلة غاتمان. كنت قد استلقيت في سرير آن ماري القديم حوالي الساعة الخامسة، ولا بد من أن يكون المساء قد حل الآن، أو

t.me/ktabpdf مكتبة

ربما الليل. شعرت بأنني مشوشة تماماً.

لن أستطيع قيادة السيارة إلى المنزل الآن. كان من الجنون الدخول إلى هنا؛ بل حتى القدوم إلى هنا من الأساس. كان أفضل ما يمكنني فعله هو العودة إلى النوم مجدداً، ثم العودة إلى المنزل حالما يطلع النهار.

لكنني لم أستطع أن أغفو مرة أخرى. كان الجو بارداً. نهضت وتجمدت كثيراً حتى أنني ارتجفت عندما خرجت من تحت البطانية. وفجأة أدركت لماذا كنت مضطربة جداً عندما استيقظت. كانت رائحة الخبز المخبوز تواً في حلمي ما تزال هناك!

ارتديت حذائي وسترتي، وغادرت الغرفة ونزلت على سلالم العلّيّة المنحدرة. توقفت في رواق الطابق العلوي، في شقة تور وسيغريد. نعم، هناك فعلاً رائحة خبز مخبوز للتو. سمعت صوتاً. لم يكن عالياً جداً وصعباً على التمييز. كان مثل صوت حبات المطر، وإنما أبطأ. أو الطقطقة، أو الصوت المضخم لأقدام جرذ.

أخذت نفسي إلى أسفل السلم خطوة واحدة كل مرة. أحياناً توقف الصوت، وعندما أقف ساكنة، منتظرة ومستمعة، يبدأ الصوت مجدداً. سريعاً. بطيئاً. سريعاً. أدركت أن الصوت لا يمكن أن ينتجه مطر أو جرذ. إن الأصوات الطبيعية لا تبدو هكذا؛ إن الطبيعة أكثر بأساً وعزيمة، أما هذا النوع من الاندفاع ثم التوقف، من التماس الطريق ثم الاندفاع مجدداً، فإنه يمكن أن يصدر فقط عن كائن بشري.

مشيت عبر رواق الطابق السفلي. كان المطبخ وغرفة المعيشة مظلمين تماماً. جاء الصوت من غرفة كارين وآكي. ذهبت إلى هناك.

عند العتبة وقفت ونظرت إلى مصدر الصوت الغامض... اندهشت لأنني لم أميّزه بما أنه صوت لطالما صنعت مثله أنا نفسي.

جاء صوت الطقطقة المنفصل غير المنتظم من لوحة مفاتيح حاسوب محمول.

فيما عدا الضوء الفضي الشبيه بضوء القمر الصادر عن الشاشة، كانت الغرفة

مظلمة وكان الرجل الذي يكتب جالساً وظهره إلي. توقف مرة أخرى، واستدار ورآني.

استطعت أن أتفهم ردة فعله جيداً. ارتجف كله بعنف في تقلّصات متقطعة كما لو أنه تعرض لسلسلة من الصدمات الكهربائية، وقلت على عجل:

"إنها أنا فقط."

تحسستُ مكان مفتاح الضوء ووجدته.

"ماذا بحق الجحيم،" قال الرجل عندما نشر المصباح ضوءه فوقنا.

عندئذ ميزته. كان يرتدي زوجاً من النظارات ذات إطار بيضوي صغير أحمر، وكان شعره شائباً. كان الشيب في رأسه غزيراً. وكأن طبقة من الغبار الرمادي الدقيق القاتم غطت الرأس الأشقر. بدا لي أنني يمكن أن أنحني إلى الأمام وأنفخه بعيداً. وبخلاف ذلك، كان هو نفسه، بحواجب قاتمة، وهيئة جيدة الصحة، ووجه مدبوغ. ولأنه أصبح أثقل قليلاً، بدت ملامحه أكثر وضوحاً.

"بينس،" قلت. "لا أعرف ماذا أقول، أرجوك أن تعذرني."

صعق عندما نطقت اسمه، وإنما ليس بالمقدار نفسه هذه المرة. لم يكن قد ميّزني بعد. ولماذا يجب أن يفعل؟ في المرة الأخيرة التي رأينا فيها بعضنا كنت في الخامسة عشرة، وأنا الآن في التاسعة والثلاثين. كان من الطبيعي بالنسبة لي تخمين أن الذي يمكن أن يكون في هذا المنزل سيكون بينس، بما أنه عاش هنا من قبل. لكنه لم يكن من الطبيعي بالقَدر نفسه أبداً بالنسبة إليه أن يخمّن بالطبيعة نفسها أبداً أن غريباً نزل عليه فجأة من الأدراج، كانت جارة قديمة قد أقامت ضيفةً في هذا المنزل قبل أربعة وعشرين عاماً.

أعطيته بعض الوقت، لكنه لم يستطع التعرف إليّ. آلمني ذلك، لا أعرف لماذا في الحقيقة. لأنني بدوت أكبر سناً؟ لأنني كنت غير مهمة مطلقاً بالنسبة له؟ كلا، لا أعرف حقاً لماذا شعرت بالألم. كان من الطبيعي تماماً ألّا يميّزني.

اضطررت إلى إخباره من أكون. ولم يكن اسمي كافياً —اسمي الأول والأخير.

t.me/ktabpdf مكتبة

كان عليّ أيضاً أن أذكّره بالكوخ الذي عاشت فيه عائلتي، وبأنني كنت أفضل أصدقاء آن ماري الصيفيّين، وأنني عشت معهم في منزلهم صيف العام ١٩٧٢. لم آت على ذكر كيس النوم في كانهولمن، واعتقدت بأنه ينبغي أن يملأ هذه الجزئية الصغيرة بنفسه.

ببطء، هز رأسه. لقد عرف الآن من أكون، لكنه ما يزال خائفاً مني. راقبني بحذر طوال الوقت، كما لو أنني مجنونة ويمكن أن أكون خطرة في حال أولاني ظهره.

"أنا آسفة لأنني أخفتك. لا أدري لماذا تصرفت بهذه الحماقة. جئت إلى هنا بدافع ما، واستخدمت المفتاح الإضافي المخبأ في القوقعة. لم ألمس شيئاً هنا، أردت أن ألقي نظرة فقط ثم نعست بشكل فظيع. لم أكن قد نمت كثيراً ليلة أمس. استلقيت في سرير آن ماري وغرقت في النوم."

استرخى بعض الشيء الآن.

"استلقيتِ في سرير آن ماري القديم؟"

خفض عينيه ونظر إلى الأرض، حكّ ذقنه، وعندما رفع أنظاره مجدداً أصبحت ملامحه ألطف. بل صار بالوسع تخيل ابتسامة مرتسمة على إحدى زوايا فمه تقريباً.

"هل جربتِ أي أسرّة أخرى أولاً؟ مثل سرير جولديلوكس؟ لقد صنعنا فيلماً لإعلان تجاري بهذه الثيمة."

"ذلك الإعلان الذي عن "سرير الدب،" أولاً السرير الخشبي صلب، ثم ذلك الذي يمكنها أن تختفي فيه تقريباً، ثم الذي ناسبها تماماً؟"

"هل رأيتِه؟"

"نعم. كان مضحكاً جدا."

"إنه فكرتي."

"إذن، أنت تصنع الإعلانات التجارية؟"

"نعم. هل تودين بعض الشاي؟ لقد خبزت. أعتقد أن الخبز قد برد الآن."

صنع ينس الشاي وأنا جلست إلى مائدة المطبخ أراقبه. كان يرتدي سروالاً من

الجينز وسترة محبوكة بلون أزرق بحري ولها ياقة -بدت مثل شيء من الأربعينيات، أو لُقية من بقايا جيش الخلاص، لكنها على الأغلب شيء أكثر حصرية. كان قد بدل النظارات البيضاوية حمراء الإطار بزوج من النظارات المستديرة برتقالية الإطارات. بدا مسترخياً ومسلياً وهو يجلب الإبريق وأكواب الشاي. من وقت لآخر، رمقني بنظرة سريعة من فوق كتفه. كانت له طريقة احترافية نوعاً ما لأن يكون لطيفاً، سلساً ورائعاً وبلا تكلّف. أوه، لكم أحسد الذين يستطيعون أن يكونوا ممتعين بهذه الطريقة. أما أنا نفسي، فإنني كالمحارة، صلبة ومغلقة، حتى يصطادني أحد ويفتحني فيخرج مني ذلك الشيء الفوضوي كله في الحال. وهو ليس ساراً تماماً.

كان زوج من الشمعدانات القصديرية موضوعاً على المائدة. أضاء يينس شموعهما، أطفأ ضوء السقف، جلس إلى المائدة وسكب الشاي. دهنت بعض الزبدة على شريحة من الخبز، وتردّدت قليلاً قبل أن أقضم قضمة، كما أفعل عادة عندما أتناول طعام أناس آخرين. عندما كنت صغيرة، لم أحب أبداً تناول الطعام عندما نُدعى إلى منازل الآخرين. ولا حتى الكعك، ولا البوظة أو الفطائر. ظن الناس أنني مدللة وكانت أمي تخجل مني. الآن أصبحت أدرك أنه رد فعل طبيعي. إن أكل طعام الآخرين هو مسألة جادة. عندما يصل طعامهم أمعائي تصبح لهم سلطة عليّ. الأكل مثل الاستسلام. هذا هو السبب في أن الناس الذين تعرضوا للخطف لم يتناولوا أي شيء من طعام الغول.

"وإذن، ما تزالون تملكون المنزل؟" قلت.

كان الخبز ما يزال دافئاً قليلاً وطرياً من الداخل وطيباً بشكل فظيع.

"أمي هي التي تملكه. لكنها لا تأتي إلى هنا مطلقاً. إنها تعيش في غوتلاند، في ما يمكن أن يسميه المرء ديراً للراهبات. لكنه لم يعد يُدعى هكذا بعد الآن على ما يبدو. إنها تدعوه تعاونية أو شيئاً من هذا القبيل. تعيش مع سبع نساء كاثوليكيّات أخريات في مزرعة، يربّين الأغنام ويزرعن الخضراوات. لم أرها منذ عدة سنوات، فهي لا تريد أن يزورها أحد. تبدو الآن أكثر سعادة مما كانت عليه لسنوات عديدة."

t.me/ktabpdf مكتبة

"وآكي؟ أين هو؟"

"آكي مات."

"قرأت أنه أصيب بنوبة قلبية قبل بعض الوقت،" قلت.

تذكرتُ صحف التابلويد التي حملت صورة آكي نحيل وامرأة ما شعرها مصبوغ بالأشقر وبتسريحة رخيصة تقريباً.

"لكنه نجا تلك المرة. من العار أنه لم يمت. نعم، حقاً. كان ما يزال يحظى بالاحترام آنذاك. كان سيحصل على مراثٍ جميلة، ولو تم استطلاع آراء المثقفين المعروفين بالسؤال: 'كيف تتذكرون آكي غاتمان؟' فإنهم كانوا سيتذكرون عنه الكثير من الأمور الجيدة فقط. لم يكن أحدهم سيقول إن العديد من السنوات مضت على آخر منشوراته. كان غزير الإنتاج في السابق بعد كل شيء. ربما كان الناس سيظنون أنه مات في منتصف وقفة إبداعية ما."

"لكنه أُنقذ. وجدته مونا -المرأة التي يعيش معها- جالساً في مقعد المرحاض وأخذته إلى المستشفى وجعلوا قلبه يعمل من جديد. في الصحيفة زعم أنه كان في الجانب الآخر، وأنه أُعيد إلى الحياة ثانية. شيء درامي في اعتقادي. أعتقد أنه بالغ. لكني تساءلت كثيراً بعد ذلك عما إذا أسفت مونا لأنها تسببت في عودته إلى الحياة. يرجح أنها عاشت في الجحيم معه بعد ذلك. لقد أسكر نفسه فعلاً حتى الموت. وعندما لم تعد تتحمل أكثر من ذلك، لم يعد لديها ما تستطيع فعله. لم تكن هنا فترات جفاف. ذهب فقط منزلقاً أسفل المصرف، إلى مأوى في الضواحي ينفق عليه المُحسنون. ثم ليس ذلك وحسب. الشارع أيضاً. تجمد في الشارع حتى الموت في العام ١٩٨٩. هل تتخيلين ذلك؟ أبي كان متشرّداً. لكننا لم نعرف ذلك حتى قرأنا شهادة وفاته. لم يكن لنا أي اتصال به خلال تلك السنوات الأخيرة، لا أنا ولا أمي، ولا أخواتي."

حاولت أن أتخيل آكي غاتمان كمتشرد. اندهشت حين لم أجد ذلك صعباً

كثيراً. رأيت الوجه الوردي أكثر وردية، منتفخاً، وغير حليق. رأيت الشعر الأشقر الأشعث أكثر شعثاً وشيباً وتشابكاً. طريقته المتكلفة قليلاً، ذلك النوع من التظاهر الذي كنت آخذه على محمل الثقة بالذات، كنت قد شاهدته في السكارى من قبل في الحقيقة. إثبات الذات. خطر لي أنه كان يمكن أن أراه في وقت ما؛ على مقعد في الحديقة أو ما شابه. حزمة قذرة كريهة الرائحة أمرّ بها على عجل. آكي غاتمان. يا إلهي.

"من يعتني بالمنزل إذن؟" سألته. "يبدو أنه يحظى بعناية جيدة."

"إيفا وزوجها. إنهما يعملان في مدرسة ثانوية حكومية في سمولاند، لكنهما يأتيان إلى هنا بضعة أسابيع في الصيف ويرتبان الأمور. كما تمضي ليز وستيفان عطل نهاية الأسبوع هنا من وقت لآخر، لكنهما يملكان منزلهما الصيفي الخاص على جزيرة كوستر. إنهم عائلة كبيرة. أربعة أولاد. لذلك لا يملكون الكثير من الوقت. هل أقطّع لك المزيد من شرائح الخبز؟"

"نعم لو سمحت. إنه طيب جداً."

أخذ معه شمعة إلى المنضدة ليرى. تحرك ظله العملاق على أبواب الخزانة الزرقاء.

"اضطررت إلى أن أخبز هذا. لا أستطيع الذهاب إلى متجر بلا سيارة."

"وماذا عن آن ماري؟"

"آن ماري تعيش في الولايات المتحدة. لم تأت إلى السويد منذ عشرة، اثني عشر عاماً أو شيئاً من هذا القبيل. إنها لا تحب القدوم إلى هنا. كلا، معظم الوقت يكون المنزل فارغاً في الحقيقة."

"من الغريب أن المنزل مصونٌ جيداً. ما يزال القماش على الأريكة هناك كما هو، أليس كذلك؟ لا يكاد يبدو عليه البلى. لا بد من أنه من نوعية جيدة."

"أعتقد أن السبب هو أن أحداً لا يجلس عليها."

أعاد السلة بالخبز المقطع مرة أخرى إلى المائدة. ثم ذهب ليأتي بزجاجة وكأسي نبيذ من الخزانة في الظلام. شق غطاء الزجاجة المعدني وفتحه، ثم شد مفتاح النبيذ اللولبي في الفلينة بحركات سريعة سلسة.

t.me/ktabpdf مكتبة

"شيء مخجل، بطريقة ما،" أضاف وهو ينتزع الفلينة ببطء.

"ألم تفكروا أبداً في بيعه أو تأجيره؟"

هزّ رأسه وابتسم لنفسه. سكب النبيذ في الكأسين دون أن يسألني.

"كلا. لم تقل أمي أي كلمة عن ذلك. أتساءل أحياناً إذا ما كانت قد نسيت أنها تملك منزلاً في تانجيفيك. لا أظن أنها قدمت إلى هنا منذ عشرين عاماً أو نحو ذلك. في ذلك الصيف، ١٩٧٢، عندما كُنتِ أنتِ هنا —كان ذلك آخر صيف تواجدنا فيه كلنا هنا معاً."

تذوقتُ النبيذ.

"كثيراً ما تساءلت عما حدث لمايا. هل تعلّمت الكلام أبداً؟"

هز بينس رأسه.

"كلا، أبداً. أمي وأبي تطلقا كما تعلمين، ورحل أبي إلى غوتنبرغ. ثم انتقل إلى منزل مونا وغادره وعاد إليه مرات عديدة وكانت هناك الكثير من النساء، لكنه عاد دائماً إلى مونا حتى انتهى ذلك أخيراً بدوره، وأصبحت الكحول هي الشيء الوحيد الذي تبقى. اعتنت أمي بمايا. فجأة أصبحت مايا طفلها الوحيد. اختفت آن ماري في الولايات المتحدة وظلت هناك. وبدأت إيفا وليز حياتهما مسبقاً كراشدتين. وبقيت أنا عاماً آخر حتى أنهيت مدرستي الثانوية وتمكنت من الحصول على منحة لأدرس وأقف على قدميّ وحدي. وعندما رحلتُ، أصبح البيت في ستوكهولم كبيراً جداً على أمي ومايا. باعته وحصلت على شقة. ثم استقالت من وظيفتها في 'الديلي نيوز' وحصلت على عقد للعمل الحرّ بدلاً من ذلك. في البداية، لم يختلف الأمر كثيراً. عملت كثيراً في المنزل، لكنها أصبحت تمضي مع مايا وقتاً أطول من السابق. ذهبت لرؤية الكثير من مختلف الأطباء معها. وبعد فترة من الزمن حصلت على تشخيص لمرض مايا: بالتوحد. لا أعرف إذا كان ذلك صحيحاً، لكن مايا لم تكن طبيعية بلا ريب، ويجب أن يسمى ذلك باسم ما.

"أخذت مايا المزيد والمزيد من وقت أمي. حصلت على إعانة من الولاية لكونها راعية، وأصبحت تكتب أقل للصحيفة. إلى جانب ذلك، لم تعد الصحيفة مهتمة

كثيراً بأعمالها. أصبحت تكتب أكثر فأكثر عن الدين، وطالما ظل الأمر متعلقاً بالبوذية والديانات البدائية، كان ذلك مقبولاً، لكنها عندما بدأت بكتابة الكثير عن المسيحية، ضاقوا ذرعاً بذلك. انتهى عقدها وأخذت تكتب للمنشورات المسيحية بدلاً من ذلك. لم تكن مكافآت هذه المنشورات بالسخاء نفسه طبعاً وتدهور مستوى معيشتها. لكنني لا أعتقد أنها حفلت بذلك كثيراً، فقد كرست وقتها لمايا وللتأمل في المسائل الدينية. وفي إحدى المرات، اقترضت المال مني من أجل رحلة. اعتادت أن تذهب هي ومايا إلى جنوب أوروبا لزيارة الأديرة والأماكن المقدسة. كانتا تسافران بأرخص الطرق، تستقلان المركبات العابرة أو تركبان القطار. تقدمت بطلبات للحصول على منح. وعاشت في الأديرة وقامت بالأعمال المنزلية لإعالة مايا ونفسها.

بحثت أمي بلا توقف عن طرق حديثة لمساعدة مايا. وفي إحدى المرات، كان منوم مغناطيسي هو الذي أعطاها الكثير من الأمل. حاول أن يعيد مايا إلى طفولتها في نزل الأطفال في بانغالور. لكن ذلك لم ينجح. ثم حاول أن يجعلها تستعيد خبرة الصيف الذي اختفت فيه. ولم ينفع ذلك أيضاً. لم يكن قد قابل في حياته إنساناً غير قابل للتنويم المغناطيسي بتاتاً على هذا النحو.

عندما كانت مايا في الثانية عشرة انتقلتا إلى فاربيرغ لأن أمي تواصلت مع طبيب متخصص في التوحد يعمل على مشروع مع المستشفى هناك. آمنت أمي به، وأصبحت على معرفة جيدة به. لا أحد يعلم إذا لم يبدآ علاقةً من نوع ما. على أي حال، كان هو السبب في انتقالهما إلى فاربيرغ واستقرارهما في شقة من غرفتين صغيرتين بجوار المستشفى. ومع ذلك، لم يتمكن من إحراز أي نتائج ملموسة مع مايا، مع أنه كتب في تقريره أنه فعل. بعد سنة، تم إيقاف مشروعه وانتقل إلى الولايات المتحدة. أتصور أنه كان محترفاً. لكن أمي ومايا بقيتا في فاربيرغ بضع سنوات أخرى. أعتقد أنهما عاشتا منعزلتين جداً هناك، ولم يكن ذلك جيداً لأي منهما.

t.me/ktabpdf مكتبة

بعد سنوات قليلة، تعرضت أمي لأزمة ما وأدخلت إلى مستشفى عقلي. اكتئاب واضطرابات عصبية، قال الطبيب الذي تحدثت إليه آنذاك. أقامت مايا في منزل للرعاية خلال ذلك الوقت، وللعديد من السنوات شكل ذلك نوعاً من تخفيف العبء عن كاهل أمي."

"وأين هي مايا الآن؟" سألته.

ذهبت إلى أحد منازل دعم المجموعات عندما أصبحت في الثالثة والعشرين، وما تزال. أعتقد أنها أفضل حالاً هناك. ولكن ماذا عنكِ أنتِ يا أولريكا، كيف تسير أمورك؟ ماذا تعملين؟"

"أنا عالمة أجناس، أجري الأبحاث عن أسطورة الاختطاف فوق الطبيعي. أنا مطلقة، وعندي ولدان، في السادسة والتاسعة. وأنت؟"

ضحك.

"هل هذا كل شيء؟"

"ربما يكون هناك المزيد لاحقاً،" قلت وشربت بعض النبيذ. "أتذكر أنك تخصصت في العلوم الطبيعية في المدرسة الثانوية. هل كان ذلك تحضيراً جيداً لعمل الإعلانات التجارية؟"

"آه نعم، يا إلهي. ما تعلمته هناك ساعدني في الكثير من المرات. لكنني لم أكن أفكر بالتأكيد بالإعلانات التجارية في ذلك الوقت، ولا حتى بمهنة تتعلق بالعلوم أيضاً. اخترت العلوم لأنها الأصعب. أردت أن أرى إذا كنت أستطيع أن أنجح. ثم درست الفلسفة في أحد الفصول، وبدأت الصحافة بعد ذلك. وبينما كنت هناك، نشرت مجموعة شعرية. نتيجة لتلك المجموعة الشعرية وجدت نفسي أهبط في مقالة صحفية غريبة."

"هل فعلت؟ لم أعلم أنك كتبت مجموعة شعرية،" قلت.

دهشت لكوني فوّتُّ ذلك، أنا التي أقفز قفزت دائماً كلما رأيت اسم غاتمان في الصحيفة. لكنني أعتقد أن ذلك حدث في وقت كان لدي فيه أنا نفسي الكثير لأتعامل معه.

"حسناً، لم يتعلق الأمر كله بالمجموعة الشعرية فقط. تعلق بالقدر نفسه باسم

عائلتي. بينس غاتمان، ابن آكي غاتمان. أعتقد أنها تلك المقالة هي التي حددت مصيري."

"كيف ذلك؟"

"خرج أحد ما في الصحيفة بتلك الفكرة العبقرية عن جمع نخبة المستقبل معاً. من هم الناس الذين سنستمع إليهم في المستقبل؟ أرادوا أن يعرفوا، ثم خرجوا وبحثوا عن حفنة من الشباب الذين برعوا بطريقة ما. دعونا إلى مكتب المحرر، ودفعوا تكاليف السفر والإقامة في الفندق لأولئك الذين في حاجة إليها. ثم جمعونا معاً، وأخذوا لنا صورةً جماعيةً وأجروا مقابلات معنا. يا إلهي، يا لها من مجموعة!"

ضحك.

"كان هناك فتاة خجولة في الثالثة عشرة تلحن السمفونيات. نطقت بالكاد بأي كلمة. ثم أتذكر بعد ذلك واحداً من داليكارليا، شاباً صغيراً مربوعاً، في التاسعة عشرة، والذي تصور أنه سيكون جوسي بيورلينغ الجديد عندنا. تجول في المكان واضعاً يده خلف ظهره وبدا مثل دب يعوي كلما قال شيئاً."

"ثم هناك بنت شديدة الثقة بنفسها حد الغرابة، عضو في رابطة الشباب في الحزب اليميني، وكانت متأكدة تماماً أنها ستصبح أول وزير مالية أنثى في السويد. لم تكن ستصبح أول رئيسة للوزراء وإنما أرادت منصب وزير المالية، لأن لديها الحل الأمثل لمشاكل السويد الاقتصادية. ولديها الحل الأمثل لكل شيءٍ آخر أيضاً، وكانت تستطيع أن تدحض كل اعتراضٍ بسرعة ووضوح بضحكة جليدية. كنت ترتجفين عندما تسمعينها.

"بعد ذلك —بحق الله، كانت مجموعة لا تصدق من الأشخاص— هناك بطل التزلج، ستينمارك الجديد من فاكسيو. كان في العاشرة من العمر، وركب الحافلة كل عطلة نهاية أسبوع إلى جبال الألب الإيطالية. ومارس التزلج المتعرج منذ كان في الثانية.

"ثم هناك تلك الفتاة الفظيعة التي تنثر شعرها في جميع الأنحاء وتبرز نهديها

t.me/ktabpdf مكتبة

إلى الخارج، وتبدو جديّة. كانت لها وظيفة في حكومة الطلبة، وقالت إنها ناشطة نسوية. لا أتذكر الحقل الذي اعتقدوا أنها ستتفوق فيه.

"ثم، طبعاً، هناك واحد من الأشخاص الزلقين الجيدين في بيع الأشياء، تعرفين ذلك النوع الذي يسلب مخصصات أصدقائه، ويسرق التفاح من أحد جيرانه ليبيعه لجار آخر، وقد حصل على جائزة لبيعه معظم كتب الميلاد المجيد للأعوام الأربعة السابقة.

"لا أستطيع أن أتذكرهم جميعاً. كنا خمسة عشر شخصاً، وكنت أنا كاتب المستقبل بطبيعة الحال. كل ذلك بدا غرائبياً تماماً. في البداية جاء التقاط الصورة. ثمّ ساقوا بضعة أميال خارج البلدة إلى موقع بناء في شارع ما. هناك جعلونا نقف على تلك الطريق المستقيمة الممهّدة حديثاً والمختفية بين الحقول التي ما تزال مغلقة أمام السيارات، ونواجه الكاميرا بتعبير عن الثقة بالذات. فريق الأحلام. ثم أعادونا إلى مكتب التحرير لإجراء المقابلات الخاصة. توجب علينا أن نجلس في غرفة الانتظار ونتثاءب في وجوه بعضنا وندخل واحداً في كل مرة ليجري صحفي مقابلة معه. ثم جاء دور المناقشة الجماعية المسجلة. كان يُفترض أن نتحدث عن المستقبل، نحن الخمسة عشر جميعاً. هناك كان عدد من المونولوجات الفردية العبقرية والذكية. لم يناقش أحد أي شيء مع أي أحد آخر، إلا الناشطة النسوية الذي خاضت نوعاً من الشجار مع يوسي بيورلينغ الجديد وأوشكت على مهاجمته جسدياً. لم تكن لدي أي فكرة عن السبب. لم ينطق بشيء تقريباً وبدا طيباً. لكنها شعرت باستفزاز لا يصدق منه. أعتقد أنه أثار نوعاً من عقدة الأبوة فيها.

"في المساء، أقاموا مأدبة عشاء كبيرة في قاعة مستأجرة. هناك جلسنا جميعاً، كل العباقرة الصغار. ستينمارك الصغير، ويوسي الصغير والعصابة كاملة. كان الهدف أن نكون على سجيتنا، أن نسترخي، لكن الصحفيين لم يستطيعوا البقاء بعيدين. وقفوا على الباب ولوحوا لنا وابتسموا. أعتقد أنهم كانوا يريدون التقاط ما يستطيعون من محادثة عشائنا اللامعة والمبدعة التي ستنطلق في أي لحظة. لم يقل أحد كلمة. كان

ذلك بالمطلق أكثر العشاءات التي شهدتها صمتاً. كانت الفتاة السياسية اليمينية تتحقق من وجود الصحفي على الباب من وقت لآخر، لكنها حين أدركت أن أحداً لن يوثق كلماتها الحكيمة قررت أنه لن يكون من المفيد أن تفتح فمها. وبدا أن الناشطة النسوية فقدت حيوتها وبدت متعبة فقط. أكلنا ومضغنا وخشخشت الفضيات على الأطباق الصينية. تناولنا الديك الرومي، أتذكر الآن."

"الآن أصبحت أريد حقاً أن أعرف من كانوا،" قلت.

"تعنين ما هي أسماؤهم؟ بحق الله، لا أتذكر حقاً."

"ولكن، أليس هناك منهم من أصبح مشهوراً فيما بعد؟"

"لا أحد. لم يتحول ولا واحد من هؤلاء الخمسة عشر إلى أي شيء. على أية حال، ليس إلى شخصية معروفة جيداً بحيث يسمع الناس عموماً عنه. لم أر أي واحد منهم في وسائل الإعلام. وهذا ما كان يمكنك توقعه، كما أعتقد. أن يتم تعيينك لتكون من نخبة المستقبل! إنه كل ما تحتاج إليه لتكتئب بطريقة جدية. أنا نفسي شعرت بالغثيان عندما رأيت تلك الصورة الجماعية تغطي الصفحة الوسطى كاملة، ثم صورة شخصية لي بعد بضع صفحات —شاعر شاب جاد بتعبير حزين تحت غرة شقراء جامحة. ثم التقديم الذي تضمن اسم أمي وأبي، وحتى اسم جدي."

ملأ كأسينا وهو يتحدث. تأرجح ظل النبيذ الأحمر على سطح المائدة. خارج النافذة وباب الشرفة خيم الظلام حالكاً، بلا أدنى تنويع من الضوء.

"أصابتني المقالة بالغثيان فقط،" تابع بينس، "كنت في الفصل الثاني في كلية الصحافة وأعمل على مجموعتي الشعرية الثانية في ذلك الوقت. لكنني قررت أن تكون هذه نهاية الأمر. لن أكتب أيّ قصائد أخرى. وانسحبت من كلية الصحافة في منتصف الفصل. بدأت العمل في مكتب البريد، وعندما جمعت ما يكفي من المال، كنت أغادر وأتجول لبضع سنوات. المغرب، الهند، وأستراليا، تلك الأشياء المعتادة."

"ذات مرة، في طريقي إلى الوطن، جلست في مطار في سنغافورة لمدة ٢٤ ساعة

t.me/ktabpdf مكتبة

قبل أن أحصل على طائرة. لم يهمّ ذلك كثيراً، كان المطار مدينة كاملة؛ يمكنك أن تمضي حياتك هناك. مشيت وتجولت في الطوابق المختلفة. كانوا يعلنون عن سيارة ما من صنع ياباني. رأيت ملصقات الإعلان الهائلة في كل مكان وعشت معها طوال تلك الأربع والعشرين ساعة كاملة. فكرت في كل الناس الذين شاهدوا هذه الملصقات، بكل مئات الآلاف من الناس الذين مروا بجوار هذه الملصقات ورأوا اسم هذا الصانع الياباني. استلقيت على مقعد طويل وأسندت رأسي إلى حقيبة ظهري ونظرت إلى جموع الناس والملصقات وفكرت بما يمكن أن يكون عليه الشعور الناجم عن التأثير في مئة ألف شخص، في ملايين من الناس. بدلاً من هؤلاء المئتين الذين قرأوا مجموعتي الشعرية... يا لها من سلطة! قررت أن أعمل في الإعلانات عندما عدت إلى الوطن. وهذا ما فعلته منذ ذلك الحين. اثنا عشر عاماً في شركة للإعلانات، ثم شركتي الخاصة."

"هل وجدت الأمر جميلاً حقاً بقدر ما اعتقدت؟" سألته.

انحنى إلى الأمام. لمعت عيناه خلف عدسات نظاراته المستديرة.

"كان أفضل. تعلمين أن الإعلان كان... فاكهة محرمة! إنه شيء قذر حقاً. تجاري. وقد ناسبتني تماماً حقيقة أن تؤثر في الآخرين حقاً دون أن يراك أحد. كان والداي معروفين، ولم يجذبني ذلك أبداً في واقع الأمر. أنا أحب التجول في المدينة كمجهول وأن أرى الملصقات الكبيرة وعليها أفكاري، وأعي حقيقة أن الجميع ينظرون إليها، بينما لا ينظر إليّ أحد.

ثم، عملت أشياء أخرى، بطبيعة الحال." تابع بينس. "كتبت للتلفاز. سكتشات العروض المسرحية. الدراما الاجتماعية. التدريب الصناعي. كل أنواع الأشياء. حتى أنني كتبت نصاً ناجحاً لأغنية في مهرجان.

"هذه الأيام، أصبح منتهى الصواب القيام بذلك النوع من الأشياء. لم يعودوا يعتبرونك ولداً شريراً بعد الآن. لكن الأمر أصبح أقل إمتاعاً بطريقة ما. قبل بضعة أيام، قابلتي فتاة من الجامعة تكتب مقالاً عن أدوار الجنس في الدراما الاجتماعية.

توقعت أنها ستكون متعالية، لكنها لم تكن كذلك على الإطلاق. سألتني عن أساليب عملي، عن بحثي، عن كيفية خلقي للشخصيات. استمعَت باهتمام وصبر إلى كل شيء قلته. خاطبتني باحترام أقرب إلى التقديس، مثل معلم قديم في حرفة حصرية ما... بطريقة ما كانت محقة تماماً. لكنني كنت بالرغم من ذلك كله منزعجاً جداً من ذلك كله بشكل غريب. أشتاق مؤخراً أكثر فأكثر إلى كتابة شيءٍ ما مختلف كلياً. لذلك، حملت حاسوبي المحمول وأتيت إلى هنا. أوصلتني زوجتي مع زوادة من الطعام، ووعدتني بأن تأتي لتقلني يوم الاثنين. إنها تأخذ دورة في كوبنهاغن."

"آه. لذلك لم أر سيارتك."

"نعم. إنني معزول بالكامل هنا،" قال ضاحكاً. "أو بالأحرى، كنت،" أضاف.

"هل أعيقك عن عملك؟"

"لا."

مال بسرعة عبر الطاولة وأراح يده على ذراعي لبرهة.

"من الجميل أن يكون هنا شخص أتحدث معه. كنت قد بدأت أشعر ببعض الغربة. نعم، فكرت فعلاً بأنني أصبحت غريباً عندما عدت إلى البيت بعد أن مشيت ووجدت الباب غير مقفل. عندما سمعت صوت صرير السلالم وقفتِ هناك في الظلام، خفت حتى الموت."

"ذلك مفهوم تماماً." قلت. "إنني خجلة جداً من نفسي. لا أفهم حقاً لماذا أتيت إلى هنا ودخلت. كنت قد جئت إلى هنا قبل بعض الوقت مع ولدَيّ. أردتُ أن أريهما المكان. الكوخ الصيفي حيث عِشت طفلة؛ الشاطئ حيث كنتُ أسبح؛ البيت الذي عاشت فيه صديقتي. أتعلم؟ أعتقد أن الولدين لم يهتما بشكل خاص. مثل معظم الأطفال، لا يستطيعان تخيل أن آباءهم كانوا أطفالاً هم أيضاً. إنهما يعرفان ذلك، بطبيعة الحال، لكنهما لا يستطيعان تخيله. لا يستطيعان تصديقه جملة وتفصيلاً."

"نعم، أعرف" قال بينس. "لطالما حدثتنا أمي عن نفسها عندما كانت صغيرة.

t.me/ktabpdf مكتبة

وعندما حاولت أن أتخيلها صغيرة، كنت أرى رأس أمي الراشدة على جسم فتاة صغيرة. استطعت أن أفهم فكرة الجسم الصغير، لكنني لم أستطع تصور أنه يمكن أن يكون لها وجه آخر."

"يجب أن تكبر أنت نفسك أولاً،" قلت. "يجب أن تختبر التغيرات الكبيرة التي تحدث في جسمك وشخصيتك، قبل أن تتقبل حقيقة أن الآخرين يتغيرون أيضاً. لذلك، كانت فكرة تجريدية بالكامل عندما قلت للولدين: 'جلست على هذا الشاطئ أحفر في الرمل. تلك الصخرة السوداء هناك كانت قلعة وحفرت خندقاً حولها' وما شابه. أمتعهما ذلك فقط بقدر النظر إلى مقابر الفايكينغ وحجارة الرون، كما أتصور. في تلك الأزمان قبل أن تولد. أتذكر كيف كان الأمر غير ممتع ولا واقعي. في الحقيقة كنتُ أعرف أنهما سيتجاوبان بهذه الطريقة. خططت للأمر أيضاً ليكون رحلة لصيد السمك، أخذنا معنا صنارة صيد جوناثان. عندما رأيت كوخنا لم أشعر بشيء، كان مختلفاً؛ معاد البناء بالكامل. وجدتُ الأرض قد تقسمت، ونبتت العديد من الأكواخ الصغيرة في كل مكان. لكنني عندما أتيت إلى منزلكم تملكتني مشاعر قوية. شعرت كما لو أنه كان منزل طفولتي فعلاً. هل تعلم أنني تمنيت دائماً لو أنني أنتمي لعائلتك؟"

ارتفع حاجباه الداكنان بالدهشة.

"لماذا؟"

"لا أعرف. بالتأكيد ليس لأنكم من المشاهير أو أي شيء من هذا القبيل. وإنما لأن لديكم هذه الخلفية. التراث."

"لكنه كان لديكم ذلك أيضاً. كل عائلة تملك ذلك بعد كل شيء. لكن التراث يبدو مختلفاً فقط."

"لم أستطع التعرف إلى ذلك أبداً في خلفية والدَيَّ. لم أميز أي جزء منه. لكنني عندما كنت آتي إلى منزلكم ميزت كل شيءٍ على الفور. لفترة من الزمن، لازمني حلم يقظة أجد فيه قطعة ورق تقول إنني أخت آن ماري التوأم، وأن كارين وآيكي عرضاني للتبني عندما ولدت."

"من أين أتيت بفكرة كهذه؟"

خلع نظاراته ونظر إليّ مستطلعاً.

"حسناً، أعتقد أن لمعظم الأطفال أوهاماً من هذا القبيل. أليس ذلك طبيعياً بالأحرى؟ الشك في كونك ابن والديك؟ أعتقد أن ذلك جزء من عملية التحول إلى الاستقلالية. كان حلم اليقظة ذاك سارّاً، لكنه احتوى في الوقت نفسه على شيء غير سار. لأنه إذا كانا قد عرضاني للتبني، فلماذا فعلا ذلك؟ لماذا احتفظا بآن ماري وليس بي أنا؟ كانت الإجابة، بالطبع، هي أنني لم أكن جيدةً كفاية. لقد أبقيا على آن ماري لأنها ألطف، أكثر مرحاً، أفضل."

"من أين بحق الله أتيت بكل ذلك يا أولريكا؟"

"من أين تأتي بالأمور؟ من داخلك طبعاً. كان شعوراً. كان لدي هذا الشعور القوي بالقرابة معكم كلكم؛ باهتمامكم بالثقافة والحياة الاجتماعية؛ بالطريقة التي تتحدثون بها عن الأشياء وتناقشونها، التي تصلون بها الأشياء المهمة بغير المهمة؛ كيف ترون الأنماط في الحياة. لم يكن هناك أي من ذلك في منزلي، لم نتحدث أبداً بتلك الطريقة. لقد وجدت شيئاً مهماً جداً في منزلكم. ثم فجأة ذهب. اختفيتم. بطاقتا صور بريدية من آن ماري أو شيء كهذا. ثم صمت مطبق."

تحدثت بسرعة، بحماس، وتعثرت بالكلمات.

"أعتقد أني بقيت أبحث عنكم منذ ذلك الحين، لكنني لم أكن واعيةً لذلك حقاً. هل تعلم أنني رتبت غرفة معيشتي بالضبط تقريباً مثل تلك الغرفة هناك؟ لم أفكر في ذلك أبداً حتى رأيت هذه الغرفة عبر النافذة عندما جئت هنا مع الأولاد."

"ربما ستسعدين بما سأقول،" قال وهو يقسم آخر قطرات النبيذ بيننا، "الحقيقة أنني شعرت في بعض الأوقات برغبة قوية في استبدال وجودي بوجودك. حين رأيت أباك فكرت بأنه ذلك النوع من الآباء الطبيعيين الذي يمكنك إرسالهم إلى لقاء الآباء والمعلمين دون أن تخجلي. كان هناك الكثير مما هو جيد في عائلتنا، إنك محقة تماماً بشأن ذلك، وأننا ممتن لطفولتي. ولكن من أجل أطفالي، عاهدت نفسي على

t.me/ktabpdf مكتبة

أمرٍ واحدٍ: أن لا أكون من المشاهير أبداً. كان فظيعاً أن يكون لي والدان معروفَان. كان الأمر وكأن الآخرين يعرفون عنك أكثر ما تعرف أنت نفسك."

"في بداية المدرسة الثانوية، درسني أستاذ تاريخ يعرف كل شيء فيما يبدو عن أمي وأبي. كان قد قرأ كل كتاب، وكل مقالة صحفية، وشاهد كل نقاش ضمهما على التلفاز. كان يعرف بالطبع أن لديهما ميولاً يسارية، وسواء كان بسبب ذلك أو غيره، لا أعلم، لكنه كان يكرههما فعلاً. عندما كنا ندرس التاريخ الروسي أخبرنا أن ملايين الناس ذهبوا أضحيات لإرهاب ستالين -ثم في حديث جانبي، كان يوجه خطابه إليّ: 'هل أخبرك أبوك عن ذلك يا بينس؟' كان يأتي بتلميحات تتعلق بنقاش عام ما يكون أبي منخرطاً فيه، ويتحدث إليّ وكأنني أعرف كل شيءٍ عنه، وهو ما لم يكن صحيحاً طبعاً. لم يتحدث أبي وأمي معنا في السياسة مطلقاً. كنت أخجل. كنت أخجل لأنني لم أعرف ما يفعله والداي، والذي يبدو أنه شيءٌ صادمٌ، أحسست بالعار لأنني لم أكن أستطيع الدفاع عنهما."

"وأنا في المدرسة الإعدادية، دار نقاش في الصحيفة عن فيلم يعرض مشاهد جنسية، وبطبيعة الحال، تدخل أبي في ذلك. تضمنت مشاركته جملة استفزازية اشتملت على كلمة من ثلاثة أحرف، وهو واعٍ تماماً بلا أدنى شك للتأثير الذي ستحدثه. أثار ذلك مجموعة كبيرة من المشاركين الآخرين، وأصبحت أبعاد النقاش أكبر فأكبر وتم اقتباس العبارة التي تضم الكلمة ذات الحروف الأربعة في كل مكان. كل طفل في المدرسة كان يعرفها. ليس الموضوع الذي يدور النقاش حوله، بالطبع، وإنما الكلمات التي كتبها والدي. قالت البنات أن أبي مقزز. لطالما رغبت أن يكون لي أب عادي بوظيفة عادية، أن أستطيع إخبار الآخرين بما يفعله أبي بدلاً من أن يخبرني به الآخرون. هل تفهمين؟"

"نعم" قلت. "أنا أفهم حقاً."

"ماذا فعلتِ في ذلك الوقت؟ بعد الصيف الأخير؟" سألني.

"التحقت بالمدرسة الثانوية. ربما كان من الجيد لي أنّ آن ماري لم تكن هناك.

قبل ذلك كنت أتكيف فقط مع المدرسة بينما أشتاق إليها في الأساس. الآن أجبرت على مصادقة أناس من صفي. بعد ذلك، درست الكثير جداً من المواضيع الدراسية في الجامعة. ثم، أخيراً وجدت ما أريد أن أفعله. كتبت أطروحة دكتوراة عن أسطورة الخطف فوق الطبيعي، أسطورة أن يكون المرء مأخوذاً. ومنذ ذلك الحين تابعت إجراء الأبحاث في الحقل نفسه. ووسعته قليلاً، قارنته بالقصص الحديثة حول أخذ المرء على سفن الفضاء. والأهم من ذلك كله، أنني أريد الذهاب إلى الولايات المتحدة لأن هناك العديد من هذا النوع من القصص تجري هناك. لكن على ذلك أن ينتظر حتى يكبر الولدان قليلاً."

"لست واثقاً تماماً أنني أعرف ما تقصدين بتلك الأسطورة." قال بينس.

وهكذا، أخبرته. وبما أنه بدا مهتماً، حكيت له العديد من القصص أيضاً. علامات الأظفار على إفريز النافذة، عامل المنجم المسحور والكثير غيرها. في حال لم يوقفني أحد، يمكنني المضي في روايتها إلى الأبد. ولم يوقفني بينس. جلس قبالتي في ضوء الشمعة، واستمَع. وعندما احترقت آخر شمعة كلياً، واختفى وجهه في الظلام، توقفتُ. كان ذلك عند منتصف الليل.

تبادلنا الأمنيات بليلة سعيدة. ذهب بينس إلى غرفة كارين وآيكي القديمة حيث استقر، وصعدت أنا السلالم ذات الصرير لأستلقي مجدداً في سرير آن ماري، في غرفة العلية الباردة. كان بينس قد أعطاني مدفأةً كهربائية، وشغّلتها. استلقيت هناك وقتاً طويلاً أستمع إلى ضوضاء تنهدها قبل أن أغرق في النوم.

هناك قصة واحدة لم أخبر بينس عنها. وهي قصة يعرفها هو نفسه. وأنا متأكدةٌ أنها القصة التي كان يفكر بها كل الوقت.

t.me/ktabpdf مكتبة

استيقظت في عالم من ضوء الشمس والصمت. التمعَت دواخل الأصداف بخفوت في الإناء المعلق على النافذة. لقد نمت لوقت طويل.

ارتديت ملابسي ونزلت إلى الطابق السفلي. كان صوت النقر غير المنتظم هناك اليوم أيضاً، وجعلني هذه المرة أبتسم. كان ينبغي أن أميز ذلك الإيقاع على الفور. كان في هذا المنزل حين سمعته أول مرة؛ قعقعة آلة كارين الكاتبة في الشرفة. سريعة وبطيئة، واثقة ومتشككة؛ إيقاع كائن بشري يبحث ويفكر ملياً. إيقاع جعلته إيقاعي أنا أيضاً.

"تناولي ما تشائين في المطبخ، لقد تناولت فطوري،" هتف بينس.

لم تكن هناك أدنى علامة على إفطاره. ليس حتى فتاتة واحدة، ولا ملعقة شاي. كانت علاقة تجفيف الصحون فارغة، وطاولة المطبخ جافة لامعة. لم يكن من الغريب أنني ظننت المنزل غير مأهول عندما تجولت فيه البارحة.

قطعت لنفسي شريحة من خبز بينس وصنعت بعض القهوة.

مع ذلك، رأيت على إفريز النافذة في الحقيقة قطعة مطوية من الورق. فضضتُها. وجدتها مقالة مقصوصة من صحيفة. العنوان: "أمرأة ميتة يعُثر عليها بعد أربعة وعشرين عاماً" مع صورة للصخرة بجوار شاطئ المحار ملتقطة من البحر. قرأتها بينما يغلي ماء القهوة. قالت إن بعض الأطفال "وجدوا الاكتشاف المروع وهم يلعبون." لا بد من أن تكون هذه القصاصة قد اقتُطعت من الصحيفة المحلية. لم أرها في صحيفة غوتنبرغ بوست. سوف يُسر ماكس وجوناثان إذا أوصلت هذه المقالة إليهما. خاب أملهما حينما تحدثا عن اكتشافهما في مدرستهما ولم يصدقهما

أحد، لا المعلمون ولا الزملاء."

كدت أخبر بينس عن ذلك في الليلة الماضية، لكنني أوقفت نفسي في اللحظة الأخيرة. كانت تلك المرأة اختفت في العام نفسه الذي اختفت فيه مايا. لم أعلم ما إذا كان بينس سيفضل تذكيره بحادثة اختفاء مايا، بتلك الأسابيع الحارة الجهنمية. بشعور القطيعة عندما عادت. هيكل عظمي في المكان الذي عُثر عليها فيه، كلا، لم يكن التحدث عن ذلك مناسباً. لكنه قرأ عن ذلك، وربما فكر بالوجهات نفسها مثلي تماماً ما دام قد احتفظ بالمقالة. طويتها ثانية وأعدتها إلى مكانها على إفريز النافذة.

بعد أن أنهيت طعامي ملأت كوب قهوتي ثانية وأخذته إلى غرفة المعيشة. انفرشت أشعة شمس الصباح في مستطيلات من الضوء الأصفر على ألواح الأرضية... نظرت عبر مخاضة الخليج. كان المشهد ما يزال جميلاً في الخارج.

ذهبت إلى غرفة النوم حيث يجلس بينس. نظرت إلى ظهره وأنا أتكئ على عُضادة الباب وأشرب قهوتي. كان يرتدي قميصاً ذا مربعات الآن. وأسدل الستائر حتى لا تنافس الشمس الضوء المنبعث من شاشة حاسوبه. ذكرتني الستائر المصفرة بضوء الشمس خلفه بتلك الأسابيع الحزينة عندما اختفت مايا. نظرت إلى الشاشة، لكنني لم أستطع من موقعي تمييز أي كلمة.

"يبدو أنك تعمل بجد،" قلت.

"نعم، لكنني سآخذ استراحةً الآن." أطفأ حاسوبه ونظر إليّ.

خلع نظارته، وفرك عينيه ثم ارتداها من جديد.

"أحتاج بعض التمرين. هل نتمشى قليلاً؟"

"أعتقد أن عليّ العودة إلى منزلي،" قلت.

"ألا يمكنكِ الانتظار بعض الوقت؟ الطقس لطيفٌ جداً. يمكننا أن نقوم بجولة خريفية طويلة رائعة."

ترددت ونظرت إليه من فوق حافة كوب قهوتي... مرة أخرى راودتني الرغبة في

t.me/ktabpdf مكتبة

السير نحوه لأنفخ الغبار عن شعره.

"أود أن أخبرك بشيء بينما نتمشى،" أضاف.

"حسناً."

كان الطقس لطيفاً، دافئاً تقريباً. ارتدينا سترات صوفية، وإنما بلا معاطف. مشينا على الطريق الكبيرة لفترة، ثم توقفنا عند ممر صغير. بين أجمات الخلنج الجافة البنية المحمرة، نسجت العناكب آلاف الشِباك، جِدّ متقاربة حتى بدت كأنها شبكة عنكبوتية عملاقة أنزلت من السماء أثناء الليل وغلفت المنطقة كلها. في كل مكان، اهتزت الخيوط المغطاة بالندى في الريح الناعمة.

"فكرتُ فيما قلتِه لي عن أحلامك" قال بينس. "أنكِ الطفلة التي تخلى عنها آكي وكارين. هل سبق أن سمعتِ أحداً هنا يتحدث عن شيء من هذا القبيل؟."

"كلا." قلت، ضاحكة بعض الشيء. "لا أستطيع أن أفهم لماذا أنت مهتم كثيراً بهذا الأمر. إنه نوع طبيعي من التخيل للناس في سن مراهقتهم. إنه جزء من النمو الطبيعي. ألا تعرف ذلك؟"

"سوف أقول لكِ لماذا سألت. قبل عام من وفاة أبي تقريباً، اتصلت بي مونا، المرأة التي كان يعيش معها. قالت إن لديها بعض الأوراق التي تخص آكي. لم تعرف ماذا تفعل بها، وسألت إذا كنتُ أريدها. طلبت منها أن ترسلها إليّ والتقطت صندوقاً كبيراً من مكتب البريد. أراد أن يعود كاتباً على ما يبدو. كانت الأوراق عبارة عن مسودات وملاحظات، لكن أياً منها لم يكن مكتملاً. لم تكن تشبه على الإطلاق تلك الأعمال التي أنجزها سابقاً. كانت أكثر خصوصية واستبطاناً. الأسلوب كان مختلفاً، متردداً ومتواضعاً. أتساءل حقاً إلامَا كانت ستؤول، لو لم يكن يشرب كثيراً."

"هل كانت روايةً يعمل عليها؟" سألت.

"من الصعب التخمين، لم تكن لها هيكلية. مجرد شذرات من النصوص على

قطع فالتة من الورق. تركيبات مشفرة. بعضها بدا كالشعر، وبعضها أقرب إلى النثر. لكنها جميعها تعلقت بموضوع واحد: طفل تم التخلي عنه."

"أي طفل؟"

"نعم، هذا ما تساءلت عنه. عما إذا كانت مايا هي من يفكر فيه. بعد كل شيء، كانت أمي هي التي حصلت على الوصاية، والتي فعلت كل ما في وسعها لتوفر لها حياةً جيدة، بينما فقد أبي التواصل معها تماماً. لكن الأمر لم يكن كذلك في الحقيقة. وضعت قطع الورق على الأرض كما لو لحل أحجية. أدركت أن للأمر علاقة بطفل أبيض البشرة. كان هناك الكثير من البياض: بشرة بيضاء، معاطف مختبرات بيضاء، جدران بيضاء، ثلج أبيض وريش أبيض.

"تجمع الكثير من الحزن في تلك النصوص. شعرت أن أبي كتب شيئاً لم يتحدث عنه مطلقاً. شيئاً لم يستطع قوله بلغته الواضحة المعتادة. كل قطع الأوراق تلك، أنصاف الجمل، الكلمات المشطوبة، كلها كانت بحثاً عن طريقة جديدة ليعبر بها عن نفسه.

"اتصلت بمونا، لكن لم تكن لديها أدنى فكرة عن ذلك كله. لم يكن أبي يطلعها على أي شيء ولم تكن مهتمة بصفة خاصة حقاً أيضاً. لم يكن قد تحدث معها عن أي طفل على الإطلاق.

"وهكذا، ذهبت لرؤية أمي. كانت قد عادت إلى ستوكهولم بعد الوقت الذي قضته في فاربيغ، وإنما قبل أن تنتقل إلى غوتلاند. لكننا لم نكن نتقابل كثيراً. تواصلت أمي فقط مع أصدقاء في المجتمع الكاثوليكي. كانت تسكن في شقة من غرفة واحدة بقليل من الأثاث وصليب على الجدار. جلسنا في مطبخها الصغير وشربنا الشاي بماء الورد، وأخبرتها عن قصاصات أبي. سألتها إذا كانت تعرف أي شيء عن طفل تخلى عنه. وقالت: 'طبعاً. إنه يعني لينا'. سألتها عمن تكون لينا، فقالت كما لو تخبرني عن مسألة عادية تماماً: 'شقيقتك'."

"شقيقتك،" كرّرتُ.

"هذا ما قالته. وكنت أعلم أنها غريبة قليلاً في ذلك الوقت، منكفئة وحزينة

t.me/ktabpdf مكتبة

ومتدينة وما إلى ذلك، لكنها عندما قالت ذلك فكرت بأنها أصبحت مريضة جداً فعلاً. اعتقدت أنها جُنّت. لكنها أخبرتني بكل شيءٍ عندئذ، بهدوء وحياد، وكأنها تتحدث عن أحد آخر، وليس عن نفسها."

توقف بينس عن الحديث وخلع سترته. كانت الشمس دافئة. علّق سترته على كتفيه وربط الأكمام في الأمام. انتظرت أن يتابع بصبر نافد.

"كنت أعلم طبعاً أنها التقت بأبي في وقت مبكر، وأنهما تزوجا أيضاً وهما صغيران جداً. كانت أمي في السابعة عشرة فقط وترتب عليهما الحصول على إذنٍ خاص من الملك."

"لأنها كانت حاملاً"؟ سألت.

"هذا ما اعتقدته دائماً. ولكن، عندئذٍ، وُلدت إيفا بعد ذلك بعدة سنوات، ولذلك اعتقدت دائماً أن أمي أجهضت في تلك المرة الأولى، أو أن ذلك كان إنذاراً خاطئاً، ببساطة."

"لكن لم يكن هناك إجهاض. وُلد الطفل. وكان فتاة. كان فيها عيب كبير. لم تستطع أمي أن تخبرني ما هو بالضبط. ولكن بحسب الطبيب، لم يكن بمقدور الطفلة أن تعيش حياةً طبيعية أبداً. لم يُسمح لأمي بأن تراها أبداً. سألتها عن السبب. أجابت: 'إما لأنها بدت مثل مسخ وأرادوا حمايتي من الصدمة، أو لأنها كانت حلوة جداً إلى حد أنني لن أتمكن من التخلي عنها'.

"لكنه توجب التخلي عنها. لقد قرر الطبيب. رفضت أمي. وتحدث الطبيب إليها مطولاً. تحدث إلى أبي واستطاع أن يقنعه. تحدث إلى والديْ أبي، ووالديْ أمي، وحاولوا كلهم إقناعها. كانت يافعة جداً، ما تزال طفلة هي نفسها تقريباً. كان يمكن أن تَفسُد حياتها كلها. هي التي تملك العديد من المواهب، لن تستطيع الوفاء بحاجات الطفلة الصغيرة الكثيرة. كانت هناك مؤسسات تختص برعاية الأطفال من ذلك النوع. انهالت عليها الحجج من كل صوب. كانت في الغرفة وحدها، وكل أربع ساعات يدخلون عليها بآلة شفط لتحلب ثدييها. عدة مرات في اليوم، كان يأتيها أحد ما -قريبٌ، طبيبٌ، أو خبير ليقنعها، ليوضح ما هو الأفضل لها وللطفلة

ولأبيها... قالت لا في كل مرة. وفي النهاية، استطاع أبي إقناعها. كانت معه الورقة ووقعتها. وإلا فإنه سيتركها. لم يقل ذلك ولكنها رأته في عينيه. كانا متزوجين حديثاً لكنه سيغادر إذا استبقت الطفلة. كانت مقتنعة بذلك.

"بعد أن وقّعت قبّلها وركض تقريباً وهو يخرج من الغرفة والورقة في يده. بعد ذلك عانت نوعاً من الانهيار. صرخت وبكت ومزقت ملاءات السرير وكيس الوسادة إلى مِزَق. ثم فكّت قطب إحدى الوسائد وهزتها حتى طار ريشها في كل الاتجاهات. عندما عاد أبي إلى الغرفة مع ممرضة، وجداها واقفة على سريرها تهز الوسادة. كانت الغرفة مليئة كلها بالريش. بدا كما لو أنها تثلج. لا بد أنه هذا المشهد هو الذي عاد مرة وأخرى في محاولات أبي الشعرية."

"لكنهما تخليا عن الطفلة حقاً؟" سألت.

"نعم، وُضعت في دار للرعاية. لم يرها أبي وأمي أبداً، ولا حتى مرة واحدة، وهو ما أمر به الطبيب: أن لا 'يربكاها' بزيارتها. أعطاها الموظفون اسم لينا، وصادق أبي وأمي على هذا الاسم بتوقيع آخر. عندما بلغت لينا الخامسة، أصيبت بالإنفلونزا وماتت. كان دفاعها المناعي ضعيفاً جداً. في ذلك الوقت، كانت أمي حاملاً بإيفا.

"بينما تخبرني أمي بكل هذا، خالطني شعور بأن ذلك كان شيئاً تمكنت من التغلب عليه. وفهمت أن ذلك هو ما عملت عليه كل تلك السنين. تأملاتها الطويلة، رحلات حجها، زياراتها للأديرة -كلها كانت للتكفير عن ذلك التوقيع. الآن غُفر لها أخيراً. أو أنها أصبحت ترى الأمر بطريقة مختلفة. عندما تحدثت عن أبي الذي جلس هناك وتلك الورقة المصيرية في يديه، ضحكت قليلاً. بدت متعاطفة قليلاً عندما تحدثت عن الضعف والخوف اللذين رأتهما في وجهه. بدا وكأنها وصلت إلى نهاية طريق طويلة. الطريق نفسه الذي بدأ أبي السير فيه عندما كتب تلك النصوص الملتبسة على قصاصات ورقه. لكنه لم يصل أبعد من ذلك أبداً."

"ومتى بدأت كارين ذلك كله؟" سألت. "أهو عندما تبنيا مايا؟"

"لا أدري كم كانا واعيين للأمر في ذلك الوقت."

t.me/ktabpdf مكتبة

رأيت صورة الصحيفة أمامي: مايا وزجاجة حليبها مربوطة بها، المهد الصغير، والذباب.

"ولكن،" قلت، "عندما وقفا في تلك الغرفة في دار بانغالور للأيتام، ورأيا الطفلة الصغيرة في سريرها، لا بد من أنهما تذكرا الفتاة الصغيرة الأخرى في دار الأطفال الأخرى. ألا تظن ذلك؟"

"ربما. لكنني أعتقد أنه كان لديهما الكثير من الأمور الأخرى ليفكرا فيها أيضاً. بعد كل شيء، كانا هناك كصحفيين، يُفترض أن يجمعا المواد ويرسلا التقارير. أعتقد أنهما فكّرا بالحياة الخاصة لكل منهما باعتبارها غير ذات صلة إطلاقاً. كان يومُ مولد لينا قد مضى عليه وقت طويل. وأنجبا أربعة أطفال منذ ذلك الحين، وأصبحا محترفين معروفين يحظيان بالاحترام. كلا، لا أعتقد أنهما فكرا بلينا في ذلك الوقت. كان لهما منظور أوسع. أصبحا ينظران بنقد حاد إلى العالم وشعوبه وليس إلى نفسيهما."

سرنا في مجاز ضيق كان شارعاً في السابق. في الأيام القديمة، قاد الناس سياراتهم وجراراتهم وعربات قشهم هنا. والآن أصبح هناك شارعٌ جديدٌ وأفضل في الجوار، والطريق القديم الذي غطته الأعشاب، أصبح ممراً. لم يعد بوسعنا المشي متجاورَين. مشيت أولاً وبينس خلفي. نظرت إلى الأرض ورأيت كل الوقت الشارع القديم الذي لم يعد موجوداً: الأخاديد البالية البيضاء الرمادية الناعمة المعبأة بالرمل المتصلب والأصداف وأنصال العشب التي نمت بينها أنصال جديدة.

"كنت أفكر بالقصص التي تتحدث عن الاستبدال." قلت "كما تعلم، يأخذ الغول الطفل من الأم ويضع ابنه هو في المهد. وتتعلق معظم هذه القصص بالمرأة التي تصنع شيئاً رهيباً بطفل الغول، كأن تحرقه بألسنة النار أو شيء من هذا القبيل، ثم تأتي أم الغول لتحمي ابنها وتعيد طفل المرأة. يصعب أن يتصور المرء المآسي الحقيقية خلف هذه القصص. الأطفال الذين بدوا طبيعيين عند الولادة، ثم أصيبوا بنوع من الإعاقة في وقت لاحق. كتبت سلمى لاغرلوف نسخة مسيحية أكثر إنسانية من القصة عن أم تحاول أن تكون لطيفة مع الطفل البديل، وعندما تستعيد طفلها

أخيراً، يتبين أن طفلها عاش نوعاً من الوجود الموازي الذي كانت أفعالها هي التي تتحكم فيه. كلما لم تستطع أن تطيق الطفل المستبدل وصفعته، كانت أم الغول، بعيداً في الجبل، تصفع الطفل البشري. وعندما عاملت الغول الصغير جيداً، كانت أم الغول تعامل الطفل البشري بشكل جيد أيضاً."

"نعم، قرأت ذلك قبل وقت طويل،" قال بينس. "إنها قصة مؤثرة."

"أعتقد أنك تستطيع أن تفكر في تبني مايا مثل ذلك النوع من قصة الاستبدال."

"تعنين أن أمي حاولت خلق وجود مليء بالحب للينا في دار رعاية الأطفال عن طريق العناية بمايا؟ أنها حاولت أن تؤثر في الماضي؟"

"نعم. ذلك مستحيل بطبيعة الحال. ولكن، أليس ذلك النوع من الأشياء هو ما نفعله كل الوقت؟ أليست كل حياة الرشد هي زمن نعيد فيه تشكيل خبراتنا في الطفولة والشباب؟ إننا نكررها، نحسنها، ونصقلها حتى تتفق مع فكرتنا عن الأخلاق والسعادة والجمال. إنك لا تكون على وعي بذلك طبعاً. على سبيل المثال، لم أكن واعية مطلقاً لحقيقة أنني رتبت غرفة معيشتي كنسخة عن الغرفة في منزلكم الصيفي."

"ولكن" قال بينس، "إذا كان الأمر هكذا فعلاً، إذا أرادت أمي أن تعيد تشكيل حياة لينا عن طريق منح الحب لطفلة مهجورة أخرى، فلا بد من أنه كان رهيباً بالنسبة لها أن مايا لم تقبل حبها. بعد كل شيء، دفعتها مايا بعيداً عنها. لم ترغب أن يلاطفها أحد. لا بد من أن تكون أمي قد فهمت ذلك كنوع من العقاب."

"والأمر المروع أن تختفي هذه الطفلة فعلياً،" أضفت.

صمت بعض الوقت. سمعت صوت خطواته ورائي على الممر فقط. ثم تابع: "تحدثت في الحقيقة مع أمي حول ذلك في تلك المرة التي شربنا فيها الشاي بماء الورد في مطبخها الصغير. كانت تلك هي المرة الأولى التي نتحدث فيها عن اختفاء مايا. لم نكن قد ألمحنا إليه مطلقاً قبل ذلك. بدا ذلك دائماً شيئاً لا معنى له، ولم يكن له أي تفسير، بعد كل شيء. أسئلة فقط، ولا إجابات. لكنها الآن طرحته هي نفسها. قالت إنها تعرف الآن أين كانت مايا خلال تلك الأسابيع. دُهشت

t.me/ktabpdf مكتبة

كثيراً بالطبع، وسألتها 'أين كانت؟'. كانت عاقلة ومنطقية طيلة الوقت حتى أنني لم أكن مهيأ لاستقبال إجابتها. ابتسمت لي وقالت: 'ألا تفهم؟ كانت مع لينا طبعاً'.

"ارتجفت لأنني أدركت أنها مجنونة بالرغم من ذلك كله. استجمعتُ نفسي وسألتها بهدوءٍ قدر الإمكان: 'ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟' وأجابتني. 'الريش في ضفيرتها. قطعة الريش الصغيرة البيضاء. كانت تحية من لينا'. بدت في منتهى السلام وسعيدة جداً عندما أخبرتني بذلك، حتى أنني لم أرغب في الاحتجاج."

"لا بد من أنها اعتبرت الريش الذي نثرته من الوسادة الممزقة الأمر الإيجابي الوحيد الذي حدث في ذلك الوقت،" اقترحتُ. "كان تساقط ذلك الثلج الثوري الجامح هو احتجاجها اليائس، رفضها الذي أبقت عليه في داخلها."

مشينا على الممر وكنت أرى كلا الطريقين، الموجود الآن وذلك الآخر الذي لم يعد موجوداً، كما لو يشكلان صورة مضاعفة. انفصلا أحياناً. اتخذ الممر الضيق مسالك مختصرة لم يكن القديم ليسلكها، وإلا لاتخذ مسارات التفافية بسبب الأجمات التي لم تكن هنا في السابق.

لاحظت أن هناك شيئاً يدفعنا بثبات في اتجاه يسار الشجيرات. كانت الغابة تمارس ضغطاً لم يكن الممر الصغير يستطيع تحمله. وشيئاً فشيئاً أصبح منفصلاً تماماً عن اتجاه الطريق القديم بالغطاء النباتي. لاحظت كيف حدث ذلك. خدشني فرع شجرة عُليق واتخذت خطوة إلى اليسار. وفي المرة التالية التي رأيت فيها شجر العليق، صرت أتحرك إلى اليسار في الوقت المناسب. بعد ذلك تابعت المشي على العشب إلى يسار الممر.

"هناك في الأعلى توجد البركة التي كنا نمسك منها الضفادع الصغيرة. هل تذكرين؟" قال بينس.

فتحنا بوابة وعبرنا إلى المرج. لم يكن مكسواً كثيراً بالعشب الفائض على الأقل. يبدو أن الخيول ترعى هنا، بما أن هناك روث خيول هنا وهناك. هذا المشهد الخريفي المفتوح، بعشبه الأصفر، وسناسله الحجرية المنخفضة وغيضات الورد المضطرمة،

ذكرني بإنجلترا. ولولا الصخور الرمادية المحيطة، لتخيلت فرقة صيد تظهر في أي وقت.

"هناك حادثة أخرى فكرت بها كثيراً" قال بينس. أصبح يمشي إلى جانبي الآن، ولذلك لم أره بينما يتحدث. "كان ذلك في ربيع ١٩٧٣، أي بعد عام من اختفاء مايا. كان أبي قد أقام في غوتنبرغ طيلة الشتاء. ولم يكن هو وأمي قد تطلقا بعد. لم نكن ندري كيف سيكون المستقبل حقاً. إذا كان سيعود إلى أمي ومايا ولي، أو أنه سيبقى حيث هو. على أي حال، كنا في طريقنا لزيارته. كانت تلك فكرته هو. لم يشأ أن يستقبلنا في المنزل -في الواقع، لم نكن نعلم أين يعيش، وهو لم يخبرنا أيضاً- كنا سنقابله في مطعم. دعانا إلى العشاء في مطعم صيني. لم نكن قد قابلناه منذ انتقل في الخريف السابق، وإنما تحدثنا معه على الهاتف فقط.

"كانت تلك الرحلة فشلاً ذريعاً منذ بدايتها. لم نتمكن من العثور على المطعم الصيني. كانت الاتجاهات التي حددها أبي مبهمة، لكنه قال إن العثور عليه سهل، قرب الميدان، والجميع يعرفون أي يقع مطعم مينغ. لم يكن الذين سألناهم يعرفونه مع ذلك، وعندما وصلنا إلى هناك في نهاية المطاف، كان أبي ينتظر مسبقاً منذ خمس وأربعين دقيقة، وقد سكب في نفسه الكثير من الساكي خلال ذلك الوقت. ثم، تشاجر هو وأمي كل فترة تناولنا الطعام. كان أبي ثملاً وصوته عالياً وبكت أمي. أبعدتُ مايا عن الطاولة وأخذتها لنطعم السمك الذهبي في حوض السمك حبات الأرز وفتات كعك البيكينغ. تظاهر الصينيون بأنهم لا يلاحظون، وانسلوا في الجوار والتقطوا قطع زجاج كوب أوقعه أبي، وانحنوا وابتسموا. كنا ضيوفهم الوحيدين. وعندما أراد أبي أن يدفع الحساب لم يكن معه ما يكفي من المال، ولذلك اضطرت أمي إلى دفع الفرق.

"عندما ودّعنا أبي وكنا في طريقنا إلى المحطة، صادف أن مررنا، أمي ومايا وأنا، من أمام معرض صغير. كان في قبو ولم نكن لنلاحظه لو أن مايا لم تتوقف أمام النافذة وترفض التحرك. رأت شيئاً ما في الداخل أثار اهتمامها. كان لدينا الكثير

t.me/ktabpdf مكتبة

من الوقت لنلحق بالقطار، بما أننا لم نكن قد توقعنا أن ينتهي لقاؤنا بأبي فجأة وهكذا، اقترحت أمي أن ندخل."

"كان ذلك معرضاً غريباً، يتكون من أشياء مختلفة، مصنوعة في معظمها من مواد توجد في الطبيعة. أتذكر جمجمة غزال بقلنسوة من رقاقات الألمنيوم اللامعة، وقروناً مغطاة بالريش؛ أعشاش طيور مملوءة بالزهور الشوكية وأعشاش دبابير؛ قفصاً مضفوراً من الأغصان يضم جناحاً ممزقاً لطائر، وقفصاً آخر فيه بيضة مطلية بالذهبي؛ وهيكلاً عظمياً كبيراً لسمكة مغلفة بمعطف من العشب المجدول وخيوط الفضة.

"كان يمكن أن تكون هذه المعروضات من صنع شعب بدائي ما، لو لم يكن هناك طلاء الذهب والفضة ورقائق الألمنيوم التي جعلتي أفكر أكثر بعصر الفضاء. افتتنت أمي بالمعروضات تماماً وتساءلنا عمن يكون قد صنعها. أخبرتنا المالكة أن اسم الفنانة هو كريستينا ليندونغ. أرادت أمي أن تعرف ما إذا توفرت أي معلومات عنها، فأشارت المرأة إلى طاولة أبعد في الداخل.

"على الطاولة وجدنا صورة لوجه فتاة شابة بشعر طويل مفروق من الوسط وعينين كبيرتين جادتين. إلى جانب الصورة شمعة مضاءة. بدا ذلك مثل مذبح بطريقة ما. وجدنا هناك أيضاً كومة من الأوراق التي تضم معلومات. لم تكن من نوع القائمة المعتادة لكليات الفنون والمعارض، وإنما بضعة سطور فقط تذكر اسم الفنانة، وسنة ولادتها وبلدتها. وهناك أيضاً جزئية محيرة جداً: أن الفنانة اختفت في نوفمبر ١٩٧٢، وأنها ماتت على الأغلب.

"أرادت أمي أن تعرف كيف حصلت مالكة المعرض على الأعمال، فأخبرتنا أن اختصاصية اجتماعية في مستشفى ليلهاغن للأمراض النفسية هي التي أقنعها بفتح هذا المعرض. كانت مريضة سابقة هي التي صنعت المعروضات.

"لكن أغرب ما في الأمر كله كان ردة فعل مايا. كانت كارين قد جرّتها قبل ذلك إلى المتاحف، ومسرح الأطفال والعديد من الأماكن الأخرى، ولم تكن مايا مهتمة مطلقاً. لكن هذه المرة كانت مختلفة. بدت مسحورة بالمعروضات الفنية. في

البداية، تنقلت ببطء من معروضة إلى أخرى، وهي تحدق فيها فترات طويلة من الوقت بعينين مدهوشتين، وتمد يدها لتلمسها بحذر.

"ثم بدا كما لو أنها تبحث عن شيءٍ ما. تجوّلت في أنحاء الغرفة مراراً وتكراراً، وبحثت في كافة الأرجاء. وعندما لم تجد ما تبحث عنه، أرادت الدخول إلى مكتب المالكة. لم نستطع إيقافها: توجب عليها الدخول إلى هناك بلا جدال. وفي الداخل، بحثت تحت المكتب، داخل الخزائن، وفي خزانة المكانس والحمام. وفي الأثناء، كانت تطقطق بلسانها مثل سنجاب. لم نكن قد سمعناها تفعل ذلك من قبل أبداً. تصرفت بغرابة شديدة. وعندما أردنا الذهاب، رفضت المضي معنا، واضطررنا إلى حملها إلى القطار وهي تعض وتركل."

مشينا عبر المروج وأصبحنا على الصخور الآن. كنا نسير مجدداً نحو الشمال. تعقبتنا الروائح الدافئة للعشب الجاف والغطاء النباتي المضمحل بعض الوقت، ثم حلت محلها رائحة باردة من البحر.

كنت منزعجة بعض الشيء من حقيقة أن بينس كان يقيم في غوتنبرغ في ذلك الوقت دون أن يعلمني. كنت لأسعد لو أنه اتصل بي واقترح لقاءً قصيراً. كنت سأهرع إلى أي مكان يقترحه للقاء وأتجاهل أي خطط أخرى قد تكون لديّ. كانت رؤية بينس ستكون بروعة رؤية آن ماري نفسها تقريباً.

أتعبتنا الجولة جسدياً، وانتهت محادثتنا أيضاً. عدنا إلى المشي واحدنا وراء الآخر مجدداً. سار بينس أولاً. لاحظت أنه يتحرك بخرق تقريباً، بل بدا متقطع الأنفاس قليلاً. وعندما سار بتلك الطريقة وانفتح قميصه، لاحظت أنه بدأ يتكرش، وهو ما فاجأني. كنت قد ظننت حتى تلك اللحظة أنه في هيئة جيدة بلا مراء. وعندما تجاوزته أدركت أنه واجه صعوبة في مواكبتي، وهو —والذي يخجلني قوله— ما أشعرني بالرضا إلى حد ما.

وقفت فوق صخرة وانتظرته، متظاهرة بكياسة بأنني أستمتع بالمشهد. لم أكن في حاجة إلى التظاهر في الحقيقة. كان المشهد رائعاً حقاً. الخليج الضحل الذي انفتح على البحر المفتوح الواسع؛ الجزر التي تناثرت عليها القليل من المنازل، بيضاء

t.me/ktabpdf مكتبة

مثل مكعبات السكر في ضوء الشمس. عندما وقفت هناك، جاء اسم كريستينا ليندونغ إلى خاطري. عرفت أنني سمعته من قبل، لكنني لم أتذكر أين.

واصلنا المسير، وبينما نمشي هابطَين منحدراً حاداً، ميّزت الوادي المحتشد بالأجمات تحتنا. كان ذاك هو الوادي الذي يقود إلى شاطئ المحار. كنا قد قمنا بالتفافة طويلة، لكننا هبطنا أخيراً هنا بالرغم من ذلك كله. زحفنا عبر أشجار السنديان الصغيرة والعرعر وغيضات زهور العسل المتسلقة المشتبكة. ذكرني ذلك مرة أخرى بكم من الغريب أن تشعر وكأنك في أعماق غابة بدائية هائلة، بينما تختبر في الوقت نفسه الرائحة القوية للمياه المالحة والأعشاب البحرية والمحار. حشرنا نفسينا عبر جدار العرعر في المكان الوحيد الذي يمكن العبور منه، بجوار الجلمود الصخري. بدا أن بينس يتذكر المكان هو أيضاً، لأنه اتجه مباشرة إلى الموضع الصحيح.

وقفنا، وقد أعشانا الضوء الحاد، على الشاطئ. كان المد منخفضاً وظهرت أكوام المحار واضحة في الخليج. وارتعشت وسائد من زبد البحر القذر على حافة الشاطئ.

نظرت إلى جلاميد الصخور الكبيرة. كان المكان في الصخرة فوقها حيث التصقت في السابق يشع في ضوء الشمس بحُمرته الضاربة إلى البني، الشبيهة بلون اللحم، مختلفاً عن بقية سطح الصخرة. عند هذه النقطة تذكرت فجأة أين سمعت كريستينا ليندونغ. ذلك هو اسمها، المرأة التي وجدها ماكس تحت الصخرة. الهيكل العظمي.

أخبرت بينس عن اكتشافنا.

"هل كنتِ أنتِ الشخص الذي وجدها؟" قال مندهشاً.

"ماكس، ابني،" صححته.

"قرأت عن ذلك في الصحيفة. اشتريت الصحيفة في محطة للبنزين في طريقي إلى هنا. رأيت اسمها ثم تذكرت المعرض. لم أكن متأكداً في ذلك الحين، ليس متأكداً

تماماً، لكنني اعتقدت أنه اسم الفتاة التي صنعت تلك المعروضات الغريبة. كريستينا ليندونغ. أتعنين حقاً أنك أنتِ من وجدتها؟"

"ابني،" قلت مجدداً.

"ولم يجدها أي أحد قبل ذلك؟" غمغم.

مكتبة

"لا يوجد الكثير من الناس غيرنا ممن يعرفون الطريق إلى هنا عبر البر." قلت. "من شبه المستحيل الوصول إلى هنا بالقارب. سيتوجب عليك أن توقف القارب هناك حيث مخاضات المحار الضحلة. يمكنك الحصول على المحار هناك، لكن المكان ضحل جداً بالنسبة لقارب. إنه ليس شاطئاً للسباحة بالضبط. أعتقد أن الناس لا يأتون إلى هنا كثيراً."

جلس على الصخرة بجوار واحد من التجاويف الكبيرة. كان مليئاً بالماء، ونمت فيه أعشاب البحر. وعلى الجدران الداخلية فوق سطح الماء، ارتسمت حلقات لامعة من رواسب الملح.

نظرت إليه وتساءلت في نفسي عما إذا كانت آن ماري قد شابت هي أيضاً. لم أستطع تخيل ذلك.

"هل زحفت أنتِ هناك بنفسك" أراد أن يعرف.

هززت رأسي نفياً.

"لا، كلا، قطعاً لا. الولدان فقط دخلا إلى هناك."

"أنا زحفت إلى هناك في الواقع،" قال.

حدقتُ فيه باندهاش.

"أنت؟ متى فعلت ذلك؟"

"قبل بضعة أيام. اضطررتُ إلى أن أفعل عندما قرأت عنه في الصحيفة. أن هناك حقاً ممراً كهذا، لم أستطع أن أصدق ذلك ببساطة. وأننا لم نكتشفه أبداً. زحفت الطريق كله إلى الأعلى. هناك الكثير من الفتحات والفجوات الصغيرة في

t.me/ktabpdf

مكتبة

كل مكان. لم يكن الممر مظلماً بشكل خاص، لكنه ضيق جداً بالنسبة لشخص بالغ. عندما تتقدمين أكثر إلى الأعلى ستجدين منطقة مستوية واسعة جداً. يرجح أن يكون ذلك هو المكان الذي وجد فيه أولادك الجثة. وهناك فتحة في جانب الصخرة على ارتفاع الرف الصخري نفسه الذي وقفت عليه مايا في ذلك اليوم بالضبط."

نهض وسار بضع خطوات حتى نتمكن من رؤية جدار الصخرة الذي يغوص هابطاً إلى البحر، على الجانب الآخر من الجلمود الصخري. كان من الصعب رؤية الرف بسبب الطريقة التي سقط بها الضوء في ذلك الوقت. لكن بعض نوارس البحر المحتشدة جلست هناك متجاورة، وهو ما أظهر لنا موضعه.

كريستينا

t.me/ktabpdf مكتبة

إنها الحبوب. ما كان يجب أن تتناول الحبوب. غطتا في النوم معاً، كالعادة، قريبتين من بعضهما في الكهف ذي الجدران المشمشية. كانتا قد سلكتا الطريق البري، وكان الطقس حاراً وأتعبهما المشي عبر الصخور. في أحد الأماكن رأتا رجلين في طريقهما إلى قارب شراعي كان راسياً في خليج. اختبأت الصغيرة فوراً خلف صخرة، وظلت مختبئة حتى مر الرجلان. لم تطلب كريستينا منها أن تختبئ من الناس مطلقاً. فعلت ذلك وحدها، ببساطة.

في الكهف، أبقت كريستينا مستيقظة لوقت طويل، داعبتها بالريش وضحكت. لكنها أخيراً غطت في النوم وسمعت كريستينا تنفسها المنتظم النائم.

عندما استيقظت، كان العالم كله قد تغير. لم تكن شعاعات الشمس تنسل عبر الفجوات وتحرض البريق في الجدران. جاء ضوء رمادي مصفر فقط من الخارج وظل معظم الكهف مظلماً.

وجدت المكان إلى جانبها فارغاً. كانت تلك أول مرة، منذ ستة أسابيع، تصحو فيها ولا تجد ذلك الجسد الدافئ بجوارها.

تلمست كريستينا في الظلام، بيديها، تفحصت كل أسرة الريش والسرخس من جدار إلى آخر. لم تكن الصغيرة هناك.

ثمة ضجيج في الخارج. صراخ. هدير محركات قوارب. كيف استطاعت النوم مع كل هذه الجلبة؟ عادة ما كانت تستيقظ على أخف الأصوات؟ لكنها الحبوب. زحفت إلى الفجوة التي تنفتح على الجدار الصخري شديد الانحدار حيث تجلس النوارس عادة، ونظرت إلى الخارج.

t.me/ktabpdf مكتبة

لم تكن أي طيور هناك. وإنما وقفت الصغيرة هناك على الحافة بدلاً منها. وقفت ساكنة تماماً وقد التصق ظهرها بالجدار وهي تحدق في الماء في الأسفل. كانت الحافة واسعة بما يكفي لقدميها فقط. نقرت كريستينا بلسانها بالطريقة التي تستخدمانها عندما تناديان بعضهما بعضا. نظرت إليها الفتاة الصغيرة بعينين مرتعبتين مفتوحتين عن آخرهما، لكنها لم تتحرك. لم تجرؤ على العودة: لم تستطع العودة. لا بد أن تكون قد وصلت إلى الحافة بحشر نفسها عبر الفتحة الضيقة بين الجلاميد الصخرية وحطت في مكان ما وسط الجدار، وتابعت بوضع يديها وقدميها في الشقوق وعلى النتوءات. تسلقت وهي تنظر إلى الأمام. وحتى تهبط إلى أسفل، لا بد أنها فعلت ذلك بالأقدام أولاً دون أن ترى أين تضعها. أصبحت في مكان يمكنك الوصول إليه إذا كنت محظوظاً وحاذقاً فقط، لكنك لن تستطيع أن تغادره.

كم من الوقت وقفت هناك؟ لا بد أن تكون قد استيقظت على الأرجح، وربما حاولت إيقاظ كريستينا، لكنها لم تتمكن من ذلك. ثم رأت النوارس عبر الفتحة على الحافة، وأرادت أن تحمل نفسها إلى هناك في الأعلى.

فكرت كريستينا مليّاً بكيفية إنقاذ الطفلة. لو أنهما وحدهما، لحاولت أن تجعلها تقفز. كان المكان مرتفعاً. لكن الماء عميق بجوار الصخرة والصغيرة تسبح مثل سمكة. كانت كريستينا ستنزل إلى الماء تحتها وتحثها على القفز كما تحث الطيور صغارها ليجرؤوا على القفز من الصخرة. وعندما تقفز، ستسبح كريستينا إلى جانبها حول الصخرة الكبيرة إلى الشاطئ. هذا ما كانت ستفعله لو أنهما وحدهما. كانت الأمور لتسير على ما يرام: كانت الصغيرة ستجرؤ. ليس في البداية، وإنما في النهاية. إنها تثق بكريستينا بما يكفي لتفعل ذلك.

لكنهما لم تكونا وحيدتين. من المكان حيث تقف تحت الجلمود، لم تكن تستطيع أن ترى الماء في الأسفل، وإنما الأعلى فقط. لكنها سمعت الأصوات الحادة المستثارة وضجيج المحركات.

سرعان ما جاءت المزيد من القوارب، والمزيد من الأصوات. كان هناك أناس على قمة الجلمود الصخري.

خيمت العتمة وأضيء الجرف بالمصابيح اليدوية وأضواء البحث. وقفت الصغيرة منضغطة إلى جدار الجرف مثل حشرة. كانت خائفةً حتى الموت، وإنما صامتةً تماماً.

أنزلوا رجلاً إلى الصغيرة بحبل ملتف حول خصره، والتقطها ثم سحبوه إلى الأعلى مجدداً. تردد صدى هتافات الناس المبتهجة عبر الخليج.

هدرت محركات القوارب وغادرت. والأصوات فوق الصخرة تلاشت. كل شيء أصبح هادئاً. والصغيرة اختفت.

t.me/ktabpdf مكتبة

تابَعت كريستينا حياتها كالسابق. جدفت في الخليج وأبحرت خارجة إلى الجزر الصخرية كلما أتاح الطقس لها ذلك. مشت عبر الصخور والمروج. جمعت كنوزها في سلتها. جلست إلى طاولتها وانضمت إلى بقايا الطبيعة وأيقظت الحياة في الأشياء الميتة. قادت دراجتها إلى المخزن، غسلت ملابسها، وخبزت خبزها.

لكنها لم تعد تسافر صاعدةً إلى الأعلى في برج من الزجاج والضوء. شعرت كريستينا بالوحدة، وهو ما كان شعوراً جديداً عليها. لطالما شعرت بأنها تملك كل ما تحتاجه... كانت مشكلتها هي الدفاع عن نفسها أمام كل ما هو غير ضروري، وحماية نفسها من الأذى. كانت تحرص دائماً على الابتعاد عن البشر. لأول مرة في حياتها اشتاقت إلى شيءٍ ما. وللمرة الأولى في حياتها اختبرت وجيعة الفقدان.

تغلف عالمها بغلالة من الحزن. كل الأماكن التي ذهبت إليها مع الصغيرة، الحجارة التي جلست عليها، والصخور التي تسلقتها، والمروج والشطآن التي ركضت فيها، كل شيءٍ تغطى الآن بهذه الغلالة القاتمة.

انتهى الصيف... وهدأ الخليج. أصبح الماء أسود وعبثت العواصف المطرية بالصخور.

في كل مرة استيقظَت فيها بين الملاءات على الأرض، أرادت أن تمد يدها لتلمس الصغيرة. كانت تلك ردة فعل انعكاسية بقيت لديها مع أنها تعرف الحقيقة. في ذلك الوقت، وقبل أن تستيقظ تماماً، تملكتها ذكرى الصغيرة بقوة كبيرة -رائحتها، بشرتها الناعمة، والطريقة التي دغدغتها بها أنفاسها. كانت تستلقي هناك مغلقة

العينين طويلاً لتحتفظ بهذه الانطباعات. وحين تفتح عينيها، ترى المكان الفارغ فحسب. لكن كل رسومات الطيور الصغيرة ما تزال هناك على الجدار.

ببطءٍ، لفها الظلام.

سحبت زورق الكاياك من الشاطئ إلى البيت، غلّفته بالقماش المضاد للماء، ثم ربطته بإحكام بجدار الكوخ.

تغلغل فيها الظلام. لم تعد صلبة غير قابلة للاختراق. حفر الظلام طريقه إلى داخلها. جوَّفها، وملأ الفراغ الأجوف في صدرها.

لم تكن الأشياء تتحدث إليها أبداً بقدر ما أصبحت تفعل الآن. أصبحت تسمعها بمجرد دخولها الكوخ. كانت تهمس وتناديها من داخل صناديقها.

وضعتها على الطاولة –قشور السرطانات، ريش طيور العقعق، خصلات فراء الأرنب، الهيكل العظمي النحيل لرأس نورس بحري. تحدثت إليها الأشياء عن الذبول، والتفكك، والجفاف والتحلل.

"المسينا،" ناشدتها الأشياء. "أيقظينا، امنحينا الحياة."

وهي التقطتها، ضمتها معاً بالغراء والأسلاك النحاسية والشرائط الجلدية، حتى تتجاور أصواتها، وتمتزج معاً، وتصبح أصواتاً جديدة.

"احمنا، اجعلينا أشد بأساً،" همست الأشياء.

وهي رسمت عليها رموزاً حامية، ضفرت لها أقفاصاً من الأغصان، وغلّفتها بخوذ من رقائق القصدير وألبستها معاطف من العشب وخيوط الفضة.

عملت حتى تعبت، ثم رقدت على الأرضية ونامت لوقت طويل.

ذات يوم، عبأتْ حافظة بالشاي. حزمتْها وحبوبها في حقيبة ظهرها وسارت عبر الصخور المبتلة بالمطر إلى الشاطئ حيث الكهف المختبئ داخل الجرف.

زحفت عبر المدخل صاعدة إلى مفرش الريش. في الفتحة بين الجلاميد الصخرية، رأت نورساً يجلس على حافة الجدار، وقد نفش ريشه تحت المطر.

t.me/ktabpdf مكتبة

سكبت لنفسها بعض الشاي، تناولت حبات الدواء واحدة تلو الأخرى وابتلعتها مع الشاي. أخذت وقتها، ولم تتوقف حتى فرغ الوعاء... ثم استلقت. لم تعد تشعر بالبرد المجمد.

كان المكان في الكهف أكثر ظلمة، لأن نورس الرنجة يجلس في الفتحة. رفعت الريح ريشه، وجعلت الريش يرتجف. بدت النظرة في عينيه مثل زجاج بارد أصفر.

أولريكا

t.me/ktabpdf مكتبة

"يمكنني أن أصنع العشاء،" قلت. "إذا أردت أن تكتب."

وقف بينس أمام خزانة المؤونة، ينظر متفكراً في محتوياتها. "جميل،" قال بينس واستدار ممتناً. "سوف تأتي زوجتي لتقلني غداً، وأريد أن أكون قد انتهيت بحلول ذلك الوقت."

وضعت مئزراً ذا مربعات كان يتدلى من خطّاف على الباب، وتفحصت خزانة المؤونة والثلاجة، واستنفرت قوى التخيل لديّ لأفكر بشيء مثير للاهتمام يمكن أن أصنعه بالموجود.

ضمت الخزانة العديد من التوابل والمعكرونة الشرقية، إضافة إلى الكثير من الخضر الجذرية. صنعت كسرولة من القرنبيط واللفت الأصفر، والكوسا، والجزر، والتفاح، والطماطم المعلبة، وبهّرتها بالكاري والفلفل الحار. وطهوت بعض الكسكس. وجدت حاملاً ثلاثي القوائم وضعت الكسرولة فوقه على المائدة، ووجدت زجاجة بيرة في الثلاجة. حركت الكسكس ونفشته بقطعة من المرجرين.

"العشاء جاهز،" ناديته.

"ممم، سآتي حالاً،" أجابني.

بدا ذلك مثل زواج قديم، وفكّرت بأنه كان يمكن أن يكون كذلك. لو أن مايا لم تختف في ذلك الصيف. ولو أن العائلة لم تتفكك فجأةً، لو أنهم عادوا جميعاً في الصيف التالي ودعوني إلى الإقامة معهم مرة أخرى، وأتيت بثقتي التي عثرت عليها في نفسي واهتمامي المستيقظ متأخراً بالذكور...

t.me/ktabpdf مكتبة

لا، لم يكن الأمر ليسير على ذلك النحو. لأن العلاقة في سن المراهقة لا تكون لتفضي إلى الزواج على الأرجح. كان مثل ذلك الزواج ليستمر بالكاد بضع سنوات. كان سينتهي منذ وقت طويل. "عليك أن تأتي الآن، وإلا برد الطعام،" ناديته ثانية.

"أنا آتٍ."

بدأت آكلُ وحدي. تبدل صوت النقر المنفصل القادم من الغرفة الأخرى بصوت آخر: الأزيز الرتيب الصادر عن الطابعة.

"هل يجب أن تترك هذه تعمل ونحن نأكل؟" علقت عندما ظهر أخيراً.

كان قد غيّر إلى نظارات ذات إطار برتقالي. عاد وأغلق الباب المؤدي إلى غرفة النوم.

"هذا أحسن، أليس كذلك؟"

تحدث بينما نتناول الطعام بتلك الطريقة الاحترافية السارة المنسابة، مصحوبة بضجيج الطابعة المكتوم. وعندما توقفت الطابعة أخيراً، توقف لدقيقة ثم تابع. سقطت شعاعات شمس الخريف على سطح الطاولة الخشبي القديم، وحوّلت الجعة في الكؤوس إلى ذهب.

عندما أنهينا طعامنا، ذهب إلى غرفة النوم وعاد برزمة من الأوراق.

"إليك شيئاً لتقرئيه بينما أغسل الأطباق،" قال. "أعتقد أن الجوء دافئ بما يكفي للجلوس في الشرفة."

ذهب ليحضر كرسياً شمسياً من الخزانة في الردهة، وحمله إلى الشرفة وفتحه.

"هاكِ." قال، وضغطه قليلاً إلى الأسفل ليتأكد من ثباته.

علقت معطفي على كتفي وجلست في الكرسي الشمسي ورزمة الأوراق في حضني. كان ماء الخليج داكن الزرقة، يرتجّ متبدلاً وكأن أحداً يهزّ قطعة حرير ثقيلة عتيقة بين جدارين من الصخور. ومن المطبخ، سمعت بينس وهو يسكب الماء.

وبخلاف ذلك، كان العالم كله صامتاً.

خفّضت عيني إلى الصفحة الأولى. قرأت عليها كلمة واحدة فقط: كريستينا. بدأ النص من الصفحة التالية: "ترتحل في عالم رمادي لم تنهض شمسه بعد. تحب هذا العالَم المراوغ بين الضوء والعتمة، عالماً بلا ظلال، وبلا ألوان. لا شيء فيه مرئي تماماً ولا شيء مختبئ تماماً، كل شيء فيه محض هواجس، والتباسات."

قرأتُ في البداية بذهن شارد، ورفعت عينيّ بين الفينة والأخرى لأنظر إلى الخليج والجلاميد الصخرية. ثم انجذبت إلى القصة أكثر وأكثر. وعندما انتهيت منها، كانت الشمس قد غربت وانتشر الظل على الشرفة. كان الجو بارداً.

طويت المقعد وأخذته معي إلى الداخل. كان المطبخ فارغاً، والمائدة نظيفة. كانت الأطباق قد جُفّفت ووُضعت في أماكنها. ولم تكن هناك حتى قطرة ماء واحدة في المغسلة.

ذهبت إلى الردهة، وضعت المقعد المطوي في الخزانة تحت السلالم. وعندما دفعته إلى الداخل شعرت بأنه صدم شيئاً وأسقطه... لمحت في الظلام كومة من قصص الرسوم المصورة. ما كان يجب توضع هنا بهذا الإهمال. ربما يكون بعضها قد أصبح قيماً جداً الآن.

جلس بينس في المقعد الهزاز في غرفة المعيشة وهو ينظر خارج النافذة. استراحت رقبته على وسادة شرقية صغيرة بشرابات، واهتز ببطء إلى الخلف والأمام مع حركة المقعد. كانت نظراته سارحة بعيداً إلى الضفة الأخرى من الخليج، إلى قمم الجلاميد الصخرية حيث ما تزال الشمس تسطع وتبرز فروقاً دقيقة لا تكاد تُدرك في الصخور. لكنه لم يكن يراها على الأرجح. لم يكن يضع أياً من النظارتين الحمراء أو البرتقالية على عينيه. وعلى المائدة، التف إبريق الشاي بغطاء الأباريق القديم المبطن الملون الذي كانت العائلة تستخدمه قديماً، وبجواره كوبان خزفيان.

"هل تعتقد أن هذه هي الطريقة التي جرت بها الأمور؟" سألته وأنا أمدّ يدي برزمة الأوراق أمامه. "امرأة خاطفة مجنونة في زورق كاياك بلا صوت؟"

t.me/ktabpdf مكتبة

"ربما."

"إنه تخمين جيد،" قلت، ووضعت الأوراق على المائدة. "لا يبدو قابلاً للتصديق."

"إنه أكثر قابلية للتصديق من قصصك عن الناس الذين تم اختطافهم على أي حال. وهو أكثر من تخمين في الحقيقة. قمت بإجراء بحث صغير، بالهاتف."

أشار إلى الهاتف النقال فوق صندوق كنوز البحر.

"تعقبت أثر مالكة المعرض التي عرضت مصنوعات كريستينا ليندونغ. ومن خلالها وصلت إلى الأخصائية الاجتماعية، غوردون سمويلسون التي أشارت عليها بفتح المعرض أول الأمر. كانتا صديقتين، ولذلك وافقت مالكة المعرض على فتحه. على كل حال، لم يكن معرضاً من النوع الذي يمكن أن يبيع أي شيء. أجريت محادثة طويلة مع غوردون سمويلسون. لقد تقاعدت الآن، لكنها تتذكر كريستينا جيداً."

"أنت تبني قصتك على المعلومات التي حصلت عليها منها إذن؟"

"جزئياً. أتريدين بعض الشاي؟"

أشرتُ بالموافقة وجلست على الأريكة المقلمة بالأزرق والأبيض. نزع يينس الغطاء عن الأبريق وسكب شايا. لم أستطع تمييز لونه في الأكواب القاتمة، لكنني عرفت من مذاقه أنه شاي أخضر."

"زودتني ببعض الحقائق عن خلفية كريستينا. أخبرتني أن كريستينا كانت تقطن على جانبنا من الخليج، وإنما أبعد عند الرأس البحري. على جزيرة كالف، كما كانت تسمى حينذاك، حتى مع أنها لم تعد جزيرة بعد الآن. إنها تقع على بعد ستين قدماً فقط من البر الرئيسي وكان هناك جسر يصلها به للعديد من السنوات. لكنها ظلت دائماً مكاناً منعزلاً. معظمه مرعى.

"هل ذهبت إلى هناك؟" سألته.

"كلا، لكن غودون سمويلسون ذهبت إلى هناك قبل بضع سنوات، وقالت إنه

لم يعد هناك شيء تمكن رؤيته. هُدم كوخ كريستينا منذ وقت طويل. اشترى أحد ما كل جزيرة كالف، وبنى بيتاً فخماً، وأغلق الجسر على العامة."

"هل كانت تعرف كريستينا جيداً؟"

"أعتقد أنه ليس هناك أحد عرف كريستينا جيداً. لكنها تعرف شيئاً عن خلفيتها، وحاولت أن تبقى على التواصل معها عندما رحلت إلى هناك. لكن ذلك كان صعباً لأن كريستينا لم تملك هاتفاً.

"أخبرتني غوردون أنها قلقت كثيراً عندما اختفت كريستينا. كانت المرأة محبطة ومكتئبة تماماً وقت زيارتها الأخيرة. وجدتها راقدة على الأرض فقط على كومة من البطانيات وهي تحدق في الجدار. كانت قد علقت قطعاً من القماش أمام النوافذ، ولذلك أصبح داخل الكوخ مظلماً تقريباً. كان المكان غارقاً في الفوضى ولم يكن هناك أي طعام في الثلاجة تقريباً، وهو ما أدهش غوردون. كانت كريستينا تعتني بالكوخ جيداً في العادة.

"لكنها لاحظت كل هذه الأمور بعد فترة فقط. كان أول ما رأته هو كل أشيائها التي جمعتها. كانت هناك المئات منها، والتي غطت كل الأسطحة المتاحة. كانت تلك المعروضات الغريبة مصنوعة من الريش والعظام والأصداف والعشب. لم تتمكن من رؤيتها بوضوح بسبب شدة الظلام داخل الكوخ، لكنها رأتها جيداً بما يكفي لتدرك أنها لم تكن مجرد علاج وظيفي غير مؤذ فقط. كانت- بكلماتها هي- 'فناً عميق التأثير حد الإدهاش'."

"بالإضافة إلى ذلك، صنع الظلام في الكوخ وهماً بصرياً غريباً. بدا لها أن المصنوعات تهتز، بقدر صغير طفيف، طفيف جداً فقط. كأنها تتنفس وترتجف. كأنها حية حقاً. وفي الوقت نفسه، خالطها الشعور النقيض تماماً، بأنها ميتة تماماً، بل لعلها أكثر الأشياء التي رأتها في حياتها موتاً على الإطلاق. كانت - وأنا أنقل عن غودرون سمويلسون- 'كالموت نفسه. تنثّ الموت. تتنفس الموت'. أتذكر أن هذه هي الطريقة التي اختبرتُ بها تلك الأشياء في المعرض تماماً. كذلك بالضبط.

t.me/ktabpdf مكتبة

"في البداية ظنت الاختصاصية الاجتماعية أنها وحدها في الكوخ. ثم عندما اكتشفت كريستينا بين الملاءات كان أول ما خطر لها هو أنها ميتة. تحدثت إليها دون أن تأتيها إجابة. انحنت غوردون عليها ورأت أنها حية. وجدتها تحدق مباشرة في الجدار. ورأت غوردون ما كانت كريستينا تحدق فيه: أشكال طيور صغيرة مخربشة على الجدار بقلم حبر جاف."

"طلبت منها أن تصف لي الطيور، لكنها عانت صعوبة في تذكرها. كانت صغيرة جداً، و"مهتاجة" بشكل ما، كما قالت. سألتها عما إذا كان يمكن أن يكون شخص آخر، ربما طفل، هو الذي رسمها. لكن غوردون سمويلسون لم ترجح هذا الاحتمال، لأن كريستينا لم تكن ستقبل أي زوار قط. سألتها عما إذا بدت تلك الخربشات طفولية بالنسبة لها، فوافقت على أن ذلك ممكن، لكنها قالت إن 'كريستينا كانت طفلةً في نواحٍ كثيرة'. ويمكن أن يتغير تعبيرها الفني بسرعة. إذا كانت المعروضات التي رأتها غوردون في الكوخ قد جاءت نتيجة لتطور فني ثوري، فإن تلك الخربشات يمكن أن تكون تقهقراً ثورياً مفاجئاً بالمقدار نفسه، تعبيراً عن اكتئاب عميق سقطت فيه."

"هل سألَت كريستينا عن الخربشات؟" تساءلت.

"لم تتمكن من التواصل معها مطلقاً. تولد لدى غوردون سمويلسون انطباع بأنها تناولت جرعة مفرطة من دوائها. وبينما تقود سيارتها عائدة إلى المنزل قررت شيئين: أن كريستينا يجب أن تذهب إلى المستشفى لتحصل على العناية؛ وأن موضوعاتها الفنية يجب أن تُعرض للناس في معرض."

لكن كريستينا لم تتلق تلك العناية مطلقاً. عندما عادت غوردون مع اثنين من سائقي سيارات الإسعاف، كانت كريستينا قد اختفت. لم تكن هناك أي حبوب دواء في الكوخ على الرغم من حقيقة أنه يجب يكون هناك البعض منها متبقياً حسب طبيبها. ومن ناحية أخرى، كانت محفظتها وأمتعتها الشخصية ما تزال هناك. لا بد أن ذلك بدا أشبه بانتحار.

بطبيعة الحال، شكلت حقيقة عدم العثور على جثتها قط مأساةً مزدوجة

للوالدين. ظلت غوردون على اتصال معهما منذ دخلت كريستينا المستشفى. وبالإضافة إلى أسباب أخرى، كان من أجلهما أن غوردون ثابرت بهذه الطريقة على تحقيق حلمهما بخصوص المعرض. استمروا في التواصل بعد ذلك. لم يعد الأب حياً الآن، لكنها كانت قد هاتفت والدة كريستينا قبل أن أتصل بها مباشرة. سعدت الأم كثيراً لأنه تم العثور على جثة كريستينا أخيراً، وأنها ستحصل على جنازة حقيقية."

"لكنها لم تر أي أطفال في منزل كريستينا أبداً؟"

"لا، لكنها لم تكن تقيم هناك الصيف كله. كانت تذهب إلى هناك مرتين في العام فقط."

"ولكن، في المرة الأخيرة التي ذهبت فيها، ألم تكن هناك أي علامة على وجود طفل يعيش هناك؟"

هز رأسه بالنفي.

"لم أسألها، لكنها لم تتذكر أي شيء كهذا."

"هل واجهتَ مايا بهذه القصة؟"

"كلا. ولا أظن ذلك فكرة جيدة."

"أين هي الآن؟"

"إلى الشمال قليلاً من ستينونغسوند. في بيت جماعي للبالغين المعاقين عقلياً. لديك سيارتك، وربما يمكننا أن نذهب إلى هناك صباح غد. نعم، يمكننا أن نفعل ذلك حقاً. بذلك يمكن أن تقابليها. سأحاول الاتصال بسوزان وأطلب منها أن تقلني من مكان ما هناك بدلاً من هنا. وسيمكنكِ أنتِ أن تواصلي إلى غوتنبرغ بعد ذلك."

"يجب أن أُقِلَّ الولدين من المركز الترفيهي قبل السادسة."

"لا مشكلة."

التقط بينس سماعة الهاتف وطلب الرقم، لكنه وجد بعض التشويش في الخطوط، ولذلك ترتب عليه أن يحاول مرة أخرى لاحقاً.

t.me/ktabpdf مكتبة

عثر على مجموعة أوراق لعب قديمة، ولعبنا لعبة كنا نظن أننا نسيناها، لكننا تذكرناها شيئاً فشيئاً بينما نلعب. في بعض الأحيان قلنا: "لكن هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً. لن يستطيع أحد أن يفوز بهذه الطريقة." أو أننا كنا ندرك فجأة: "ما الفكرة من القيام بذلك على هذا النحو." ثم يتذكر أحدنا طريقة اللعب الصحيحة، ويتذكر الآخر شيئاً صغيراً آخر، ونجح ذلك. ومن الغريب أننا استمتعنا كثيراً.

عندما هبط الظلام أوقدنا شمعة وفتحنا زجاجة نبيذ. تمكن بينس من الاتصال بزوجته، وقررا أن تُقله من محطة وقود شل في ستينونغسوند عند الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي.

تذكرت أن أتصل بولدَيّ لأقول لهما تصبحان على خير، لم أفعل ذلك الليلة الفائتة. كانا بخير، ذهبا إلى قصر الماء في ليروم، وفي المساء شاهدا فيلمي فيديو على التوالي، ولذلك لم يلاحظا أنني لم أتصل. كان بينس قد أعطاني قصاصة الصحيفة، فوعدت الولدين بأن يحصلا عليها. أخذ أندرس السماعة.

"وأين ذهبتِ أنتِ، إذا سمحتِ لي بالسؤال؟" سأل بلهجة قاطعة.

"إنني أزور صديقة طفولة في تانجيفيك،" قلت.

"لم تتصلي ليلة أمس."

"أعرف، لكن الولدين لم يعودا يعتبران التمنّي بليلة سعيدة أمراً بالغ الأهمية."

"رآك أحدهم في حانة ميكي مع شخص يبدو رخيصاً. ليس لأن للأمر أي علاقة بي، ولكن أتعلمين أي نوع من الأماكن هو ذاك؟ أتعرفين أي نوع من الأشخاص هم الذين يذهبون إلى هناك؟ السكارى الذي يدعون أنهم ليسوا سكارى والباحثون عن معاشرة رخيصة. أنواع بائسة حقاً من البشر، معظمهم."

"لم تكن لدي أدنى فكرة عن ذلك، لم أكن قد ارتدت ذلك المكان من قبل. لكنك تعرفه جيداً على ما يبدو."

"لست آبه بشأنكِ قيد أنملة، أولريكا. إنني أفكر في الولدين فقط. أنت تعلمين أن أوسي بنت محترمة، وعندما يكونان هنا، فإنهما يكونان بخير. أنتِ تعرفين، أليس كذلك؟ ليس عليك أن تقلقي مطلقاً. لكنني لا أعرف بالتأكيد أي حياة تعيشين."

"بل إنك تعلم. إنني أعمل على أبحاثي."

شخر بصوت عال.

"آمل أنك ستقلينهما غداً."

"طبيعي."

"حتى أنكِ لا تبدين حقيقية،" قال وأغلق السماعة.

كان يينس يقف على الشرفة فخرجت إليه. بدت السماء المرصعة بالنجوم مذهلة، على النحو الذي يمكنها أن تكونه في الخريف فقط وخارج المدينة. كنتَ تستطيع رؤية المزيد من النجوم كلما أطلت النظر أكثر. لم يكن البحر مرئياً في الظلام، لكنك تستطيع أن تشعر بقربه مثل برودة ملحية على وجهك.

"هل تتذكر عندما أريتني علامات الأبراج" سألته.

لم يتذكر، بل إنه لم يعد يتذكر أسماءها أيضاً. كان البرج الوحيد الذي استطاع تمييزه هو الدب الأكبر.

"اعتقدت أن هنالك مصدر راحة كبيراً في حقيقة أن الأبراج اختراع بشري؛ أنها مسألة متعلقة بمجرد التأويل فقط. بعد ذلك صرت أصنع تأويلاتي وأبراجي الخاصة. برج الحصان، على سبيل المثال."

عندئذٍ، أريته برج الحصان. لم يتمكن من اكتشافه في السماء مهما حاولت أن أشرح له.

"ماذا ستفعل بمخطوطتك؟" سألته.

"لا أعلم. سأضعها جانباً لفترة، وأقوم ببعض العمل عليها لاحقاً. ربما ستصبح كتاباً، وربما لن تكون."

نظرت إليه حيث يقف في ضوء القمر والنجوم الخافت. لم يكن هناك في الحقيقة أي ضوء. بدا الأمر وكأنني أرى ظلالاً بيضاً على خلفية فيلم سلبية. كان

t.me/ktabpdf مكتبة

بينس يقف منحنياً إلى الأمام وقد استراح ساعداه على دربزين الشرفة، حاملاً كأس نبيذه بكلتا يديه.

كان قد أخبرني بالكثير من الأمور. لكنه ظل، على الرغم من ذلك، غير مرئي بغرابة في ذلك كله. لم يقل الكثير عن حياته الحالية. بشكل عابر ذكر ابنتين في سن المراهقة، وزوجة تأخذ دورة في كوبنهاغن. تساءلت عمن يكون في الحقيقة. كان سلساً، ذكياً، فصيحاً، ممتع الحضور. متحذلقاً؟ —كلا، لم تكن هناك حتى شذرة من ذلك في المطبخ. كان صاحب مخيلة. استطاع أن يتدبر أمر العيش في عالم امرأة مريضة. لم يكن يخشى الأماكن المغلقة —وزحف كل المسافة عبر الممر تحت الصخرة.

كانت له طريقتان في الحديث. إحداهما نوع يشبه عرض فكرة بالحديث أمام جمهور. تملكني شعور بأنه قال هذه الأشياء نفسها بالطريقة نفسها لأشخاص مختلفين مئات المرات، كما فعل عندما تحدث عن كيفية اختياره مهنته، عن إعلانات السيارة على جدران المطار في سنغافورة، ومقال الصحيفة عن نخبة المستقبل. لكنه عندما تحدث عن الطفل الذي تخلت عنه كارين وآيكي، بدا مختلفاً جداً. بدا كأنه يلفظ الكلمات لأول مرة. كما لو أنني كنت مستمعة خاصة وليس جمهوراً.

استدار نحوي بنظرة باحثة. ربما كان يفكر بالأفكار نفسها المتسائلة عني. خطر لي أيضاً أنني لم أكن صريحة في الحديث عن نفسي أيضاً. أخبرته كثيراً عن أبحاثي، ولكن ليس أي شيء شخصي. وفي الواقع، لم يكن ذلك مهماً. لم تكن حيواتنا الحالية مهمة في هذا المكان.

"من الغريب أننا كلانا هنا،" قال. "وأن هذا العدد الكبير من السنوات قد انقضى. يبدو هذا غير حقيقي."

عندئذ، فعلت ما أردت أن أفعله منذ فترة طويلة. انحنيت إلى الأمام ونفخت ببطء في شعره.

هذا هو الصباح الثالث الذي أستيقظ فيه في منزل عائلة غاتمان الصيفي. كنتُ قد اعتدت على سرير آن ماري والغرفة في العلية. ولذلك تفاجأت عندما استفقت ولم أجد إناء أصداف المحار والرطوبة الباردة. ثم رأيت الحاسوب المحمول المغلق والطابعة على الطاولة، وتذكرت.

كان بينس قد استيقظ مسبقاً، لكن السرير المزدوج ما يزال دافئاً بشكل مريح في الجانب الذي نام فيه. تدحرجت إلى مكانه وأرحت وجهي على الوسادة التي ما تزال تحتفظ برائحته. كانت رائحته جيدة فعلاً بطريقة غير عادية. مع نظارته المضحكة، وستراته الثمينة، ومائدة مطبخه اللامعة، خلق الانطباع بأنه بلا أي رائحة على الإطلاق، لكنه لم يكن كذلك. لم تكن لدي أدنى فكرة عن ذلك حتى ملت فوقه في الليلة الفائتة لأنفخ فوق شعره. هل كانت له الرائحة نفسها عندما كان صغيراً؟ لم أستطع أن أتذكر. ربما تكون الرائحة أمراً نشأ وتطور بمرور السنين، مثل شعره الشائب وتوقه إلى كتابة شيء ما آخر غير الإعلانات.

لدي قناعة بأن حاسة الشم فينا هي التي تحكمنا. نستطيع دائماً أن نجد الكثير من الأسباب المنطقية لنحب الناس أو لنكرههم، لكنها كلها مجرد أكاذيب. إننا نتبع حاسة شمنا فقط. قبل أن أقابل أندرس، كنت أخرج مع طالب أناني ومهمل بشكل لا يصدق من الدراسات العليا، والذي كان يجري بحثاً (وما يزال يفعل، حسب تقديري) من أجل أطروحة عن ظروف أبناء المهاجرين. وفي كل مرة حاولت فيها فض علاقتنا، كنت أقع في حبه مجدداً لأنه كانت له رائحة جميلة بطريقة ماكرة. كانت مثل مخدر. في الحقيقة، يمكن أن يكون ذلك أيضاً موضوعاً لأطروحة

t.me/ktabpdf مكتبة

بعنوان "أهمية الرائحة في العلاقات الإنسانية"؛ منطقة لم تخضع للبحث مطلقاً على الأغلب.

لكن الرائحة السائدة الآن هي رائحة القهوة. صعدت إلى الطابق العلوي حيث شقة تور وسيغريد لآخذ حماماً وأغسل شعري. جففت نفسي بمنشفة بينس الرطبة المعلقة فوق كرسي في رواق الطابق العلوي. لم أكن أعرف كيف تبدو زوجته، لكنني كنت لأراهن على أنها نحيلة جداً. من الطريقة التي لمسني بها أستطيع القول إنه لم يعبث مع إناث ممتلئات الجسد من قبل. معظم الرجال يعشقون النساء السمينات عندما يكونون وحدهم معهن، لكنهم يفضلون سيدة نحيلة إلى جانبهم في العلن؛ إنها مسألة مكانة. إنهن يظهرن أفضل في الملابس.

وضعت قلم المسكارا الذي في حقيبتي أمام المرآة التي كنا أنا وآن ماري قد وقفنا أمامها وتبرجنا ذات مرة، جنباً إلى جنب. تمنيت لو أن معي ملابس إضافية، ولكن كيف كنتُ لأعرف عندما أتيت إلى هنا لأنظر عبر نوافذ الشرفة أنني سأبقى هنا ثلاثة أيام؟

تناولنا الإفطار وتعاونّا على غسل الأطباق. ومن وقت لآخر، تلامسنا بشكل خفيف، نظرنا إلى بعضنا، لكننا لم نقل شيئاً تقريباً. لقد تحدثنا كثيراً في اليومين الماضيين حتى بدا الصمت الآن جيداً.

ثم تجهزنا للمغادرة. طوى بينس ملاءات السرير المزدوج، ثم حزمها في حقيبته الألمنيوم الحصرية. وضع الحاسوب النقال في حقيبة خاصة والطابعة في أخرى. استغرق الأمر دقيقتين وبعدها بدت الغرفة وكأنه لم يكن فيها أحد مطلقاً. في المطبخ جمع بقايا الطعام القليلة في كيس بلاستيكي. كانت أمتعتي الوحيدة هي قصاصة الجريدة ومخطوطة بينس التي أعطاها لي.

وضعنا كل شيء في سيارتي. وفي الدقيقة الأخيرة تحسست المفتاح الاحتياطي الصدئ في جيب معطفي. زحفت تحت الشرفة وأعدته إلى مكانه في الصدفة الكبيرة. اعتقد بينس أن من غير الضروري وضعه هناك، لأنه لا ليز ولا إيفا تتذكران أنه موجود في الصدفة، لكنني أصررت على إعادته إلى مكانه. وعندما كنت أجثو

هناك على أربعتي في ذلك الخليط الغريب من رائحة البحر والتراب، متحسسة طريقي إلى الصدَفة في الظلام، أدركت أن عبارته "غير ضروري" ربما تعني "غير مناسب."

"لا داعيَ لأن تقلق" قلت له، بعد أن نفضت الغبار عن ركبتَيّ وذراعَيّ وفتحت باب السيارة. "لن أستخدم هذا المفتاح بعد الآن. اعتقدت فقط أن على المرء أن يعيد الأشياء إلى المكان الذي يجدها فيه."

ابتسم، لكنه لم يقل شيئاً، وصعد في سيارتي.

على البُعد بدا المكان مثل أي بيت عادي بسيط من طابق واحد. بدا كما لو أنه وُضع هناك عشوائياً على قطعة من مرج مسطح مُصفرّ. وأبعد، يمكنك أن ترى مخاضة ضحلة يسبح فيها الإوز.

لكنك عندما تقود سيارتك حول المنزل ترى أنه أكبر مما بدا عليه أول الأمر. ثمة جناحان يتصلان بالمنزل الرئيسي المحاط بشرفة من ألواح الخشب الباهتة ويضم موقداً حجرياً. بدا البناء أكثر انفتاحاً وجاذبية من هذا الجانب. كانت له العديد من النوافذ والأبواب.

سار بينس عبر الشرفة مباشرة وطرق أحد الأبواب برفق. أزيحت ستارة النافذة المجاورة للباب جانباً قليلاً... ونصف مختبئة خلف النسيج القطني الأبيض، رأيتها. ربما كان ذلك بسبب التباين بين بياض الستارة وبين سواد شعرها وبشرتها، أو ببساطة لأنها كانت محتجبة. لكن الوجه الذي رأيته عبر زجاج النافذة بدا غريباً للغاية وأجنبياً. لم أتذكرها داكنة بهذه الدرجة.

راقبتنا بعين واحدة بينما اختفت الأخرى في الظل خلف الستارة. جعلني ذلك أفكر بالنظارات الشمسية الرخيصة مكسورة العدسة التي كانت ترتديها في آخر مرة رأيتها فيها، والتي أعطتها مظهر العين الواحدة هذا نفسه. ثم أُسدلت الستارة، واختفت كلها. سمعت صوت خطوات تقترب من الباب. وفجأة، استفاق السؤال

t.me/ktabpdf مكتبة

غير المنطوق الذي دار في مؤخرة رأسي وأنا أسوق إلى هنا: هل يمكن أن تكون خطيرة؟ عنيفة؟ سرعان ما التفتُّ إلى بينس بنظرة متسائلة. أجاب بغمزة وابتسامة متفهمة متوترة. ثم نظر إلى الباب المفتوح وقال:

"مرحباً مايا."

نظرتُ إليها. كانت قد فتحت الباب بهدوء شديد حتى أنني لم أسمعه. وقفت أمامنا، نحيلة جداً وضئيلة، سمراء مثل أفريقية. كان شعرها المجعد الكثيف ملموماً في ضفيرة على شكل ذيل حصان تصل إلى أسفل ظهرها. ارتدت سروالاً من الجنيز وقميصاً ثقيلاً أحمر عليه كتابات بيضاء. بدا قميصها رخيصاً وبشعاً، مشترى على الأرجح من سوق شعبية ما، لكن ألوانها السمراء الخاصة جعلت القماش الأحمر يتوهج والحروف البيضاء الحمقاء تشع مثل رموز سرية. ووضعت حذاءً خفيفاً في قدميها. كان من الصعب تصديق أنها في الثامنة والعشرين من العمر. بدت نحيلة وضئيلة مثل بنت في الرابعة عشرة.

"هذه أولريكا. تذكرينها من تانجيفيك، أليس كذلك؟" قال بينس.

مددت يدي بقلق. للحظة فقط أبقيتها ممدودة هناك، لكنه بدا وكأن الأبدية كلها مرت قبل أن ترفع ذراعها ببطء. كانت اليد التي خرجت من الكم الطويل جداً أصغر يد رأيتها في حياتي. تناولتُها بلطف. خالجني شعور بأنني يمكن أن أؤلمها إذا ضغطت عليها أكثر من اللازم. كدت أضحك عندما فكرت بقلقي من احتمال أن تكون عدوانية.

حياها بينس بوضع يده بخفة شديدة على ذراعها.

"هل يمكننا أن ندخل قليلاً؟،" سألها.

لم يكن في وجهها أي شيء يشي بالسعادة أو بالرفض. بدت كما لو أنها لم تسمع السؤال. لكن بينس لم يكرر السؤال، وانتظر بصبر. ثم فتحت مايا الباب وتنحّت برفق عن الطريق حتى نمر.

"شكراً،" قال بينس.

دخلنا مباشرة إلى غرفتها. كانت بسيطة ومؤثثة بشكل جميل بأثاث أشقر ومنسوجات بألوان الوردي الفاتح، والأصفر الشمسي والأخضر الزيزفوني. كان هناك مطبخ صغير وحمام بدش ومرحاض. كانت الغرفة كبيرة: توقعتُ قبل ذلك أن تكون فيها على الأكثر مِساحةٌ لسرير ومنضدة، لكنه وُجد فيها أيضاً طاولةٌ، وأريكةٌ ومقاعدُ ذات ذراعين و —ما جعلني أُذهَل– خزانة كتب تمتدّ من الأرض إلى السقف مملوءة عن آخرها بالكتب، حتى أنها تراكمت فوق بعضها بشكل أفقي لتشغَل مساحة أقل.

"هل... هل...،" لم أعرف أي ضمير أستخدم. ربما سيكون التحدث عن مايا بصيغة الغائب غير مهذب. ولكن، من جهة أخرى، كان يينس هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يجيب. استدرت إلى مايا. "هل تقرئين؟"

وقفت مايا أمامي كما لو أنها تستمع، لم تنصرف عني، لكن لم يرتسم أي تعبير في وجهها على الإطلاق.

"إنها تلتهم الكتب،" أجاب يينس.

"أوه،" قلت مندهشة.

قرأت العناوين على الرفوف. هناك مجموعة كاملة من القصص، عناوين مشهورة من النوع الذي تجده في معظم المكتبات.

"يا له من مكان جميل هو مسكنكِ،" قلت.

قصدت ذلك فعلاً. كانت الغرفة كلها رائعة الذوق، متناغمة وسارة.. على خزانة للملابس استقر كوب خزفي مليء بالخلنج المجفف. على الجدار تعلقت بعض اللوحات المائية بزخارف ساحلية. كان الأمر الوحيد الذي يوحي بأن هذا البيت ليس طبيعياً، والذي ميزته بعد فترة، هو حقيقة عدم وجود سجاد على الأرض. غطيت الأرض بغطاء بلاستيكي مصمم مثل رخام أبيض قشدي، وهو ما جعل الغرفة تبدو من طراز البحر المتوسط، والذي تناقض مع الأثاث الشمالي.

"كيف حالكِ يا مايا؟" سأل يينس، "هل أنت بخير؟"

t.me/ktabpdf مكتبة

غرق السؤال في داخلها مثل حجر أُلقيَ في بئر.

"مايا" قلت. "هل كنت يوماً في منزل امرأة تُدعى كريستينا؟ التي صنعت أشياء من القواقع والعظام والريش؟"

تجعيدة على الوجه؟

"امرأة بشعر طويل،" تابعت. "هل عشت في كوخها عندما كنت صغيرة؟ هل أخذتك إلى البحر في زورقها؟"

كان بالوسع سماع ضجيج ناعم من منخريها وهي تدفع الهواء إلى خارج صدرها بعد زفير طويل. لوهلة شعرت أن ذلك بداية شيء ستقوله. وعندما تنفست مرة أخرى نظرت إليها بترقب. أخرجت الهواء من أنفها بالطريقة البطيئة نفسها. بدت مثل شخص نائم، بعمق وسلام... لكن عينيها كانتا مفتوحتين ولا تطرفان. نظرت إليّ مباشرةً. كان التعبير على وجهها وكأنّها تستمع، وتنتظر. وكأنها هي التي سألت سؤالاً يفترض بي أن أجيب عنه.

مرت الثواني وأصبح الصمت متعباً أكثر فأكثر، وأخيراً لا يكاد يطاق. وشعرت بالعِرفان حين كسره يينس.

"لم تأت أولريكا إلى هنا من قبل. ربما تود أن نقوم بجولة في المكان. هل ترين من المناسب أن نتجول قليلاً؟"

منح يينس مايا ثلاث ثوانٍ فقط لتظهر عدم رضاها أو لتمنعنا من الخروج. ثم أخذ صمتها على أنه موافقة.

"هيا يا أولريكا، فلنذهب."

خرجنا عبر باب آخر أفضى بنا إلى رواق، وبقيت مايا في غرفتها.

"متى تعلمَت القراءة؟" سألت.

"كانت في الحادية أو الثانية عشرة، كما أعتقد. أخرجتها أمي من المدرسة الخاصة لأنها لم تنفع. وعلمتها بنفسها. جربت أمي طرق تدريس مختلفة للقراءة. وبدت مايا مهتمة. لم تكن تريد كتابة أي حروف، وبقيت مع رسومها فقط.

"حسناً؟"

"بعد ذلك اكتشفت أمي ببساطة أنها تستطيع القراءة، أنها تجلس وقد وضعت الكتب والصحف أمامها. اعتقدت أمي في البداية أنها تتظاهر. اختبرتها بكتابة ملاحظات لها عن أشياء يُفترض أن تجلبها، وعادت مايا دائماً بالشيء المطلوب بالضبط."

"هل تستطيع الكتابة أيضاً؟"

"ولا كلمة واحدة. إنه مثل الكلام تماماً. مدخلات فقط، ولا مخرجات."

توقف بينس عند باب مفتوح. في الداخل جلس شاب أمام جهاز حاسوب. وإلى جانبه استقر حاسوب آخر لم يكن يستخدمه أحد.

"حاولوا أن يجعلوها تستخدم هذه الحواسيب،" قال بينس. "في أحد البرامج تكون مجبراً على كتابة رسائل لتجعل الحاسوب يفعل ما تريده أن يفعل. إنها ليست مهتمة بشكل خاص، لكنها تعبث بالجهاز بعض الوقت لترى ما يحدث على الشاشات. وحالما يترتب عليها أن تكتب شيئاً، تتوقف. إنها ترفض التحدث حتى مع الحاسوب."

"ولكن، بينس، كل هذه الكتب، هل قرأتها حقاً؟"

"نعم، معظمها، على الأقل."

"ولكن، هل تفهم ما تقرأ؟"

هزّ كتفيه.

"لا بد من أنها تفهم شيئاً منه. نعم، أعتقد أنها تفهم. في الحقيقة أعتقد أنها تفهم كل شيء تقرؤه وكل شيء تسمعه جيداً جداً. يبدو الأمر وكأنها تقول 'حسناً، إنني أعرف عالمكم وأتقبل كوني مضطرة إلى العيش فيه. ولكن، لا تتوقعوا مني أن أشارككم الأداء'."

تابعنا إلى مطبخ كبير ومجهز جيداً بكل الأدوات الممكنة. وقفت امرأة سمينة منتفخة عند الطاولة الكبيرة وهي تدهن لفافات من العجين بصفار البيض. وكانت امرأة حمراء الشعر تخرج الأطباق من غسالة الصحون. حياهما بينس بانحناءة.

t.me/ktabpdf مكتبة

تبادلت حمراء الشعر —التي كانت من طاقم الموظفين كما يبدو- بضع كلمات مع يينس، بينما حدقت السمينة بغضب. واصلنا إلى غرفة غسيل الملابس حيث تدور غسالة ضخمة. كان شيء ما وردي يدور داخل نافذتها الدائرية. جذبني يينس في اتجاهه، قبلني بخفة على جبيني، وأبقى ذراعه تطوقني ووقفنا ساكنين تماماً. وعلى الرغم من معطر الغسيل كنت واعية لرائحته.

"أي نوع من الناس يعيشون هنا؟" سألت، في داخل سترته.

"الشبان -أعني ما بين الثامنة عشرة والأربعين. أربعة رجال وامرأتان. هناك أحد الرجال، أندرس، يعاني من التوحد، لكنه أصبح أحسن بكثير في السنوات الأخيرة. عندما كان طفلاً كان منعزلاً تماماً داخل نفسه. الآن أصبح طبيعياً. إنه فنانٌ رائع. سترين ما يصنعه في مرسمه.

كان يتحدث في شعري، ودار بنا سوية ببطء من ناحية إلى أخرى. استنشقته، وسحبته إلى داخلي، مطبقة على نشوتي مثل مدمن يستنشق الكوكايين.

"البقية مضطربون عقلياً، في اعتقادي. لكنهم كلهم هادئون ولطيفون. هذه هي الشروط التي يجب أن يفوا بها بها ليأتوا إلى هنا، أن لا يكونوا خارجين عن السيطرة أو ما شابه. لكنني أتخيل أنهم مخدرون."

ذهبنا إلى غرفة معيشة كبيرة ذات نوافذ تطل على الشرفة. كان فيها موقد مطلي بالأبيض ومقاعد مغطاة بقماش مزخرف. أدركت أنك لا تستطيع أن تضع هنا أناساً خارجين عن السيطرة.

كنت قد اعتقدت أن كارين هي التي أثثت غرفة مايا، أو ربما أثثتها هي نفسها. لكنني أصبحت أعرف الآن أن الشخص نفسه هو الذي أثث غرفة المعيشة، والغرف الأخرى كما أفترض. كانت الجدران مزينة بلوحات مائية مشابهة لتلك التي في غرفة مايا. مختص محترف بالديكور الداخلي. خاب أملي قيلاً لأنني اعتقدتُ أن غرفة مايا تُعبر عن شيء ما من شخصيتها هي. لكنه يبدو أنها لم تختر حتى الرسومات المعلقة على جدرانها. وملابسها، يبدو أنها كانت أول ما شاهَدته في

متجر التجزئة. حتى أنها لم تكلف نفسها عناء البحث عن قميص جميل بقياس مناسب. هذا إذا كانت هي التي اشترت ملابسها من الأساس بطبيعة الحال. ربما يكون شخص آخر هو الذي اشتراها لها. عندما فكرت بغرفتها مجدداً أدركت أن أياً من الأشياء هناك لم يكن شخصياً؛ ولا حتى الكتب: الكتب العالمية الأفضل مبيعاً التي اختارها لها نادي كتاب ما.

جلس في الغرفة شخص على الأريكة يشاهد التلفاز. كان رأسه حليقاً ويضع قرطاً في أذنه. بدا نافد الصبر وقد وجه جهاز التحكم عن بعد مباشرة إلى الشاشة، مستعداً لتغيير القناة في أي دقيقة. كان ضخماً ومفتول العضلات وجعلني أشعر بشيءٍ من عدم الراحة.

"مرحباً أندرس. هذه أولريكا، صديقة قديمة لمايا ولي أيضاً. هل تحب أن ترينا الاستوديو؟،" قال يينس بنبرة ودية.

نهض أندرس بسرعة وأتى معنا دون أن يترك جهاز التحكم عند بعد.

كان الاستوديو غرفة كبيرة مشرقة، هُيئ الجزء القصي منها لسماع الموسيقا بحشيات مفروشة على الأرض ونظام "هاي- فاي." وضمت بقية الغرفة طاولة كبيرة بدا أنها مكان عمل لأنشطة مختلفة: النجارة، الرسم وصناعة الخزف. كان هناك رجلان يعملان هناك معاً على نموذج لقارب شراعي مبحر.

"هل صنعت أي شيءٍ مثير منذ جئتُ إلى هنا آخر مرة؟" سأل يينس. التقط أندرس وفرد بعض اللوحات المستندة إلى الجدار. كانت ذات موضوعات سوريالية رُسمت بقدرة تقنية كبيرة. أناس داخل أنفاق، سلالم حلزونية وأبراج عالية. عبّرنا عن إعجابنا.

"هل صنعت مايا أي شيء؟" سأل يينس.

ضحك أندرس.

"أعتقد أنها صنعت بعض الأشياء هناك،" قال أندرس.

سار إلى رف تحت مقعد طويل والتقط رزمة كبيرة من الأوراق. تصفحها يينس ببطء ثم أعطاها لي. رسومات طيور. نوع الطيور نفسها التي رسمتها وهي صغيرة.

t.me/ktabpdf مكتبة

"مضطربة" كما وصفتها الاختصاصية الاجتماعية. لكنها طيور بكل وضوح. صف بعد صف، ورقة بعد ورقة. آلاف الطيور.

"أفهم،" قال بينس. "إنها لم تتطور، بالضبط."

انفجر أندرس ضاحكاً. كان ضحكه عالياً وغير سار.

"إنها ترسم ثلاثين ورقة مثل هذه في اليوم، أقسم على ذلك."

"لقد فعلت ذلك منذ كانت في الرابعة من عمرها،" قال بينس. "أتساءل كم ورقة أصبحت؟ غابة كاملة على الأرجح."

"وليس هناك طيران متشابهان،" أوضح أندرس.

أعدت تصفح الأوراق مجدداً بالمقلوب ودققت في الطيور مرة أخرى. للوهلة الأولى بدت متشابهة جداً، كما لو أنها طُبعت ببضعة أختام مطاطية فقط. لكنك إذا نظرت بتمعن، فإنك ستلاحظ أن هناك دائماً تفصيلاً ما يجعلها تختلف. إن أندرس مصيب. من المستحيل أن تعثر على طيرين متشابهين تماماً. وقفت الطيور باستقامة، رقدت بثقل، تأملت، حلقت، وضربت بأجنحتها. رفعت أجنحتها بطرق مختلفة، وضعت رقابها في أوضاع مختلفة، وأدارت رؤوسها بشكل مختلف. بعضها كان صغيراً وأنيقاً، هذه ربما تكون طيور السنونو، وبدت أخرى أكثر قوة، ربما نوارس البحر، أو لعلها بط العيدر...

أعطيت بينس رزمة الأوراق ليعيدها إلى مكانها على الرف تحت المقعد. نظرت ذات الشعر الأحمر إلى الداخل وسألت إذا كنا نود تناول بعض اللفائف المخبوزة حديثاً.

كان سكان المنزل يتجمعون معاً في المطبخ حول الطاولة الكبيرة المصنوعة من خشب الصنوبر. جاءت مايا أخيراً بعد الجميع. وقبل أن تجلس ذهبت إلى الثلاجة، وأخرجت إبريقاً من العصير الأحمر وسكبت لنفسها كوباً. لم تكن تشرب القهوة مثل البقية على ما يبدو.

ظل كل شيء هادئاً حتى شرع أندرس في إغاظة المرأة السمينة ذات الوجه الراعد. وكلما زاد غضبها، استمتع أكثر. طلب منه الآخرون أن يتوقف. وفي

النهاية، نهضت المرأة، وقذفته بسيل طويل من السُباب والشتائم واللغة البذيئة بشكل مدهش، ثم انطلقت خارجة إلى الرواق. وبعد ذلك مباشرة سمعنا باباً يُصفق.

انحنى أندرس على المائدة مختنقاً بفم مليء باللفائف والضحك. أدركت من كل التعليقات حولي أن ذلك لم يكن أمراً غير اعتيادي. حاول الآخرون منعه من الضحك، لكن أندرس أدخل نفسه في نوع من هجمات نوبات الضحك المرَضية، ولم يستطع أن يتوقف.

"إنه متأخر عشر سنوات،" أوضح لي أحد الرجال.

افترضت أنه قصد أن أندرس أصغر عقلياً بعشر سنوات من جسمه. وهكذا، إذا كان في الثانية والعشرين، فإن عمره العقلي سيكون في الثانية عشرة. شقيق صغير مزعج. تساءلت كم هو عمر مايا العقلي. هل تفكر حقاً مثل شخص في الثامنة والعشرين؟

رفعت مايا عينيها عن كوب العصير ونظرت في أندرس عبر المائدة. لم يكن هناك أي استنكار في عينيها. نظرت إليه فقط، طويلاً، وبوضوح، وبلا أي تعبير في وجهها. وتوقف أندرس عن الضحك كما لو أن أحداً أطفأه بجهاز التحكم عن بعد الموضوع إلى جانبه على المائدة. بدا مشوشاً ومذهولاً. تمطّى ومسح بعض الفتات من حول فمه بعجلة.

أصبح الجو أهدأ وسألني أحدهم عن العمل الذي أزاوله.. أعطاني ذلك فرصة مناسبة لأروي بعض قصصي، وأضافت العاملة ذات الشعر الأحمر بعضاً من عندها أيضاً، قصصها التي كانت منها –من بين أخريات– نسخة محلية من قصة "علامات المخالب على نافذة الأرمل."

شكرنا الجميع على اللفائف، وودعنا مايا وغادرنا.

تغير الطقس، لم يكن دافئاً وساراً أبداً مثل الأيام السابقة عندما كنت تستطيع الخروج بلا سترة وتجلس على الكرسي الطويل في الشرفة. ما يزال ضوء الشمس

t.me/ktabpdf مكتبة

حاضراً، لكنه أصبح شاحباً، أكثر معدنية، وخالطت الهواء ريح شتاء. كان من الجيد أن ندخل السيارة.

"حسناً،" قال بينس عندما وصلنا الشارع الرئيسي. "هل استطعت تمييز مايا؟"

"بطريقة ما، إنها في الواقع هي نفسها."

"أعتقد حقاً أنها لن تتحسن أكثر من ذلك أبداً. ما من أمل بأن تتحسن مثل أندرس بعد الآن."

"أحياناً يكون الصمت أفضل،" قلت.

"هل رأيتِ بكم من السهولة جعلته مايا يصمت؟"

"نعم، نظرَت إليه فقط."

"لقد فكرت في ذلك،" قال بينس. "إنها هي نفسها لم تتأثر بأحد. لكن لها قدرة غريبة على التأثير في الآخرين. بالرغم من أنها لا تفعل أي شي. أو ربما بسبب ذلك بالتحديد. في بروفينس، زرت ذات مرة دير راهبات قديم لم يعد مستخدماً. كان بالوسع التجول فيه لرؤية كيف عاشت الراهبات. في إحدى الحجرات رأينا قطعة من القماش الأسود تغطي إطار النافذة من الخارج. أخبرنا الدليل بأنه لم يكن يُسمح للراهبات بامتلاك مرايا لأن ذلك سيشكل دعوة إلى الغرور الآثم. عندئذ خطرت لإحدى الراهبات فكرة استخدام قطعة من قماش أسود. وهكذا، تمكنت الراهبات من رؤية أنفسهن في سطح زجاج النافذة الأسود اللامع. لا يمكن أن يكن قد أصبحن مغرورات جداً بسبب ذلك النوع من الصورة في المرآة. تعرفين كيف تبدين عادة عندما ترين صورتك في نافذة مظلمة، مزدوجة وغريبة.

"فكرت بأن مايا تعمل مثل ذلك النوع من المرآة المظلمة. عادة ما يكون شخص آخر بمثابة نافذة يمكنك أن ترى عبرها عالماً آخر. لكن مايا مجرد سطح مظلم لامع فقط، وكل ما يمكنك أن تراه من خلاله هو صورتك أنت. إذا سألتها عن أمر ما، فإن سؤالك يعود إليك. وقد لاحظت سابقاً كم ذلك غير سار. عندما تعانقها فإنك لا تشعر منها بحنان ولا تواصل، وإنما بمجرد أشواقك أنت نفسها.

وإذا غضبت منها فإنك تواجه غضبك وقلة حيلتك أنت فقط."

"عندما تنظر إلى مايا، فإنك ترى صورتك في المرآة فقط، ليس بالوضوح نفسه الذي في المرايا، وإنما صورة كامدة، غامضة الخطوط، شبحية. إنها تجربة فظيعة لا تترك أحداً دون أن يتأثر."

"أعتقد أن هذا هو ما حدث لعائلتنا. لقد رأى كل واحد منا نفسه في تلك المرآة المظلمة، واستجاب كل منا لذلك بشكل مختلف."

t.me/ktabpdf مكتبة

قدت السيارة إلى محطة "شل." ترجلت لأعبئ البنزين. ظل بينس جالساً في السيارة. بعثرت هبة ريح محملة برائحة الوقود الخام فواتيري بينما أحاول وضعها في ماكينة النقود -التي بدت انتقائية كطفل، وبصقتها خارجاً مرة تلو المرة- واصطفت سيارة أخرى على الجهة الأخرى من المضخة وترجل رجل منها. رفعنا مقبضي ضخ الوقود في وقت واحدٍ تقريباً. رآني وحياني بابتهاج:

"أرى أن الغول لم يختطفك بعد."

كان ذلك إريك ليليرغن، الشرطي الذي ذهبت معه إلى حانة ميكي.

"كلا" قلت. "إنني أتعامل باحتراس. كيف هي أمورك؟"

"رائعة. الحياة جميلة. لم أشعر بمثل هذه السعادة قط من قبل،" صرخ بينما يملأ خزان سيارته. كانت امرأة تجلس في المقعد الأمامي. أتساءل ما إذا كانت الزوجة التي استعادته أم امرأة جديدة. واحدة من كائنات حانة ميكي المأساوية، ربما.

"سرني سماع ذلك." اضطررت إلى أن أصرخ كي أجعل صوتي مسموعاً فوق ضجيج مضخة الوقود. "إنك تبدو بخير فعلاً. هل حدث أي شيءٌ جديد؟"

"نعم... أو بالأحرى لا، كلا في الحقيقة." بدا أن إجابته أدهشته هو نفسه. "ليس هناك أي جديد بالضبط. في الواقع...." هز كتفيه ثم علق مقبض المضخة.

"إنك تزيل بعض الغبار عن الماضي،" قلت.

أومأ برأسه موافقاً بحماس، بينما يشد غطاء فتحة الوقود في سيارته.

"إنكِ محقة تماماً. إن الأكثر أهمية قد حدث مسبقاً. جل ما في الأمر أنك تنفخين بعض الغبار عن الماضي، هذه هي طبيعة الأمور."

قفز إلى سيارته ضاحكاً ولوّح بيده. شغل المحرك، ومضى ليواصل حياته الرائعة.

كان ما يزال هناك الكثير من الوقت حتى تأتي زوجة بينس لتأخذه، ولذلك قدت السيارة وركنتها في منطقة خالية من المحطة. أطفأت المحرك. نظرنا إلى ساعتينا ثم إلى بعضنا البعض.

"ماذا الآن؟" قال.

"إننا نجلس في سيارة داخل محطة شل في ستينونغسوند. وبقدر ما أرى، فإن هذا هو كل ما يحدث الآن،" قلت.

"وبعد ذلك؟"

"بعد ذلك، سوف تأتي زوجتك لتأخذك إلى ستوكهولم. وسأقود أنا إلى غوتنبرغ لآخذ أولادي من مركز الترفيه بعد المدرسة."

"ثم؟"

"ليست لدي أدنى فكرة. ما الذي تود لو أنه يحدث؟"

تنهد بينس ونظر إلى سقف السيارة.

"لم أكن قد ذهبت إلى تانجيفيك من أجل الكتابة فقط. لقد ذهبت إلى هناك لأفكر. هناك الكثير في حياتي مما يجب أن أفكر فيه. إنني أقف بشكل ما عند نقطة تقاطع."

تنهد مجدداً وبدا قلقاً.

"إن المرء يقف دائماً عند نقطة تقاطع، كما أعتقد."

"إنني سعيدة لأني أتيت" تابعت. "وأنا ممتنة لأنني تمكنت من قراءة قصتك عن كريستينا. تلك الأسابيع التي اختفت فيها مايا، كانت مثل فجوة في حياتي. وقصتك ملأت تلك الفجوة."

"نعم، أعتقد أن هذا ما كنت أحاول أن أفعله. لكنني لا أعرف إذا كنتُ قد نجحت."

انحنيت نحوه وتشممت عنقه قليلاً.

"رائحتك سماوية. لكنني أعتقد أنك تعرف ذلك." قلت.

t.me/ktabpdf مكتبة

"كلا،" ضحك. "كيف هي رائحتي؟"

"مثلك."

داعب خدي.

"ألم يقل لك أحد هذا من قبل؟" سألته. "أن رائحتك جميلة جداً؟"

"كلا. لم يقل لي أحد ذلك في الحقيقة."

هل يمكن أن يكون هذا حقيقياً حقاً؟ ربما هو كذلك حتى أنني الوحيدة التي أستطيع أن أدرك تلك الرائحة.

نظر في ساعته مجدداً، ثم سحب محفظته وأخرج منها بطاقته وعليها عنوانه ورقم هاتفه. التقطت حقيبتي ووجدت فيها واحدة من بطاقاتي أيضاً. نظرنا إلى بعضنا وإلى بطاقتينا. ترددنا قليلاً قبل أن نتبادلها، كطفلين يتبادلان فواصل تعليم صفحات كتبهما المفضلة. لاحظ بينس وهو يضع بطاقتي في محفظته شيئاً آخر وتململ لذلك.

"آه، هذا شيءٌ يجب أن تريه."

ناولني صورة. صورة امرأة شقراء شديدة السمنة تقف بجوار موقد شواء خارجي. كانت ترتدي سروالاً قصيراً وقميصاً بلا أكمام، وقد برزت سُمنتها في كل اتجاه. كان جسمها يواجه المشواة، لكنها أدارت رأسها ونظرت مباشرة إلى الكاميرا.

"أتعرفين من تكون هذه؟" سأل بينس.

"ليست لدي أدنى فكرة."

"آن ماري."

"ماذا؟"

ضحك بينس من دهشتي.

"ليس صحيحاً."

"بل هو كذلك. ألا تميزينها؟"

انحنيت إلى الأمام ورفعت الصورة أقرب إلى الزجاج الأمامي. تفحصت الوجه جيداً. قوس كيوبيد الجميل المائل. نعم، هذا هو فم آن ماري. عابس قليلاً وكأنها تحتفظ فيه بثلاث كرزات ستبصقها في أي لحظة. كانت في عينيها نظرة ماكرة.

بدت لي وكأنها تلعب الغميضة وتغيظ المصور. من داخل تلك المرأة هائلة الحجم نظرت آن ماري إليّ. آن ماريّ الذهبية، حبيبتي آن ماري، اختفت في داخل سُمنتها.

"يا الله، يا الله، إنها آن ماري." قلت.

"كنت تتحدثين عن الذهاب إلى الولايات المتحدة ومقابلة أناس اختطفهم ركاب المركبات الغريبة. إذا وصلت إلى نيو ميكسيكو يمكنك أن تزوريها. اتصلي بها إذا ذهبتِ إلى هناك. يمكن أن أعطيك الرقم. لا تتكلفي عناء الكتابة. لن تتلقي أي إجابة، ولكن اتصلي بها. أو اذهبي إلى هناك فقط، هذه أفضل طريقة. أستطيع أن أعدك بأنك ستستطيعين المكوث هناك. لديها الكثير من الغرف."

"هل لها عائلة؟"

"لديها ثلاثة أطفال. لست أعرف عن رجل. لقد تزوجت وتطلقت وعاشت مع رجال مرات كثيرة حتى ضيعتُ العدّ. لكنهم دائماً رجال يملكون الكثير من المال. منازل كبيرة وسيارات عديدة."

"والكثير من الطعام،" قلت.

"الأنواع الخطأ من الطعام على الأغلب، كما أعتقد. لقد أصبحت صعبة التمييز تقريباً، أليس كذلك؟"

"لكن ما يزال يمكنك أن تعرف أنها هي. إن لها ذلك الإشعاع." قلت.

لأنني استطعت أن أرى أنها الآن، حتى في هذه الصورة السيئة، وبهذا الجسم البدين- ما تزال تمتلك شيئاً ساحراً، نظرة في عينيها، ميزة حول فمها، وشيئاً ما محرِّضاً ولا يدانى أيضاً. أم أنني تخيلت ذلك فقط؟ هل كان ذلك لأن بينس أخبرني بأنها آن ماري؟ قبل ذلك رأيت امرأة سمينة في منتصف العمر فقط، دون أي وهج. هل كان مجرد اسمها فقط والذكريات التي أيقظها هي الأشياء المتوهجة؟

"آن ماري متوهجة وأنا رائحتي سماوية،" تمتم بينس وأبعد الصورة.

t.me/ktabpdf مكتبة

"هكذا هي الأمور،" قلت. "إنك تنتمي إلى عائلة عطرة متوهجة. العائلة صاحبة وهج العسل والتفاح."

قبّلته، وفي تلك اللحظة نفسها انعطفت سيارة يابانية صغيرة ووقفت بجوارنا تماماً.

"إنها سوزان. كلا، ابقي هنا، أستطيع أن آخذ أشيائي بنفسي."

خرج في الوقت نفسه الذي خرجت فيه المرأة من السيارة بجوارنا. فتحَت صندوق السيارة وساعدت يينس في نقل أمتعته من سيارتي. كانت ترتدي سترة صوفية حمراء بنية، ولها شعر قصير مصبوغ بالأسود ومقصوصٌ في خطوط متعرجة حول جبينها وصدغيها. كانت تحركاتها سريعةً مقتصدة. أعادت بسرعة ترتيب أمتعتها ورتبت أشياء يينس بحيث تستقر في الحيز الصغير. كانت نحيلة مثل ماعز جبلي.

أشار لي يينس لأفتح نافذة سيارتي. فعلت وانحنى، مد يده، وداعب بلطف وجنتي وفمي بظهر سبابته. نظرنا إلى بعضنا، لكن أحداً منا لم يقل شيئاً.

استدار عائداً إلى سيارة سوزان. كانت قد جلست مسبقاً في مقعد الراكب وجلس يينس خلف المقود وعدّل وضع المقعد. بدا تبديل السائقين أمراً طبيعياً بالنسبة لهما، لكنه لم يكن غريباً جداً في الحقيقة بما أنها ساقت كل الطريق من كوبنهاغن، وما يزال عليهما أن يقودا كل الطريق إلى ستوكهولم.

شغّل يينس المحرك، قاد السيارة إلى خارج المحطة وتبعتُه بسيارتي.

كل الطريق إلى غوتنبيرغ سرنا في أعقاب بعضنا بعضاً على الطريق السريع. أحياناً تجاوزت يينس، وأحياناً تجاوزني. في البداية، حدث الأمر هكذا فحسب، لكنه أصبح لعبة بعد ذلك. لم نقد بسرعة، فلم يكن ذلك سباقاً. كنا نتجاوز بعضنا من وقت لآخر ونلقي نظرة سريعة كل على الآخر عبر النوافذ.

عندما اقتربنا من غوتنبيرغ، انزلقت سيارتهم إلى ممرب آخر وأصبحت جزءاً من سيل المركبات الكثيف الذي أخذهما إلى الطريق "إي ٢٠" المفضي إلى ستوكهولم.

تعلقت غلالة رقيقة من الغيوم فوق المدينة، لكن السماء فوق محطة الوقود أشرقت بيضاء، مثل جوف صدفة محار. كانت الساعة تشير إلى الرابعة إلا ثلثاً. تمكنت من التقاط ماكس وجوناثان باكراً من مركز الترفيه بعد المدرسة. لقد اشتقت إليهما كثيراً.

مكتبة t.me/ktabpdf

تابعونا على فيسبوك جديد الكتب والروايات

ولدت الروائية ماري هيرمانسون في غوتنبرغ في الساحل الغربي السويدي في العام ١٩٥٦. درست الصحافة والأدب في جامعة غوتنبرغ. وبعد الانتهاء من دراستها عملت صحفية في الصحف اليومية. ثم نشرت كتابها الأول في العام ١٩٨٦، وهو مجموعة من القصص القصيرة مستوحاة من الحكايات والأساطير الشعبية. ونشرت منذئذ تسع روايات، ترجمت إلى معظم اللغات الحية.

تقف أولريكا على رؤوس أصابعها وهي تطل من نوافذ البيت الصيفي. كل شيء، حتى أدق التفاصيل، ما يزال تماماً كما تتذكره: غرفة الجلوس المريحة بأرائكها المخططة؛ خزانة البحارة؛ المقعد الهزاز الأبيض، والرفوف التي تحيط الجدران كلها، مكتظة بالأجزاء والقطع... كان ذلك أشبه بالتحديق مباشرة في الماضي الذي عاد كله إليها مرة واحدة: أسرة الجيران التي كان من السهل الوقوع في حبها، وابنة الأسرة التي كانت صديقتها الأولى الحقيقية. مأخوذة بالذكريات، تأخذ أولريكا ابنيها معها لتريهما مكان طفولتها السحري —شاطئ المحار. وهناك، تنسحق الزرقة اللؤلؤية وقطع أصداف المحار المكسورة تحت أقدامهم. هناك، تكون الأسرار النائمة وحلاوة الحياة على موعد مع الخطر. لكن أولريكا تظل غافلة عنه حتى يعثر ابناها على اكتشاف مخيف ...

قالوا عن «شاطئ المحار»:

«رواية قوية وآسرة». (Månadsjournalen)

«سرّدفاتن مليء بالدهشة». (BTJ)

«تجد القارئ نفسه مستغرقًا بلا فكاك في هذه الحكاية الموحية... حيث الكتابة بوضوح الزجاج النقي» (أفتونبلاديت)

«من المدهش كيف تستطيع الكاتبة أن تُنشد —ببراعة أدبية- وقائع الحياة العادية. إنك تكاد تتذوق وتشم عبق كتابتها —العسل، والتفاح، والرمل، والغموض». (أمازون)

مكتبة ٣٩٩

ISBN 978-91-87333-23-1

دار المنى